

کتابخانه تصنیف سید کاظمی حری آبادی کرم

نمبر دہندہ

تاریخ دہندہ

نام کتاب

فن کتاب

ممبر کتاب

شہر مشاہیر الاسلام جلد شانہ

تراجم

۱۶۳

6357
/ sin

6357
S/A

كتاب رقم ٥٣٤٥

استبصار في سيرة

في

الحياة والسيرة

تأليف

رفيق بك العظيم

الجزء الثاني من الجزء الأول

(في سيرة الخلفاء الراشدين)

{ وهذا الجزء يتضمن سيرة عمر بن الخطاب }

« رضى الله عنه »

(طبع بمطبعة موسوعة - ربيع - الخلق مصر سنة ١٣١٩ هـ)

« لصاحبها اسماعيل حافظ الخرمي رحمه الله »

كتاب

استهلال
المسافر في
الاستبصار

في

الاستبصار
والاستبصار

تأليف

رفيق بك العظم

الجزء الثاني من المجلد الأول

(في سيره الخلفاء الراشدين)

وهذا الجزء يتضمن سيرة عمر بن الخطاب

« ومن استهز في دوله »

(صعظمه وسورة شرع بحدق ٢ - ١٠٣١٠)

(صحبها استمائل حاص)

عمر بن الخطاب

— باب —

حاله في الحامله

« نسب وأصل »

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريش
 درح بن عدي بن كعب القرشي السدوسي أبو حفص وأمه حمنة بنت هاشم بن
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقيل حمنة بنت هشام بن المغيرة فعلى هذا
 كعب بن حنظل بن جهم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
 بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
 إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

هو سرفه وصاعته

من في صدر جزء لأول من هذا الكتاب ذكر الرهط من قريش
 مني انتهى بهم سرفه في الجاهلية وهم عمر بن الخطاب وكانت تنهي اليه
 اسماؤه كجهم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
 بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
 بن معد بن عدنان

﴿ مكانته عند قومه وسيرته فيهم ﴾

مكانة عمر عند قومه تعلم مما سيأتي في ذكر اسلامه وحسبه من ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعان يمز الاسلام بعمر فاستجيب دعاؤه وقد كان في قومه مشهوراً بالشدة عزيز الجانب مع انهم يكن دامل وعى بل كان قليل المال يتأخر بماله أحياناً إلى الشام وقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه ان عمر قدم الشام غير مرة في الجاهلية وأسر في أحدها وأخرج عن زيد بن أسلم عن أسلم عني أنه في حديث طويل ان عمر أسره في الجاهلية بطريق من دمشق واسم عمله في بعض عمله فتغمله وقتله وأخرج هارث بن أسلم دمشق

وكان في حال صفرة فسل ان يتخبر عني غم أبيه فقدر روى بن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال كنت مع عمر بن الخطاب بصحبان (اسم مكان) يقال كذب أرمي للخطاب هذا المكان وكان فطاً غليظاً فكنت أرمي أحياناً واحطأ أحياناً فأصبحت أصرب الناس لس فوق أحد الأرب العالمين قال

لأنتي مما يرى الأتتاته
يبقى الإله ويودي المال ولوله
هذا كان حال هذا الرجل العظيم في جاهليته وستري كيف كان حاله في الاسلام وإلى أنه درجة لمع به علو الهمة وصاء العريضة ولرأى لا خلاص في
خدمة الرسول الأكرم ودين الله العويم



باب

اسلامه وصحبته

(اسطر)

كان المسلمون قبيل اسلام عمر بن الخطاب يجمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي في أصل الصفاء يستحقين لقتلهم وشدة قريش عليهم ولم يكتفوا كما يزعم بعض المنحرفين من فقراء الناس وأداني قريش بل كان في ذلك العدد القليل من المسلمين كثير من سادات قريش وأعيانهم ودوي النشرف فيهم ومنهم أبو بكر الصديق وطاحه بن عبد الله وعثمان بن عفان المسهورين بالنفي والثروة وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب وأصراهم من صناديد قريش وأشرافهم الآن مطمهم هاجر والى الحسنة لاصطهاد قريش لهم وكانوا لقتلهم في حاجة الى الاستكثار من دوي العصبية أو الحرأه والاقدام من رحالات قريش ليسطيعوا اعلان دينهم والدب عن بيتهم وكان ممن عرف من قريش بهذا الكلمة والاطش وسهوا المسكاه عمر بن الخطاب وأبو جهل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع خيرا للمسلمين ناسلام أحد هذين الرحلين لهذا قال (اللهم أعز الاسلام بأحب الرحلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام) نعمي أنا جهل

استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء بنة صلى الله عليه وسلم بأحب الرحلين اليه وهو عمر بن الخطاب فأسم في دي الحجة لمضى سب سنين من النعمة وامتداد اسلام تسعة و لاين رحلا ولاث وعشرين امرأة وقيل اعدادا ربعين رحلا واحدى عشرة مرأه وكان له من العمر سب وعشرون سنة

وأما سب - لامه بعد حجاب فده روات كبره وهما أحرحه الحادط

عن الدين الجزري في أسد العابة عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم انه قال .
قال لعمر بن الخطاب أنحبون أن أعلمكم كيف كان بدؤا اسلامي قلنا نعم . قال كنت
من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يا يوم مآفي يوم حار شديد الحر
بالحاجة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب يا ابن
الخطاب انت ترعم لك هكذا وقد دخل عليك هذا الأعرابي بيتك . قال قلت
وما ذاك . قال أختك قد صابت . قال فرجعت . مصبا وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه
ويصيان من طعامه وقد كان ضم الى روح أخي رجلا قال خئت حتى قرعت
الباب فقيل . من هذا قلت ابن الخطاب قال وكان القوم حلوسا يقرأون القرآن في
صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تادروا واخفوا وتركوا أوسو الصحيفة من أيديهم
قال فصامت المرأة فصحت لي فقلت ما عدوه . فسمعت بلعبي لك صوت قال فارفع
سيثا في يدي فاصرهما . قال فسال الدم فلما رأته الدم بكت ثم قالت يا ابن
الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغمض فجلس على
السري فطرت فادابكباب في ناحية اليب فقلت ما هذا السكباب أعطيه فقالت
لا أعطيك أنت من أهله أنت لا تغسل من الحماة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا
المطرون قال فلم أر لها حيا أعطته فاذا فيه (سم الله الرحمن الرحيم) فلما صررت
بالرحمن الرحيم دعرت ورميت بالصحفة من يدي قال ثم رجعت الى نفسي فاذا
وها (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) قال فكلمنا صررت
باسم . من أسماء الله عز وجل دعرت ثم رجعت الى نفسي حتى لمعت (آموا بالله
ورسوله وأنفخوا انما حماكم سحلمين فيه) حتى لمعت في قوله (لكنكم ووهبنا
قال فقلت أسهد أن لا إله إلا الله وأسهد أن محمدا رسول الله . خرج القوم

يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين أما عمر بن هشام وأما عمر بن الخطاب) وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر قال فلما عمر فوأمي الصدق وقلت لهم احبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو في بيت في أسفل الصفا وصموه قال فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب قال . وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ناسلامي قال فما جئراً أحد منهم ان يفتح الباب قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فانه ان يرد الله به خير آيئده قال ففتحوا لي وأحذر جلال مصدي حتى دوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أرسلوه وأرسلوني فجلس بين يديه فأخذ بمجمع قميصي فخدني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم أهده قال فلت أشهد أن لا إله الا الله وأنت رسول الله ففكر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة قال وقد كان استحي^(١) قال ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً أسلم يصرب الا رأيت^(٢) قال فلما رأيت ذلك قلت لا أحب الا أن يصيبني ما يصيب المسلمين قال فذهبت الى حالي (يعني أنا حهل بن هشام) وكان شريفاً فيهم فصرعت الباب عليه فقال من هذا فقلت ابن الخطاب قال فخرج الي فقلت له أشعرت اني قد صموت . قال فقلت قلت نعم . قال لا تفعل . فقلت بلى قد فعلت . قال لا تفعل فأحاف الباب دوني وتركني قال فلما رأيت ذلك انصرف فقلت فقال لي رحل تحب ان يعلم

(١) هكذا وأما ما وقد كانوا مستحيين

(٢) وفي رواية فلم أسأ أن أرى رجلاً يصرب ويصرب الارأيه ولا يصيبني من

السلامك قال قلت ام قال فاذا جلس الناس في الحجرة واجتمعوا اليك رجلا لم يكن بكم الشر فاصنع اليه وقل له يا اميك ويا بني قد صيوت فانه سوف يظهر عليه ويصبح وادله قال فاجتمع الناس في الحجرة فجلت الرجل قد صيوت فاصفيت اليه فباني وبني فقلت اعلمت اني قد صيوت فقال لا ان عمر بن الخطاب قد صيبتا قال فما زال الناس يضربوني واضربهم فقال خالي ما هذا قال فقام على الحجر فأشار بكمه فقال لا اني قد أجرت ابن اخي فانكشف الناس عني وكنت لا أشاء ان اري احدا ممن المسلمين يضرب الا رأيت^(١) وانا لا أضرب قال فقلت ما هذا بشي حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين قال فأمهلت حتى اذا جلس الناس في الحجرة وصلت الى خالي فقلت اسمع فقال ما اسمع قال قلت حوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اخني قال قلت بل هو ذاك فقال ماشئت قال فمارلت أضرب وأضرب حتى اعز الله الاسلام اه

وروي ان عمر لما اسلم قال يا رسول الله علام محبي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال له عمر والذي بعثك بالحق لا يتي مجاس حاست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فطرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الماروق لانه أظهر الاسلام وورق دين الحق والباطل

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد

١» يريد الا رأيت يضرب تحذف لفظ اضرب وهو استعمال شائع والمعنى ان

الناس وافوا رعيته ولم يحتج هو الى الضرب نفسه

انصف القوم اليوم. نأوا نزل الله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

وأنت ترى من هذا مكانة عمر في يومه وسمو منزلته في قبيله وما كان لاسلامه من دخول الوهن على نفوسهم اذ أقروا بطهور المسلمين عليهم ورجحان كلمة المؤمنين على كفرهم وحسبك دليلاً على هذا شهادة القرآن كما رأيت ولؤيدها شاهد العيان أيضاً فان المسلمين بعد اذ كانوا يعبدون الله مستخفين أعلنوا بعد اسلام عمر دينهم وأخذوا يبكون من الناس دعوتهم لا يبالون بما قام في هوس قرش من الخقد عليهم واعد اتصال الضرر والادى اليهم فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال (كان اسلام عمر دجاً وكانت هجرته نصراً وكانت امارته رحمة ولقد رأيت ايداً وما استطع ان يصلي في البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فاصابنا) أحره في أسد العانة وأحرح البخاري عن ابن مسعود أيضاً قال (مار لنا أعزة بمد أسلم عمر)

ولا حرم ن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الرجل الهد الحليل الذى قوى الله به الاسلام في منته وأسر في هجرته وهدي سهل البشر لدعوته والتمسح لاهله فكان رضى الله عنه القدوة الصالحة للمسلمين والمبل المصروب في القوى والعدل والشهامة واصرره الدين وأسد الحق والتسدة على الاعداء وإقامة الميزان بالقسط وتعميم دعوه الاحياء والخرى بين الأئمة فاسلامه كان من المنى العطيمة الى من الله بها على المسلمين ولله حبيب الدس

بـ صححه به

صح عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن صحته وذل في نصرته
مرح به رضى الله عنه صلى عن المسلمين وما فتح عن سيد المرسلين وطهر من

الشدة على أعدائه والمظاهرة لأوليائه ما أروع قريشاً عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وخفف وطأة تعسفهم على أتباعه واصطهادهم للمسلمين قبل الهجرة إلى المدينة حتى إذا أذن الله للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهجرة أخذوا بها حرون مستخفين إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لشجاعته وقهره لقريش وشدة نأسه عليهم هاجر على ملائق قريش . فقد أخرج الحافظ عمر الدين الحزري والحافظ ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مخفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً واختصر عنزة ومضى قبل الكعبة والملائكة من قريش بصاتها فطاف بالبيت سبعاً ثم أتى المقام فصلى متمكناً ثم وقف على الخلق واحدة واحدة وقال لهم شأنت الوجوه لا يرعم الله إلا هذه المعاطس من أراد أن تشككه أمه ويؤتم ولده ويرمل روحه فليأتني راء هذا الوادي . قال علي فأتبعه أحد الأتوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجه

وأخرج ابن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم علينا بن أم مكتوم الأعمى أخو نبي الله صلى الله عليه وسلم قال علينا عمر الخطاب في عشرين ركباً فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو على أثرى ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه

وما زال عمر في هجرته كما كان في مكة شديداً على النخلة من قوامها على الحق . مناخاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رافقاً لأعدائه حرصاً عليه من وصول أذى الله به بمصالح أمه لا يصابها من حركات المناهج ويستطلع صائراً لو فدين حتى دمر في أحد هم سؤسه لازمه في دخوله وحروحه وألمه حد لا بد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحكام عنه واخوع بين يديه . روى عن عمر بن وهب الحمصي

عنه صفوان بن أمية التميمي بعد وقعة بدر على أن يأتي اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبوا واستأذنوا على رسول الله فخرج اليهم عمر بن الخطاب ومقرن بن قيس الشمر فأخذ بحباله سبعة وقال لرجال معه من الأنصار ادخلوا على رسول الله واخذوا هذه الخيول فلما رآه رسول الله قال لعمركم يا عمر ثم سألته عما جاء به فقال جئت لهذا الأسير (يعني أباه وهب) لأنه كان أسيراً عند المسلمين أسروهم في وقعة بدر) قال أصدقني قال ما جئت إلا لذلك قال بل قدمت أنت و صفوان وجرى بينكما كذا وكذا فذهب عمر وعمر بن الخطاب إلى مكة

وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه من قريش سهيل بن عمرو وقاسم بن وقعة بدر مالك بن الدحشم الأنصاري فلما أتى به رسول الله قام إليه عمر وقال دعني أنزع ثيابه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبداً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه وتركه^(١) ورأى مرة يهودياً ممسكاً رسول الله يطاله بدين له فمظم ذلك عليه وأخذ بمخناق اليهودي وقال دعني أقتله يا رسول الله فقال دع يا عمر إن لصاحب الحق مقالاً

وله من هذا القتل أحبار كثيرة أيام صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تذلل على عظيم محبته له وإخلاصه في الدب عنه والشدة على من باواه

(١) تحقق مقام سهيل هذا الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الردة وذلك أن قريشاً لما وصاهم يعني رسول الله اضطربوا وكادوا يردون مقام سهيل بن عمرو على نائب الكعبة وصاح بهم فاحتموا إليه فقال يا أهل مكة لا تكونوا آخري من أسلم وأول من أريد والله ليمتن هذا الأمر كما ذكر رسول الله إلى آخر ما قال مما هو مسطور في التواريخ فامسح أهل مكة عن الردة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشهر أصحابه في بعض الأسواق فكان أبو بكر وعمر أفضلهم عندنا بالصدق والحجما وعظيم إخلاصهما ولهذا قال النبي عليه السلام في عمر (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) رواه الترمذي عن ابن عمرو في رواية أبي داود عن أبي ذر قال (إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول بهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون) (مأثرون) فإن يك في أمي أحد فانه عمر) مثق عليه كما في المشكاة) لهذا كان رضي الله عنه يرى الرأي فينزل به القرآن حتى بلغت موافقته عشرين وثلاثاً ومنها آية تحريم الخمر فانه لما قال (اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً) نزلت آية التحريم ومنها آية الحجاب فانه أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب وانتك عليا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله تعالى وإذا سألتهم عن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) ومنها آية الاستئذان في الدخول وذلك انه دخل عليه غلامه وكان قائماً فقال اللهم حرّم الدخول . فنزلت آية الاستئذان

الى هذا المقام وصل عمر رضي الله عنه في صدق الهجة وقول الحق وجميل الصحبة وحسبه فصيلة في نفسه وفصلا على المسلمين في صحبته كونه كان سيئاً في تحريم الخمر الذي هو آفة الاساية وحرثومة الشر وعله اللال الاجتماعية والامراض العقلية والحتمية في كل زمان ومكان

هكذا كان عمر رضي الله عنه نافعاً في صحته ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص عليه والحباله والمدافعة عنه وشهد معه من المشاهد بديراً وأحداداً والحدائق وبيعة الرصوان وحيداً والفتح وخير وعبرها وكان ممن ثبت مع رسول الله في أحد

أخرج في أسد الغابة عن الزهري وعاصم بن عمر قال : لما أراد أبو سفيان
 أن يخرج إلى الشام (عقب وقعة أحد) أشرف على الجبل ثم نادى بأعلى صوته أن اطرب
 سجال يوم يوم بدر أعل هيل (أي ظهر ذنك) . فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لعمر بن الخطاب : قم فأجبه . فقال الله أعل وأجل لا سواء قتلتا في الجنة
 وقتلاكم في النار : فلما أجاب عمر أبو سفيان قال أبو سفيان هلم إلي يا عمر فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنته فانظر ما يقول : فجاءه فقال له أبو سفيان : أنته
 يا الله يا عمر أقتلنا محمدًا : قال : لا والله ليسمع كلامك الآن فقال أبو سفيان أنت
 أصدق عندي من بن قثه وأبو (القول بن قثه لم يقتل محمدًا)

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر غازيًا إلى ذات السلاسل في جيش
 أميره عمرو بن العاص وأرسله في جيش أميره أتمامه بن زيد مولى رسول الله
 وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسافر أسامة بن الحارث بعد وفاته وبقى عمر
 بالمدينة استبقاه أبو بكر كما رأيت في سيرته وبالجملة فان عمر رضي الله عنه خدّم
 الإسلام في صحبته كما خدّمه في خلافته وكان مخلصاً في إيمانه مخلصاً لله عظيم الحب
 له حتى بلغ من حبه له أنه لما مات صلى الله عليه وسلم لم يصدق بموته أو أصابه من شدة
 الحزن دهشة ودهول حتى قام فقال : من قال أن محمدًا أقدمت علوت رأسه بسيقي
 هذا وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرحلهم . والقصة مشهورة وأوردنا المهم
 منها في سيرة أبي بكر رضي الله عنه فكان عمر ألهم هذا القول حتى أربه المنافقين
 فأذاهم عن الكلام ريثما جاء أبو بكر وسكن اضطراب النفوس بنبأه



بكر

في خلافة

تقدم معاني الجزء الأول أن أنكر الصديق رضي الله تعالى عنه عهد الخلافة
إلى عمر بن الخطاب قبل وفاته فوالها يوم الثلاثاء بقين من جمادى الآخرة يوم
وفاته أني بكر ولي علي كتاب العهد على المسلمين بأيمه جميعاً ولم ينكح من يمينه أحد
من المهاجرين والأنصار مع أنه كان توقف بعضهم عن بيعه أني بكر حاله كونهما
شورى بين المسلمين كما رأيت في الجزء الأول وانما وصى المسلمون بمهدي أني بكر
لعمر بن الخطاب وإن خالف قاعدة الشورى وتسامحوا بحق انتخابهم الخليفة
لأمرين

(الامر الأول) توقعهم الخلاف على الخلافة بين نفر المتطلعين إليها من
المهاجرين السابقين فيما لو تركت شورى تنازعها الأهلية وتحددها العصبية وقيام
المعذر لأنني بكر في عدم تركها شورى لهذا السبب الذي استشعر به قبل وفاته وقد
سطننا الكلام على هداي باب خلافته فلا حاجة للمزيد

(والامر الثاني) تقرّس المسلمين في عمر الكفاية على القيام بهذا الامر
واقفاده على سدّ درائع الفتنة كما تقرّس فيه ذلك أبو بكر وكبار الصحابة الذين
استوثق لهمهم قبل عهده اليه بالخلافة وقد صدقت في عمر رضى الله عنه
فراستهم وتحقق بكماشته رعاؤهم فكانت خلافته رحمة على الأمة كما مر في
حديث من مسعود

أرح الحافظ من عساكر عن أني عبيده قال قال عبد الله من مسعود - أفرس
الساس ثلاثة الملك حين تقرّس في يوسف والقوم فيه راه - دون - والمرأه التي

تفرست في موسى فقالت (ياأبت استأخره أن خرم من استأجرت القوي المتين)
وأبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه

لعمري قد استأخره بعضهم من استخلاف أبي بكر لعمر إلا أن استيلاءهم لم يكن لفقد
الكفاية ممن أسندت إليه الخلافة وإنما كان لصرها عنهم أو خوفهم من شدة عمر
عليهم كما بسطها هذا في سيرة أبي بكر ومع هذا فإن أنا بكر رضى الله عنه لم يقض إلا
بعد أن جعل الساحط راصياً فقد أخرج الامام أبو الفرج ابن الجوزي في السيرة
العمرية وابن عساكر في تاريخه عن عاصم قال جمع أبو بكر الناس وهو
مرريض فأمر من يحملة إلى المنبر فكانت آخر حطة خطبها الحمد لله وأثنى عليه
ثم قال أيها الناس احذروا الدنيا ولا تشقوا بها فهاها عرارة وآثروا الآخرة على
الدنيا واحبوا هاهنا حب كل واحدة منهما تعص الأخرى وإن هذا الأمر الذي هو
أملك بنا لا يصلح آخره إلا ما صلح به أوامره ولا يتحملة إلا أفصاكم مقدرة وأملككم
لمفسه أشدكم حال الشدة وأسلمكم في حال اللين وأعلمكم رأي ذوي الرأي .
لا يشاعل بما لا يميمه ولا يخرن لما يبرل به ولا يستحي من التعلم ولا يتخير عند
البديهة قوي على الأمر ولا يحورأثنى منها حده بعدوان ولا تقصير يرصد لها هو
آت عتاده ^(١) من الحذر والطاعة وهو عمر من الخطاب ^(٢) ثم رل فحمل ^(٣) الساحط
أما ربه الراصي بها على لدحول . منهم توصلا

ومن هذا يعلم أن أنا بكر إنما حمار للخلافة عمر رضى الله تعالى عنهما علما بحقيقته
وسد الأذرائع العسة وطلباً لخير المسلمين ومصاحتهم لا محاباة ولا امرض آخر كما
شهد بذلك علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهذا أخرج الحافظ عمر الدين الحزدي

^(١) صح من حجة لمعدود وفي لحة (٢) هكذا في السيرة العمرة وفي

رجس بكر وحسنه ويذكره عاصم (انوصلا)

في أسد الغابة عن سويد بن غفلة الحنفي أنه دخل على علي بن أبي طالب في خلافته فقال: يا أمير المؤمنين اني مررت بمنريد كرون أبكر وعمر بنيفر الذي هما أهل له من الاسلام . فقام (أي علي) فخطب الناس خطبة طويلة بمسحاء فيها عن أبي بكر واستخلافه لعمر فوله (حتى حضرته الوفاة فرأى ان عمر أقوى عليها ولو كانت محانة لأثر بها ولده) الى آخر كلامه ورنما جاءه منأى مكان آخر

وهذا الذي تحقق عند المسلمين من حسن بية أبي بكر وكفاءة عمر دعام إلى الرضا ببعته والاتفاق على قبول خلافته وان حالت فاعده الشورى بين المسلمين وقد احم رضى الله عنه بهذه الوظيفة السامية قياماً محموداً لا يحاريه فيه أحد من فادة الأمم وساسة الحكومات بل كان من عظيم أثره وأثرأى بكر في الخلافة الاسلامية ن كانه مثلأى بكر بعدهما نصرت بالعدل وحسن السياسة وحنة على من تكذب طريقهما من الخلفاء وحالف سيرتهما من الامراء

أخرج في أسد الغابة عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال «ان الله جعل أب بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة فسبما والله سقأ بعيداً وأتمبا والله من بعدهما تماماً شديداً ذكرهما حزن الأمة وطعن على لائمة»

واقصد صدق رضى الله تعالى عنه فيما قال فانه لم يخرج قوم من المسلمين على الامراء بعد ديك الخليفين الامطالين مثل عدلها محاحين سيرتهما حتى فريق الخوارح الذين يذهبون الى عدم الحاجة الى الامام كانوا محتجون على اخلاء بسيره الامامين الأولين وأول ما حروا كان حروهم على علي رضى الله تعالى عنه هذا على مكاسه من لدين ووقاه وعدل حتى أن حورح لم يستطيعوا أن أحيدوا عليه في سيرته لاسأله التحكيم الي متمث في حصة لا عنهم

وحسب عمر رضى الله عنه من حرافته أن يكون له في العدل وحنة

على الخلفاء والولاة من بعده بل حسبته من سيرته نغراً وذكراً أن كل المؤرخين سواء كانوا من المسلمين أو المنصفين من غير المسلمين أجمعوا على أنه أعظم من ساس الأمم وأعظم رجل في الاسلام ولو قدر المسلمون قدر هذا الرجل العظيم الذي يفخر به تاريخ الاسلام لشيدوا باسمه الآثار العظيمة في كل مكان لبقى ذكره حياً بين الناس كما هو حي في التاريخ ولعد فان أحط الشرعوا وأضعفهم بصيرة فريق العلاقة من الشيعة الذين طعنون في ذلك الرجل العظيم الذي أصبح في حسن السيرة مثلاً في العالمين وحنة على الخلفاء والسلاطين فأى عار على المسلمين ما زاء الأئمة الأخرى ان يكون فيمن ينسب الاسلام جماعة يقدحون بعمل عمر بن الخطاب على تفرده بالشهرة وحلاله ودره وحلائل أعماله وآثاره وسببه بالايما وخدمته الاسلام في صحته وحلافه حتى كان عرفة حبس التاريخ الاسلامي وذكري الفخر العابر الخالدة مع ان الاسلام يبرأ الى الله من أمثال تلك العروق التي أسس محلها اس سبأ اليهودى واصرا منه من أعداء الاسلام ومرىدى السر بالمسلمين ولا يزال أوثك الناس يدعون النسبة الى الاسلام وهو يبرأ الى الله من محابهم المساعدة الى لا قبلها ذو عقل ولا سطبق على دين ولا حكمة وانما هو التقليد الاعمى ولحمل يقه لان في الممول والا وهام ما لا تفعله السموم في الاحسام

باب

أول أعماله في الخلافة

كان أول كلام كنه به عمر رضى الله عنه يوم سجد ان صعد المنبر فخطب الناس فقال يا أيها العرب ومل جل أمتك فائده فلسطين فائده حيث يعود

وأما أنا فو رب الكعبة لا حملهم على الطريق

وأول عمل عمله في خلافته ثلاثة أمور. إبتدأ بالناس مع أبي عبيد الثقفي لحرب
الفرس: وعزل خالد بن الوليد وتوسيد الامارة المامسة في الشام الى أبي عبيدة
عاصر من الجراح. وهاهنا يعلم من أمية لأجله اهل نجران فأما خبر أبي عبيد
فسيأتي معناه في باب الكلام على فتوحات عمر (رض) وأما خبر خالد بن الوليد فقدم
معنا ذكره في سيرته وورعانه ودالي شيء منه عند الكلام على فتوح الشام. وأما خبر
نجران فنتكلم عليه ههنا لأنه لا يخلو من فائدة تاريخية فيها وعظة وذكرى لقوم يعقلون

﴿ إجلاء اهل نجران ﴾

سبق لنا فيما مر من هذا الكتاب كلام على الدعوة الى الاسلام وأن لا يكره
وهاهنا أساسها التبليغ فمن قبلها كان من المسلمين ومن أبي فعلية أن يخضع لسلطانهم
وان يعطيهم حصة من ماله يستعينون به على حماية ماله وعرضه ونفسه وله عليهم حق
الوفاء بما عاهدوه عليه وأن لا يفتن عن دينه ولا يؤخذ منه من الجور والامراض في
عنده وان يكون له الدمة والمهادني حل وحيثما وجد من ممالك الاسلام مادام
وايانه يده مؤدياً لجزية لا يخون المسلمين ولا يمالئ عليهم عدوهم وأحسن شاهد
على هذا نسوقه اليك في هذا الفصل خبر اهل نجران الذين وكانوا من الكتابيين
اتعلم كيف كانت مآله اهل الدمة وبلغ محافظة الخلفاء على عهدهم منهم ما
يخونوا ويفتدروا وتحرير الخبر عنهم انه كان وفد وفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعاهم الى الاسلام وأبو اسود الصلح ون يقبل منهم الخراء مصالحهم
على شيء معلوم يؤدونه كل سنة لاهل اسلام وكتب لهم بذلك كتاب حمل لهم فيه ذمة
الله وعهده وان لا يفتنوا عن دينهم وممر بهم فيه ولا يحسره ولا يمشروا وان
يؤثروا على أنفسهم ومالههم ورضاهم وموهم وعائلهم وشهدهم وتيرهم

وبعضهم وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا يظأر ضهم جيش ومن سأل منهم حقا فينبهم أنصف غير ظالمين ولا مظلومين ولهم على ذلك جوار الله وذمة رسوله أبدأ حتى يأتي أمر الله مانصحو أو أصلحو أو شترط عليهم أن لا يأكلوا الرأ ولا يتما لموايه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقرهم على حالهم وكتب لهم كتابا على نحو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين في جزيرة العرب دينان: ولما حضرت أبا بكر الوفاة أوصى عمر بن الخطاب بأجلأهم لقمضهم العهد بأصابتهم الربا

فانظر كيف ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى ان لا يجتمع في جزيرة العرب دينان لان العرب أمة حديثة عهد بالاسلام وقد عانى صلى الله عليه وسلم ما عانى في جمع كلمتها وتوحيد وجهتها في الخطر أن يوجد دين طرأ عليها قوته يتدينون بغير دينها فيصنون من حاورهم عن الاسلام على حداثة عهدهم فيه وعدم تمسكهم بمذم اصوله الصحيحة

هذان وجه ومن وجه آخر فان الحرانيين كانوا يتأخرون بالرأ ولا يحفي مافيه من الصرر على من حاورهم من أهل اليمن الذين ينضب التعامل بالرأه من ثروتهم ويؤذر بقرهم على غير شعور منهم لاسيما وان الشريعة الاسلامية قد حرمتهم تحريمات لا يؤمن من ان النحرانيين باستدراهم على تماطى الرأ يحلمون بعض من حاورهم من المسلمين على ارتكاب الاثم بالتعامل معهم بالرأ

مع هذه الاسباب التي تاجي الى إكراه النحرانيين على الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكسرهم على ذلك لان شريعته لم تأدر إكراه أهل الكتاب على الاسلام لهدأ تركهم على دينهم بعد أن دعاهم الى الاسلام والى هي أحسن

فأبوا وأعطاهم كتاب العهد المذكور إلا أنه اشترط عليهم فيه أن لا يحبوا المسلمين ولا يتعاملوا بالربا كما رأيت ولما استخلف أبو بكر أ كد لهم عهدهم الأول مع أنه كان يرى في وجودهم في جزيرة العرب من الخطر ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسمعه في أمرهم إلا ما وسع الرسول (ص) حتى اذا علم أنهم خافوا العهد وتمايلوا بالربا أسرف في حال مرضه عمر بن الخطاب (رض) باجلائهم عن جزيرة العرب دون أن يفتنوا في دينهم

ولما استخلف عمر (رض) كان أول بهت بهت أنى عبيد الى العراق كما قدمنا وبعث يعلى بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء اهل نجران وأن يعاملهم بالرأفة ويشتري أموالهم ويحيرهم عن أرضهم في أي أرض شاؤا من بلاد الاسلام (لأن يعاملهم بمائة القوي الغالب للضميف المملوك كما هو شأن كل دولة من الدول قبل الاسلام وبعده حتى الآن في معاملة الأمم التي تخالف مذهبها وتحضع لقوة سلطانها)

أحرج الطبري عن سالم في حديث مرة منما هو بمعناه قال فيه عن عمر أنه أوصى دلي بن أمية اهل نجران فقال

أنتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلبهم من أقام منهم على دينه وأقر المسلم وأمسح أرض كل من تحبى منهم ثم حيرهم اللذان وأعلمهم أنانحليهم بأمر الله ورسوله أن لا تترك بجزيرة العرب دينان فليحروا من أقام على دينه منهم ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسهم وأولادهم بدمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين حيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجزيرتهم ريب

وكسب لهم كتاباً بهذه صورته كما أوردتها البلاد في فتوح البلدان «أما مدس وقعوا به من أهل الشام وعراق فليوسعهم من حرث الارص

وما اعتدوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن »

على هذا الوجه أجلى عمر (رض) النجرائين النصارى منهم واليهود
ففرقوا ففرل بعضهم الشام وبعضهم النجرائية بناحية الكوفة وهم سميت
ولم تقف العناية بهم في اجلائهم ولحافظة على ما بدى من العهد وتعويضهم عما
تركوه من المقار والمال عند هذا الحد بل كانوا يجدون بعد ذلك من الخلفاء كل رعاية
ورفق ولم يرفموا الا حرد منهم مطلدة إلا أنصفهم ورفع أدي عماله عنهم وشملهم
بالعدل وحاطهم بالعناية

من ذلك أنهم شكوا امرأة الى عثمان رضى الله عنه لما اسحلف صيق أرضهم
ومزاحمة الدهاقين لهم وطلبوا اليه تخفيف حزينهم فكتب الى الوليد بن عقبة بن
أنى معيط عامه على الكوفة كتاباً يوصيه به بهم ويأمره أن يصع عنهم ما تقي حله
من جزائهم لوجه الله وعقبي لهم من أرضهم . وستأتي صورة الكتاب في حلامه
عثمان رضى الله عنه

وروى البلاذري عن الكلبي نه لا ولي ماوية أو يريد من ماوية شكوا اليه
تفرقهم وموت من مات منهم واسلام من أسلم منهم وأحصره كصاب عثمان بن
عمران ما حطهم من الخلل وفالوا انما ددنا مصاً آرصعاً فوضع عنهم ما تقي حله تمة
أرلماثة حله فاولى الحجاج العراق وخرج ابن الاشعث عليه آتهمهم والدهاقين
بموالاته فرد حزينهم الى ما كات عليه فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة شكوا
اليه ظلم الحجاج ونقصهم وأمرهم بأحصوا فلبوا العشر من عدتهم فألزمهم ما تقي
حله حزية عن رؤوسهم فتضالما ولي يوسف بن عمر العراق في خلافة لوليد بن يزيد
لاموي رددهم الى ما كانوا عليه عسمية لله جاح فلما انقضت دوله الامويين
واسحلف نوالعاس لسماح رفعوا اليه أمرهم وما كان من عمر بن عبد العزيز

ويوسف بن عمر فرددتم الى ابي حنيفة ولما استخلف هرون الرشيد شكوا اليه ائمت
العمال اياهم فأمر فكتب لهم كتاب بالماتية حلة وبالنق مائة درهم فأمر أن يعفوا من
معاملة العمال وان يكون مؤداهم بيت المال بالحضرة كي لا يتعمشهم أحد من العمال
هذا ما رواه المؤرخون في شأن هؤلاء السكابييين الذين أجلاهم أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جزيرته العرب وقد رأيت مما صر مبيع
عناية عمر (رض) بهم لئلا يربدها من أجلاهم للاسباب التي مر ذكرها وقد كان من
السهل اكراهم على الاسلام ودخولهم فيه كما دخل أولئك الملايين من شركي
العرب وعامة سكان الجزيرة العربية طوعاً أو كرهاً وانما هو الشرع الاسلامي
منع من اكراه غير شركي العرب على الاسلام كما منع من نقض العهد وحرق
الدولة إلا بسبب مشروع لهذا الماحل البحرانيون عهدهم تمامهم بالراوقد عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتعاملوا به في الجزيرة ساع لا أمير المؤمنين
أجلاؤهم الى غير هاتين عهودهم عن المال والنفار بمثل ذلك الخلفاء بعدهم بالعة
بالرقى بأهل الكتاب وقياماً بواجب السيادة والمادله ووفاء بهد الله ورسول
ياملون البحرانيين بأحسن ما تعامل به عامة الرعية من المسلمين ودموعهم
أذى الظلم والاحفاف كما رأيت

﴿ حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين ﴾

ينح معنا من هذه الحكاية ثلاثة أمور (الامر الاول) عدم كره
البحرانيين على الاسلام مع تعيين الخطر من وجودهم في جزيرة العرب لحدثة
عهد أهلها بالاسلام ذلك لان عدم الاكراه من أصول الشريعة الاسلامية
والجهاد الذي يعظم أمره أعداء المسلمين انما شرع لحماية الدعوة لا للاكراه الا
جهاد شركي العرب يومئذ قد شرع لارعاهم على الاسلام لاسباب حكيمه

لا تخفى على بصير أنهم باقظهير نفوس تلك الامة العظيمة من شرور الوثنية واستئصال شأفة الحمل وفتح من حزيمة العرب التي كانت وسطاً بين ممالك الشرق والعرب من آسيا وافرقياء أوربا بل هي نقطة الصلة السياسية والتجارية بين تلك الممالك فانتشاراً نوار المدينة والدين مهابستلرم انتشارها بطبيعة المجاورة والاشراف على تلك الممالك أيضاً وقد كان ذلك كما هو معلوم

(والامر الثاني) عدم حيد الخلفاء عن أمر الشارع فيما أمر به من الوفاء بالعهود وتأكيدهم لهد المحرانيين الواحد تلو الآخر على ضعف هؤلاء وفلتهم وقوة الخلافة الاسلامية وسلطانها وان ذلك لم يكن عن رهبة أو رغبة بل عن محض تمسك بالهد وعدل بين الشعوب الخاضعين لسلطة الخلافة وسلطان الاسلام من كل ملة ودين

(والامر الثالث) حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) على قاعدة حماية الدمي في نفسه وماله تمويضه النجرائيين عن أرضهم ومالهم بالمثل من أرض المسلمين ومالهم لما فضت الصرورة باجلاتهم عن أرضهم الى غيرهما من بلاد المسلس وقد رأيت ما ذكرناه ستطراداً في سيرة أنى بكر عن عمر رضي الله عنهما وما فعله من هذا القبل مع أهل عرسوس من ثعور الروم وكيف انه لما أمر باجلاتهم عن أرضهم لخيانهم حوار المسلمين وبكتهم عهد الامانة والصدق أمر بأن يعوضوا عن مالهم عقارهم ولعمهم ضعفين وما زال الخلفاء في أيام الفتوح العظيمة وما بمدها يحافظون على حق القرار الثابت والملاك القديم للاقوام المعالين للمسلمين الخاضعين لسلطانهم سواء كانوا من المسيحيين أو غيرهم ولم يؤثر عن أحدهم نه طرد قوماً من أرضهم أو ترعها منهم بغير حق ولا عوض ولا عزة بما يقع من هذا القل على بعض الافراد من حورامض المال الدين

غلبت شهواتهم على الفضيلة فجادوا عن طريق الشرع فانه قد يصيب افراد المسلمين من جور هؤلاء أكثر مما يصيب غيرهم وليس في هذا ما يقدح بأصول الحكم الاسلامي الذي يأبى الظلم ويدعو الى الرأفة والعدل

هذا شأن الاسلام في المحفة على حقوق الأمم الملوحة وقد رأت مما تقدم انه لم يمتط للمسلمين من حقوق الذلب التي ينتحلها الملبون في كل عصر الا ما تدعو اليه الضرورة القصوى وتستلزمه سلامة الملك والدين لا ما تدعو اليه شهوات الملك ورغبات الأمم المالبة وقد علم هذا المسلمون وحلداؤهم وان لاهل الدولة ما لهم وعليهم ما عليهم من الملوحة في الرأفة تأمل حوارهم والداحلين في ذمتهم من أرباب الملل الاخرى فتركوا لهم حرية التملك والدين ولم ينزعوهم حماة من حقوق المواطنة والحوار بل كانوا يعترفونهم جزءاً من الدولة وعضواً من أعضاء مجتمعتهم لا عى عن مشاركته في العمل وشاطرته أسباب السعادة المدنية والحياة الوطنية يؤيدها اعتماد الخلفاء الامويين والعباسيين على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج وترجمة علوم اليونان وتقريب المانين منهم في علوم الهندسة والطب اليهم واعتمادهم في شفاء غلظهم عليهم بل بلغ المسلمين اعتبارهم لاهل الكتاب عضواً من جسم هيتهم الاجتماعية لا يحوز فصله في حال من الاحوال ان حيوش التنازل كما كتبت الاداء الاسلام من حدود الصير الى الشام ووقع في أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم حصد المسلمون شوكة التنازل في الشام ودان ملوكهم لاسلام حاطب شيخ لاسلام ان تسمية رأس العلماء في عصره أمير التنازل وطلو شاه باطلاق لا يرى فسمح له بالمسلمين وأنى أن يسمح له باهل لامة فقال له شيخ لاسلام لا بد من افكك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع أسير لامن

أهل الله ولا من أهل الدنيا فاطلهم له
وكيف لا يقوم على المسلمين وخلقنا وهم يحياهم أهلهم وقد استوصى
هم النبي صلى الله عليه وسلم أنه خيراء وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده كما
رأيت فيما سرت من هذا الكتاب وكما سري بذروحي فمثل اليك هذا على سبيل
الاستطراد ما جاء في كتاب كتبه عمر بن الخطاب (رض) إلى عمرو بن العاص
عنه على مصر وهو قوله

«واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانه قال تبارك وتعالى في كتابه
(واجعلنا له ديناً) إماماً يريد ان يقتدي به وانك أهل ذمة وعهد وقد أوصى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبض فقال «استوصوا بالقبط خيراً
فان لهم ذمة ورحماً» ورحمهم ان أم اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليه وسلم «من
ظلم معاهداً أو كذبه فوق طاقته ما خصمه يوم القيامة» احذر يا عمرو أن يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً فانه من خاصه خصمه والله يا عمرو لقد
ابتليت بولاية هذه الامة وآست من نفسي صعباً وانتشرت رعيتي وورق عطفي
فأدأل الله أن يقصص اليه غير ممرط والله اني لأحشى لو مات حمل بأوصى عملك
ضياءاً ان أسأل عنه يوم القيامة»

(١) رأب هذه الحكاية التاريخية المهمة في نسخة خطية من الرسالة القرصية التي
قدمها شيخ الاسلام ان تيمه لسرحوان ملك قرص لافكك أسرى المسلمين منه
ودفعت هذه الرسالة الى الفاضل الشيخ علي أفندي يوسف صاحب حريدة الأؤد
الخطيرة فطعها من عهد قرب على نفقته ومن الأسف ان بعض مؤرخو المسلمين
أمثال هذه الحوادث المهمة التي هي مرمى عرص التاريخ الصحيح ولو عوا سفل
كل الحوادث الاجتماعية التي لها علاقة بأصول المدييه الاسلاميه وعصورها ففهموا
الاسلام والمسلمين

نأمل قول هذا الخليفة العظيم الذي وصى بجاهل به أهل الكتاب ترى
الهمة من القادسية على كلابهم وعلامهم لتتوسع والجان الذين في حصاره
الظاهر مرتبة في تصانيف كتابه حتى كأنما هو واقف بين يدي الله يسأل عن
حقوق خلقه ويحاسب عن عمله في رعيته - إن في هذا آيات من المدل وغايات
في إنصاف الرعية غير المسألة لا يدرك شأوها ولا هو إلا طين في كل أمة من
أمم الارض الآن

وأعظم من هذا وأجل أن آخر وصايا عمر التي أوصى بها عند وفاته كانت بالمهاجرين
والانصار وأهل الدمة اذ كتب لمن يخلفه كتاباً قال فيه : وأوصيه بأهل ذمة الله
وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ان يوفيهم دينهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وان يقاتل
من ورائهم الح ما جاء في الكتاب كما استراه في محله ان شاء الله

هذا شأن الحكم الاسلامي في أهل الدمة وبلغ عناية الخلفاء بالخاضعين
لسلاطهم من غير المسلمين أوردناه مؤيداً بالشواهد التاريخية مع انه يكاد يدرك
بداهة الحس لان اليهود والنصارى في الممالك الاسلامية ما زالوا يتمتعون بكل
ما يتمتع به المسلمون من الحقوق . مدى ثلاثة عشر قرناً لم تنزع منهم أرض ولم
يطردوا وبشردوا عن أوطانهم ولم يفتوا عن دينهم ولو أضيفوا بما يصاب به
المسلمون في ممالك النصرانية لما بقي منهم في هذه القرون الطويلة باقية مع ان
الاسانيول والشوا ان دوخوا بلاد الاندلس واكتسحوا ذلك الملك الاسلامي
العريض حتى فتنوا المسلمين عن دينهم وطردوهم عن ملكهم واعتصبوا آرائهم
وسمكوا دماءهم وشردوهم عن بلاد الاندلس تشريداً ما أتقى لهم في بضع سنين
باقية ومحاكل ما تركوه من آثار العلم والمدنية في تلك البلاد التي كانت حمة الارض
في عصرهم

واذا اتحل للاسبانيول عذر البربرية والتوحش وانهم انما كانوا يومئذ
 في عصور الجهالة الاوربية فهل يقال انهم كانوا اخط في الاحلاق والمدنية من
 تلك الامة البدوية التي نشأت في جزيرة العرب على الغارة والسلب وسفك الدماء
 وعبادة الاوثان ثم لما اندفعت للفتح واثبتت لها قوة الغلب على الأمم وأحصاها
 أهل الكتاب كانت سياستها في الملك ورأفها بالمعلولين ما رأيت فيما تقدم
 نقول ولا نكران لاحق ان الاسبانيول لم يكونوا في تلك الدرجة من الهمجية
 بل كانوا وكل الأمم الاوربية في دور تمدن حددت بآصوله بين العرب يومئذ
 وأطلقت فروعه ممالك المغرب واتممت حملة علوم الدين وتعمصهم الذي هو الذي
 جعل هذا البون البميد بين المرتقين وماين في السياسة بين الفاتحين وأبن من
 يوصي الحيوش الفاتحة بالرفق بالمسيحيين واعتبارهم بعد العالاب كجر . لا ينصل عن
 مجتمع المسلمين له ما لهم من رعاية وعليه ما عليهم من حق كما في وصايا الخلفاء الى
 رأيت ممن يصور للأمم المسيحية المسلمين في صورة وحش ضار يتهمز للوثوب
 على الشعوب وهؤلاء هم قادة المسيحيين وحملة الدين المسيحي ومنهم من يروى
 الحروب الصليبية من الفسوس وسدروهم ككائد جمعية التفتيش الديني
 (الانكيزسيون) في اسبانيا بل ومنهم كان في هذا العصر عصر المدنية والور
 المستر غلادستون ورياسكاترا الشهير بحملاته الخطابية على الاسلام والمسلمين
 ليس عجيب ان يقرر لاسلام . بدأ المساواة بين الشعوب الخاصعين
 اسلطانهم ويحتّم على أهله حماية اليهود والنصارى في أنفسهم وأهولهم وأعراضهم
 ونحاهم وماهدهم على هذه الحماية خلفاء المسلمين كل . احاء خليفة يؤكّد عهد
 السابق . مدى هذه القرون الطويلة ولا يوجد الى هذا العهد من قادة الأمم
 المصرية وحملة لانجيل في الممالك العريسة من يمرق غشاء المعصب الضميق

وينصف المسلمين في دينهم وديارهم ولو بحسنة من حسناتهم اللهم ان هذا المنتهى الصمص في الوجدان والتجرد عن المدل والتقص في لباس الاوهام والى الله نبأ عنه . ماشر المسلمين . هما كان حالنا واتي بلع انحطاطنا والتاريخ شاهد عدل

رب . مترض يقول اتنا بالعناني تغنت الأثم المسيحية والنرى من وصدة العصب الذم . يم الذي نرعي به الدول الغربية مع أن المسلمين بشر كاؤلئك الناس لا تشره نفوسهم عن الظلم والعصب ولم يخل تاريخ حكومتهم من اعنات رعيتهما من غير المسلمين وان كان دينهم يأمرهم بحاسنة أهل حوارهم من الكتابيين فحبيب عن ذلك نعم ان المسلمين ليسوا بملائكة . مصو . ين هبطت عليهم السكينة من السماء الآن دينهم الذي أمر بالمدل بين الرعية والوفاء بعهود أهل الدمة وجاء للتأليف بين القلوب ونهى عن ظلم أهل الكتاب والتمسدي على حقوق الجوار هذب نفوسهم واجتث أصول التعصب الاعمى من أدمتهم فكانوا أحسن الامم . ماشرة مع محاورهم من الكتابيين فأطلقوا لهم حرية الدين واقامة الشعائر والمادات وأنوهم على المال والارض وحرية المتاحرة وشاركوهم في الاعمال وحسبك من ذلك أن السارع سعى الرعية غير المسلمة ذميين أي داخلين في ذمة المسلمين وعهدهم لا نصارون في عرض ولا نفس ولا مال فأصبح هذا الاسم علما على المسيحيين واليهود عند المسلمين يذكرهم بالهداذا اسواويستلينهم اذا قسوا واعمالهم اسماءون هذا الاسم الآن كما تاسو كثيرا من شعائر دينهم وتساحوا أصول شرعهم . اذا فصح في المسدين شئ من روح التعصب على المسيحيين وجفوا حوارهم في الوطنية وان لم يكونوا حو . في لدس فانما كان بافح هذه لروح ومصرنا المرفقة والحداء بين التريقين حروب اصيل اي أسمر لهم في المشق حطاء الدين والسياسة في الممالك المسيحية . ولا ذلك من

تحويل قوة لعلب في العصور المتأخرة إلى الدول الأوروبية وإيفالها بسبب ذلك في التحكيم الجائر على دول الإسلام والتدخل بشؤون المسيحيين في المشرق تداخلا ممزوجاً بالانغراض السياسية مبنياً على القسوة والجسوت في مناوأة دول الإسلام مع ما يضاف إلى هذا من دس الدسائس للتفريق بالمسيحيين في مساوئهم لمحاویرهم المسلمين والخروج على الحكومة الإسلامية بدعوى الظلم من جور الحكام الظالمين حتى أصبحت المملكة العثمانية مذبذبة تقريباً كعیدان حرب تراع فيه أرواح المسلمين والمسيحيين بالحريرة ولائم الأجله الذي نزع بهم في غمار العتق خدمة لمصلحة الدول الأوروبية على غير علم عن يخدمون ومن ثم كان المسؤول عن نشر روح الحفاء والتعصب في نفوس المسلمين هم قادة المسيحية وساستها وحمله كتابها لا المسلمون أنفسهم

أجل قد وجد في بعض العصور الإسلامية ناس من علماء الدين الإسلامي متعصبون تأسوا وصايا بهم وحلفائهم الراشدين أهل الدولة لكنهم أفراد من أهل العلم الناص لا يدبى على عملهم حكم إماما تطرق اليهم ذلك التعصب من بعض مذاهب الشيعة الذين يتأولون الآيات بما يوافق مذهبهم الباطل ساعهم الله وهداهم ومع هذا فلن يبلغوا مبلغ علماء الدس المسيحي من التعصب ضد الإسلام والمسلمين كما أنه وحدهم نعتوا في الحكم وأدوا أهل الكتاب فسابوهم كثير آمن مرأيا التمتع بحسن المجاورة والمعاشرة مع المسلمين لكن أولئك قوم قد رعى الله لرحمة من فلو بهم وفصرت عن مدارك العدل مداركهم وكان المسلم والدعى في حورهم سواء واني وليقي المسلمون هم من البلاء أكثر مما يليق المسيحيون على أن الدول الأوروبية لو تركت المسلمين وشأنهم مع مواطنيهم من المسيحيين ومنه نفث فيهم سم السافر ولجفاء لو جدوا أنفسهم سيلا للراحة

ومندوحة عن تحمل الظلم والعناء

ومع هذا فان جور بعض الحكام لا يستتر أساساً في نوع الحكم والحكم في
معاملة الديمي في الاسلام هو ما رأيت مما صرف في هذا الفصل من عناية الخلفاء
بالكتابين ووصاياهم باهل الدمة والهدوا اذا قابلتا بين هذا الحكم وبين الحكم
في معاملة المسلم عند الدول المتمدنة المسيحية في هذا العصر لرأينا الفرق واضحاً
والتباين بينهما واضحاً إذ أن الاسلام لم يأت بقانونين متباينين لحكم الامم العالبة
والمغلوبة وانما أتى بقانون واحد للناس كلهم في شرع سواء وامانة العلب التي
أتيحت في العصور الماخرة للدول المسيحية فقد نرعت من قلوب رعمائها كل
حسان ورحمة في معاملة المساكين معاملة القوي القاهر للضيف المملوب حتى بلغ
بتلك الدول أن جعلت وزارة المستعمرات منفصلة عن حسيم الحكومة الوطنية
تدير شؤون رعيتهما على أساس العسف والاستبداد وان كانت تدار شؤون
أمتها العالبة على أساس الدستور والعدل وحسبك من هذا أن دوله فرانساي
توسعت في هذا العصر بدعوى الانسانية والعلم والحرية أصبحت أشد الدول
المسيحية وطأه على رعاياها الماين ونزع الرئساويون في الجرائم نار القوة
والجبروت فارتعوا من المسلمين أراضيهم وأملأكم وأوفاهم وحجروا على
حرية التعليم عندهم واستبدوا في أموالهم وأرواحهم حتى بات خربى في حاله
من الصك والفقر والجهالة يعمطر لها القلب وحتى كانت الدولة الفرنسية
الدول الى المسلمين في هذا العصر ويتلوها في المرتبة هو لا بداني معاملة الاساسه
لمسلمي الحاوى ويتلوها للمساكين معاملة المساكين "وسهوه رسلك ويتلو هذه
الروسية وحكومات البلقان وهكذا كل دولة ورسة لها صاب من حلم المسلمين
وتمتهم ومع أن دوله الكبراهي أحف لدول لمسيحة رداءه على المسلمين

وأسد هن سياسة في المستعمرات وأطلقت من حرية التعلم والتملك والمتاجرة والدين في مستعمراتها الشرقية سواء كانت اسلامية أو غير اسلامية الا اننا نرى بين الحكومة الانكليزية في حكمها في البلاد الشرقية وبين الأمة الانكليزية في معاملتها الشرقيين بونا شاسعاً وفرقاً عظيماً اذ يننازي أساس الحكم الانكليزي في الأمم الحاصلة له خارج الجزيرة البريطانية مبنياً على ما تقدم من حسن السياسة نرى من وجه آخر أفراد الأمة الانكليزية يمتحنون الشرقي امتحاناً لا يطيقه بشر بل لا يجوز صدوره عن بشر ويغالون في حب الدات الى حد يكاد يبعث للسليين وغيرهم من المحكومين لتلك الأمة ذلك الحكم الانكليزي مهما بلغ من العدل ومن أغرب ما رأينا في الحرائد من هذا القبيل ان أحد أمراء الهند الكبار مر على مدينة رأس الرجاء الصالح في افريقيا الجنوبية من عهد قريب فلم يتيسر له النزول في فندق من فنادق تلك المدينة لانها كلها تصيف الانكلز ولا ساهل لشرقيهما كان مقامه أن يدخل مكانا فيه رجل انكليزي بل والانكليز هناك يأبون ان يروا معهم حيثما كانوا راحل من الشرق ورأينا كثيراً من أمثال هذه الحادثة في الجرائد مما يدل على التناهي في الحروت والاعراق في حب الدات^(١)

(١) بعد كتابة هذا الفصل اطعنا في العدد ٣٥٨١ من حريدة المؤيد الصادرة يوم الاحد صرة دي القعدة (١٣١٩) على رسالة من دربال سال في افريقيا الجنوبية يقول امر سل فيها ما نصه . ارساب لكم نسخة من حريدة (مكرى) المطبوعة في ستال في (بور نايريت) وهي ان المؤذن يبا كان واقفا على رأس مسلة عالية يؤذن فلم يشعر الاوصاق باري أسابه من بدأ أحد المتعدين الانكليز لانه أرعجه بصوته فسقط انؤذن على مسسه خراء م مرقعة قصت عجبها في هويها (كدا) وقد قص على الخاني وهيها ن ياتي عتاب انوت لانه لم يعهد ان انكليزاً يقتل في وطني هده لدير ولا في السرقة كله ثم ذكر حادثة أخرى وقعت لامام هذا الجامع يأتي العلم أن سؤذكرها صحت هـ الكدا

فأين ما تعامل به المسلمين الدول الأوروبية في هذا العصر الذي دالت به
 لمن الدولة وأتيح لهم اللعب على الأثم مما كانت تعامل به دولة المسلمين في أبان
 مجدها وأيام فتوحها رعيتهما من المسيحيين وأين ما تعامل به عمر بن الخطاب ومن
 بعده من الخلفاء أهل الكتاب من التجرائين مما تعامل به دولة فرنسا مسلمي
 الجزائر الذين لم يبق لهم أرض ولا مال ونزع ذلك منهم الفرنسيون بلا عوض
 ولا حق ولا عدل

لا جرم أن الحق والعدل والانصاف يقضي على حملة الدين المسيحي الذين
 كانوا يصورون المسلمين في صورة وحش صاران يصوروا المتمدن الأوروبي
 وأهله في أقبح صور الحيوانات وأخس لباس التوحش والهمجية لعداء بسطانه من
 المقابلة بين حكم الاسلام في المسيحيين وحكم التمدن المسلمين ومن العار على هذه
 المدنية أن تصل إلى أرق درجات الرهو بالمظاهر والصور وهي تنحط إلى
 دركات التسفل في الاخلاق والسائي عن الرحمة والبعده عن فضيلة العس فتقتض
 بأهلها على المسلمين انقصاص الحوارح على فريستها الضعيفة ولا ذنب لأؤلئك
 المسلمين الا كونهم كانوا أمة عزيزة الجانب قوية السلطان فأتاح الله لهم
 وسائل الملبة على الامم وبسط حناح السلطان على حزم عظم من الارض حكموا
 أهلها بالعدل وساسوا رعيتهم بقاعدة الاحا والمساواة وأحيوا تمدن الرومان
 واليونان ونشروا على الممالك نور المدنية والعلم حتى إذا دالت بحكم سارع البقاء
 دولهم وانطفأ مصباح مدنيته واحتل نظام الحكم بتعبد شروعات أمراشهم
 وحمل فادتهم أصحابو في نظر الدول لأوردية ذات ألعاب عليهم لا يستحقون
 الرأفة ولا يحارون انهم "الظم والاسعاد" من هذا شيء عجب
 يقول الأوروبيون إن المسلمين أمة تفتح فيها روح المعصب واجتهد

والنصر ان لا دين يدينهم من الناس وهو قول مبني على الاستمرار النقص عند
 الباحثين وعلى الغرض أو التعصب التبعي عند السياسيين وعامة القائلين بهذا
 القول وإنما تسلط هذا الوهم على عامة اللاوربيين لما كان نكته عن الاسلام رؤساء
 الدين المسيحي في أوربا في القرون المتوسطة من الاضاليل التي كانوا يدون
 بها لإضاف تيار الاسلام ومن ثم أصبح اللاوربيون حتى هذا العهد كأنما هم في عالم
 والاسلام في عالم آخر لم يتختموا من امرأة وأمر أتباعه شيئاً في الدين والاحلاق
 ولو بحثوا عن ذلك أقل بحث مجرد عن الهاية السياسية والتعصب لأدركوا خطاهم
 بداهة الحس اذا ن قوماً مصي عليهم ثلاثة عشر قرناً هم باد طون جناح السلطان
 على قسم عظيم من الارض يقطنه ملايين من المسيحيين يتمتعون الى الآن بسائر
 ما يتمتع به الوطني في وطنه لقوم تشهد لهم بداهة التاريخ بأهم الرم الاقوام لأدب
 الجوار وأبعدهم عن تحكم العلب وجبروت السيادة لدى يطهر من كل فاتح عظيم
 آن للاوربيين ان يعزقوا عن نصائرهم حجب الغرض والوهم ويبدلوا ان
 لاسلام يأمر أهله بالتآلف وحسن المعاشرة والجوار ومعاينة من أحسن اليهم
 وان لا يخاصوا الا من حاشنهم وأراد امتنانهم وان المسلمين بما فطروا عليه من
 كرم الاحلاق وحيل المعاشرة أعظم الناس اعترافاً بالجميل ورضى بالقضاء وميلاً
 للفصيلة وقد قصي جهل أمرائهم تنقلص طل سلطانهم السياسي عن معظم
 ممالكهم الشاسعة فدالت دوله المشرق للعربيين فاذا حكمهم هؤلاء بالعدل
 وساسوهم بالرأفة وعاملوهم معاملة الطير امتلكوا قلوبهم واستأسوا بآفهم
 واستفادوا من إخلاصهم كما تستفيد الآن دوله انكلترا من اخلاص المسلمين
 الدين تحت حكمها الواسع لاطلاقها لم حرية الفكر والدين ونشرها بينهم أنوار
 المعارف والعلم والأمن الظلم الفاضح والعار المشين على الدول المتمتدة بالمسيحية

وأخصها بجمهورية فرنسا الحاضرة على المسلمين أن تعامل بحكمومتها من المسلمين
بمكس ما تعامل به الدول الإسلامية حتى هذا اليوم رعاياها المسلمين من منحهم
حرية التمتع بشأر ما يتمتع به رعاياها المسلمون من الحقوق لا سيما في الملكية
العنانية ومن البت أن تحتفظ الدول الأوروبية لنفسها خطة العسف وحب الآخرة
والجور في حكمها في المشرق وترجو مع هذا تمكن سلطانها في هذه الجزر العظمى
من الأرض وفيه ثلاثمائة مليون من المسلمين كانت لهم السيادة عليه والسلطان
العظيم فيه ومن الحكمة وحسن السياسة أن يعوضوا عن هذا السلطان بمجمل
المعاملة وحقوق الوطنية والقرار ولو كانوا أمة صغيرة أو شعباً حقيراً لا يؤبه له
كهنود أمير كامبالاسع للدول الأوروبية أن تعاملهم بما شاءت من ضروب
القسوة والاذلال حسب ما يوحى به اليها شرع التمدن الحديث وأما أمة كالمسلمين
شأنها ما ذكرنا من نافي الحال إن ترضى لنفسها الاذلال وإن طال عليها المطال والله
ولي الرشد وهو الموفق بين القلوب

— باب —

﴿ فتوح الشام ﴾

علمنا ما مر في الجزء الأول كيف أن الحيوش الإسلامية قلت جموع الروم
على اليرموك ودكرامة ما كان من الحلاف بين المؤرخين في ترتيب الوقائع التي
كانت قبل ذلك إلى فتح دمشق وفي الحقيقة إن تلاحق الوقائع التي حدثت بالشام
من أوائل السمة الثالثة عشرة إلى أوائل السمة الرابعة عشرة أو حداصراً ما في
الروايات في ترتيب تلك الوقائع واختلافاً بين الرواة في تعيين الرمن لا في أصل

الوقائع بل هذه اتفق عليها ثقات المتقدمين من رواة تاريخ الفتح الاسلامي كسيف ابن عمر الأسدي وابن اسحاق والواقدي ومن تلامهم من مدوني التاريخ كابن جرير الطبري والدينوري وابن واضح وغيرهم من المتقدمين وقد استقصى ابن جرير في تاريخه معظم الروايات الواردة عن المحدثين بأخبار الفتح على اختلافها وترك الحكم فيها للاداة شأن كل المؤرخين في الاسلام ونحن نتمتع بما اعتمد المؤرخون بعد في سرد الوقائع المختلف في تعيين زمنها إذ ليس سرد الروايات من الاعمى في شيء مادام من الثابت حصول الوقائع وما أطل ذلك الاختلاف بين الرواة ناشئاً إلا عن حصول عدة من الوقائع في آن واحد أو ردها الرواة متفرقة من طرق شتى فاحتلط أمرها على المؤرخين وبعض الرواة أو اتت لاحق لبعض الوقائع ببعض أو جب ذلك الاختلاف كما ذكرنا قبل والمرة في كلا الحالين في تحقيق الخبر لا في تعيين الزمن كما لا يخفى على بصير

﴿ فتح دمشق ﴾

(وانحيار هرقل الى حمص)

لما انتصر المسلمون في وقعة اليرموك كان هرقل في اورشليم وقد حارها لاجل الاحتفال بعيد تخلص الصليب المقدس الذي استرده من دولة الفرس قبل ذلك ولم يكن هو ورجال دوابه بموقعين بان قوة المسلمين تبلغ من كيدهم ما لم تبلغه حيوش دولة الفرس العظيمة حتى حاربه خيرا انتصار المسلمين في اليرموك فنخب قلبه وأسقط في يده فطر رأى أن مقامه في اورشليم (القدس) خطر عليه سيما اذا انساح المسلمون في أحساء البلاد فأمرع بالرحيل الى شمال سورية ولحق بمدينة حمص ليجعلها مقراً لآعماله الحربية ومن ثم أخذ يبيت المقاتلة ويذكر اليون ويسرح القواد الى مواقف الحرب وسلم أحاد تدارق (لعل تيودور) القيادة العامة

وتربص هوي حمص وقد أخذ عليه بض المؤرخين عدم حضوره الوقائع بنفسه
وانه لو حضرها لكان ذلك ادعى التشجيع من دونه وأرعى للنصر على أن هرقل كان
ملكاً حازماً لبس بالجاهل ولا الجبان يدلك على هذا طرفة قله حرب مع العرب
بالفرس^(١) لهذا فلا بد لتحاب هرقل عن حيشه في حرب المسلمين من عذر

(١) كان الفرس عسروا بلاد الروم ودوحوا بممالك الدولة البرطية حتى وصلوا
الى القسطنطينية وذلك حوالى سنة (٦١٤ م) فاشهر هرقل عليهم الحرب ثانية
سنة (٦٢١ م) أي بعد الهجرة بسنة واسترد هذه البلاد والقصة مشهورة جاءت في
القرآن الكريم في قوله تعالى (ألم عانت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عالمهم
سيعابون في بضع سنين) ولعمري نادى الارض ادفعات وهي أدنى أرض الروم الى
العرب وكانت الروم قد هزمت بها في بعض فائتها وكان سب رول الآيات ان
السي صلى الله عليه وسلم كان قد ساءه وساء المساهين طهر الفرس اولا فالروم لان
اروم أهل كتاب وروح مشركو العرب لان المحوس أميون مثاهم فلما رلت هذه
الآية راهن أبو بكر الصديق أني ن حاف على أن الطفر يكون للروم الى تسع
سين مصداقاً لما رل به القرآن ولرهن مائة بغير (ولم تكن الرهن يوشد حراماً)
فطمرت الرو وعاء أو كر وأنى الحرب لطر الروم النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية وكانت سنة ست للهجرة واد كانت حملة هرقل على الفرس بدأت سنة (٦٢١ م)
أو ابى بعدها أى قبل الهجرة بسنة واحدة وكان الروم عالموا مرة في هذه السنة
فكون اسمرت هذه الحرب نحو سبع سنين واهت ططر روه مصداقاً لما رل به
القرآن الكريم في قوله تعالى (في بضع سنين) والبضع مائتين الاربعة الى تسعة وقد
جاء في نوارخ العربيين ما يؤيد ذلك وحصل ما ذكره عن هـ - اخاذت ادور دجه
الانكليري في (تاريخ الامراطوره الشرقية) ان كبرى اروم ملك الفرس عرا
لحمه مملكة ارومان اشريقية « انصية » في سنة ٦١٤ م - لاسب لا محل لذكرها
هنا ودوح سورية ومصر و - يا مصرى حتى وصل الى حدود القسطنطينية وم
رأى الامراطور هركاهس هرقل د حصر لمحق لعهته حتى ر هو
حرب الفرس قرها ر سقط في يدهم فحرقوه لا عصي شحه مثاله
وامؤل وحرقه في سنة ٦٢٢ م من قسطنطينية حتى اع هسوا - جباوة

ما يصاحب عامة المقاتلين من الشجاعة البرية وكمال الايمان وعدم الرهبة من الموت في سبيل نصرة الاسلام وتعميم دعوة القرآن . لهذا فلا يتوهم من متوهم من بداوة أولئك الفاتحين الشجعان أن حروبهم مع الروم والفرس كانت همجية على غير نظام ولا ترتيب بل انهم كانوا على أحسن ما يكون من البصيرة بأمر الحرب يعلم هذا من دقق النظر في كيفية حروبهم مع الروم في الشام وكيفية قيادتهم للجيوش وتبصرهم في تدوير البلاد كما سيأتي بيانه في غصون الكلام على فتح دمشق وغيرها وسنذكر له فصلا خاصا تفصل فيه الكلام على ذلك أحسن تفصيل ان شاء الله تعالى وهانحن ذاكرين هنا كيفية سير المسلمين الى دمشق بعد اليرموك فعلا عما ذكره الضري من رواية سيف وذاك بمض تصرف واختصار قال

لما هرم الله جند اليرموك وتهاقت أهل لواقصة وفرع من المقاسم والافال ولعث بالاحماس وسُرحت الوفود استحلأ أبو عبيدة على اليرموك بشير من كعب بن أنى الحميري كي لا يعمل ردة ولا تقطع لروم على وادّه^(١) وخرج أبو عبيدة حتى نزل بمرح الصفر وهو يريد اتاع القاعة ولا يدري يحتمه من أو يعترقون فأناه الخبر بأنهم احتمه وابعجل ورا المدد قد أتى أهل دمشق من حمص فهو لا يدري أدمشقيد أو مجل من بلاد لاردن فكذب في ذلك في عمر وانتظر الجواب وأقام بالصفر فلما جاء عمر فرح اليرموك أقرا لأمرا على ما كان استعملهم عليه أبو بكر الآم كان من عمرو بن العاص وحالدين الوايد فانه صم حالدا الى أنى سمده وأمر عمر بمهوية الناس حتى صبر حرب في مسحين ثم يتولى حربها

ولما انتهى كتاب أنى عميدة في عمر بالذي يسمي نيدنه كتب اليه ما مد

(١) أي كي لا تقطع ما يحتمه مواصلة حتى لا يمدح معروفا في من حرب

فأبى أبو عبيدة أن يذهبوا لها حتى بالشام وليت طلبكم وأنتم أهلكم أهل
فحل فحل تكون الروايات في محروم وأهل فلسطين وأهل حمص فإن حمص الله
فحل دمشق فذلك الذي يحب وإن آخر فحلها حتى يفتح الله دمشق فليزول
بدمشق من يملكها ودعواها وأطلق أنت وسائر الأمر حتى تعبروا على فحل
فإن فتح الله عليكم فالصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شريحيل وعمر أو أخطما
بالأردن وفلسطين وأمر كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته

فسرح أبو عبيدة عشرة قواد بأبا الأعور السلمي وعبد عمرو بن يزيد بن
عاصم الحرشي وعاصم بن حنثة وعمر بن كليب من محصب وعمارة بن
الصعق بن كعب وصيبي بن علب بن شامل وعمر بن الحبيب بن عمرو وأبلة
(أو وليدة) بن عاصم بن خنثة وشر بن عصمة وعمارة بن محش (أو مخشي)
قائد الناس ومع كل رجل خمسة قواد وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى
لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم فساروا من الصفر حتى نزلوا قريباً من فحل فلما رأوا
الروم أن الجود تريد بهم بثموا المياه حول فحل فاردغت الأرض ثم وحلت واغتم
المسلمون من ذلك وحسن من فيها من المسلمين وكان أول محصور بالشام أهل
فحل ثم أهل دمشق

ولم يأت أبو عبيدة إلا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردةاء ولما
علقت بن حكيم ومسر وقافكا بين دمشق وفلسطين والامير يو. ثم يزيد بن
أبي سفيان^(١) فقدم خالد بن الوليد على مجنتيه عمر وأبو عبيدة وعلى الحيل عياض
ابن عم وعلى الرجل شريحيل بن حسنة فقدموا على دمشق وعلى الروم نسطاس
ابن نسطوس (وفي رواية ناهان) فحصروا أهل دمشق ونزلوا حولها فكان

أبو محمد علي أخيه وعمر وعلي أخوه ثم خالد علي أخيه ون دخلت الجيوش قوه على
 (هرابكوس) يومئذ جمع من حاصروا أهل دمشق نحو أربعين ألفه حصاناً
 شهيداً بالحب والبرقي والحقيق والروم منتصبون بالمدينة يرجون الفيات
 ودوا الكلاع بينهم وبين حصن يبع عنهم المدد وجاءت خيول هرقل وميشة
 لأهل دمشق فاشجتها الخيل إلى مع ذى الكلاع وشغلها عن نصرة الدمشقيين
 فلما أيقن أهل دمشق أن الأمد لا يصل إليهم فشلوا وهنوا وقد كانوا يفتنون
 أنها كالفارات قبل ذلك إذا هجم البرد قتل المسلمون فسقط النجم والقوم
 مقيمون فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق وفي غضون ذلك
 ولد الباطريق الذي على أهل دمشق ولودفاً عدل القوم ولحقاً كلوا وشرنوا
 وغلبوا عن موافقهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالفاته
 كان لا ينالم ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمرهم شيء عيون دأكية وهو مغني بما يليه
 قد اتخذ حلالاً كريهة السلام وأوهاقاً فلما أسي من ذلك اليوم نهده من معه من
 حنوده الدين قدم بهم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذهور بن عدي
 وأمثاله من أصحابه وقالوا إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إليها وانهدوا للباب
 فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا الحبال الشرف وعلى
 ظهورهم القرب التي قطعوا بها الخندق فلما ثبت لهم وهقان تسلق الققعاع ومذهور
 وأمثالهما وهقان الشرف فتسلق خالد وأصحابه وكان المكان الذي اقتعدوا منه
 أحصى مكان يحيط بدمشق وأشد مدخلا ولما استواء على السور حذر خالد
 عامة أصحابه وأحضر معهم وحلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي وأمرهم
 بالتكبير فكثر الدين على رأس السور همد^(١) المسلمون إلى الباب ومال إلى الحمال

بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد الى أول من يليه فأنامهم وانجدد الى الباب
فقتل البوابين وثار اهل المدينة وفزع الناس ولا يدرون ما الشأن وتشاغل
أهل كل ناحية بمن يليهم وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف
وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى مادي ميايلى باب خالد مقاتل
الاثنى عشر ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة اجتمع من أقات
الى أهل الابواب التي تلي غرد وقد كان المسلمون دعوهم الى المشاطرة فأبوا
وابعدوا وجاءوا الآن يدلون لهم الصلح فاحابوهم وقبلوا منهم وفجروا لهم
الابواب وقالوا ادخلوا امنونا من أهل ذلك الباب فدخل أهل كل باب بصلح
مما يليهم ودخل خالد ميايلى عود فالتى خالد والقوادى وسطها هدا استعراصا
وانتهاوا وهذا صلحا وتسكينا فاجروا ناحية خالد مجرى الصلح صار صالحا وكان
صلح دمشق على المقاسمة الديار والمقار وديار عن كل رأس فاقسوا الاسلاب
وكان أصحاب خالد فيها كاصحاب سائر القواد وحري على الديار ومن بقي في الصلح
حريب خنطة من كل حريب ارض ووقف ما كان للملوك ومن صوت منهم
فيها^(١) وقسموا الدي الكلاع ومن معه ولا بني الأتور ومن معه وابشرو من معه
(وهم القواد الدين أرسلهم أبو عبيدة ليحولوا بين دمشق والامداد) ولعنوا
بالشارة الى عمر وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر أن اصرف جند الدراق الى الدراق
فسترحهم وهم عشرة آلاف وعليهم هاتم بن عتبة ومنه القمعاع بن عمرو

(١) "ي" هو مايل من انحار بعد وضع الحرب اوررها وصيرورة داره
- اسلام وهو الحرية وعشر التجارة وما يصح عليه من المال وحكمه ان يكون
سائر مسلمين فيه نصيب وقدره الكلاء على هذا تصيرا في كتابنا (بنيه الافهام
الى مصالحة الاحتماء ولاسلام) اذ انما ان ما ترمى اليه مقاصد الاشراكين
في هذا امر سقيم لا لاسلام لكن على وجه معقول لا يصحده أحكام العدل والحس

وذكر البلاذري في سبب فتح دمشق غير ما تقدم من رواية الطبري وقال ان فتحها كان بمائة الاسقف الذي كان أعطاه خالد عهداً وأماناً على دمشق حين مروره عليها في أول مجيئه الشام وذلك بان أرسل اليه الاسقف بعض أصحابه وأعلمه بان القوم في عيد لهم وان الباب الشرقي ردم وليس عليه أحد من الحرس (وقدمت حكاية هذا الاسقف وصورة الكتاب في سيرة خالد بن الوليد) وان خالد لما دخل المدينة كان أبو عبيدة دحاهم من باب آخر عنوة فالتفتا في دخولهما بالمقسلاط وهو موضع النجاسين بدمشق وهو الريص الذي ذكره حسان ابن ثابت في شعره حين يقول

يسعون من ورد البريص عليهم ردى يصق بالرحيق السلسل
ولا يحى ما في هذه الرواية من الوهن لان الصحيح الثابت في الاخبار أن
أبا عبيدة لم يدخل دمشق عنوة بل دحاهم أصاحاً

وقد اتفق كثير من الرواة والمؤرخين على أن الذي تولى عقد الصلح مع
الدمشقيين هو خالد بن الوليد وأما له أبو عبيدة بمداً أطلمه على كتاب عمر
(رضي) بوزله عن امارته ومم ذكر هذا الطبري في روايته عن ابن اسحق
والبلاذري في تاريخه فتوح البلدان وفي هذا ما يدل على أن خبر عمر لـ خالد لم يأت
وهم على اليرموك بل اعانني وهم على دمشق أو مرح الصفر وكتبه عنه أبو عبيدة
ريثاً تم الفتح وفي حكاية قيام المسلمين من اليرموك وترصهم في الصفر في انتظار
كتاب عمر الذي ينبغي أن يبدو أنه ما يستحق منه ترحيح ورود الكتاب بـ دل
خالد وهم على الصفر والله أعلم

وأما صلح أهل دمشق فقد كان كما مر في رواية الطبري على دينار على كل رأس
وحرب من الحطة على كل حرب من الارص وعلى المقاسة على المقار والديار

على أن هنالك ما يوهن رواية من روى أمر المقاسمة فقد جاء في كتاب كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح مانصه (وأما الخنطة والشعير التي وجدتوها في دمشق وكثرت مشاحرتكم عليها فهي للمسلمين وأما الذهب والفضة فقيهما الخمس) وهذا يدل على أن المسلمين اختلفوا في هل يشاطروا الدهشقيين على نصف ما وجدوه عندهم من الدينار والدرهم فكتب أبو عبيدة يستشير في الأمر فأمره أخذ خمس الفضة والذهب فقط وسير معه هذا الكتاب بحملته في باب كتبه أن شاء الله

وقال البلاذري في فتوح البلدان مانصه «رعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحو على انصاف منارهم وكنائسهم وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواعدي قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أراه انصاف الممارل والكنائس وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو باطاكية فكثرت فضول منارها فنزلها المسلمون انتهى ما نقله البلاذري من قول الواقدي ويؤيده كتاب خالد بن الوليد الذي أعطاه لأهل دمشق وفيه الأمان على كنائسهم ودورهم لا يسكن منها شيء وقد صرحت صورة الكتاب في سيرة خالد على أنه سواء صحت هذه الرواية أو الرواية الأولى فإن المسلمين أجزوا النصف كنيسة ماري وحنجرى الصلح والنصف الآخر حجرى السيف وهو النصف الشرقي الذي يلي الباب الذي دخل منه خالد بن الوليد وحملوه مسجداً لهم ومارال كذلك حتى أيام الوليد بن عبد الملك فاسترى النصف الآخر منهم وجعله كله حامعاً لم يزل يعرف لهذا العهد بحامع نبي أمية وسيأتي الكلام عليه في سيرة الوليد أن شاء الله

وأما باقي كنائس دمشق والمعروف أنه كان منها يسدهم لعهد من المسلمين

الى خلافة عمر بن عبد العزيز خمس عشرة كيسة وروى البلاذري ان بعضهم
أقطع كيسة منها لبنى نصر فردها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى النصارى
هذا وأما الحرية فانها كانت في بادىء الامر دينارا على كل رأس كما علمت مما تقدم
ثم عدلها عمر بن الخطاب (رض) في اهلها على ثلاث طبقات على النقي بنسبة غناه
والموسط بنسبة توسطه والفقير بنسبة فقره

الى ههنا انتهى ما أجبنا ليراده من الحر عن فتح دمشق الى كانت أم المدن السورية
ومهد الصاعدة الشرقية ورهرة البلاد وادارت بعد الفتح الاسلامي لاسيما في
عهد الامويين مجدا على محمدا وعمرانا على عمرانها وأما ولايتها بعد الفتح فقد
صارت الى يزيد بن أبي سميان ثم الى أخيه معاوية ثم قدر لها ان تكون بعد
ذلك عاصمة ذلك الملك الاسلامي العظيم المتمدن حدودا له في الشرق الى
شواطئ الاطلانتيك في الغرب على عهد الامويين لاعاصمة سورية وحدها
وسياى الكلام على هذا في محله ان شاء الله

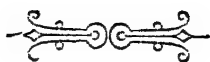
وقد احتلم المؤرخون في الزمن الذي افتتحت به دمشق فروى بعضهم
انها فتحت في اواخر سنة ١٣ للهجرة وبعضهم قال في أوائل المحرم امتاح سنة ١٤
وامصهم قال انها فتحت في رجب من هذه السنة وامله الاصح

﴿ بطلان خبر ﴾

سألى بعضهم عن حكاية رآها في تاريخ الكليزى وهى ان خالد بن الوليد لما فتح
دمشق صاح اهلها على أن من يريد منهم الخلافة بل بعد سمره الاثني ايام داهمت
وادركه المسلمون فدموه بهدوروا هل دمسق حلو وتبعهم المسلمون بعد
ثلاثة ايام فملوهم ولا يحى ، في هذه الحكاية من انه ارعى المسلمين يومئذ
لوصح عنهم مثل ههنا خبر مع انهم كانوا في لائم الماتحة له بهدواهم عن

مثل هذا الظلم الذي بالأمم عليهم واستمر عنه منهم العربية وإحلالهم القبطية فحدث
عن هذا الخبر في أدونه رواية الأخبار من المتقدمين كالطبري والبلادي وابن
أصبح المعروف باليعقوبي وفي تواريخ النصارى كناريخ ابن الأثير الذي هو أول
التواريخ فلم أجده لهذا الخبر من الروايات في بعض تواريخ معاصرينا من
المسيحيين كناريخ سورية لرحى أفندي نبي وتاريخ الوائى لامين أفندي شميل
وكلا التاريخين وإن كان مؤلفاهما عريسين إلا أن عبارتهما تدل على أن ما في
التاريخين مترجم عن لغة أعجمية لم تذوق طعم العربية البتة وإن المؤرخين كانوا أبعد
الناس عن تحقيق أمثال تلك الحوادث من كتب التاريخ العربية الوثيقة التي لم
تعد كبيرة ولا صغيرة إلا أتت على ذكرها تفصيلا في البعض وإحمالا في البعض
الآخر ولم تعمل حادثة من أدنى حوادث الفتح فكيف تعمل مثل هذه الحادثة
ولعل بعض مؤرخي الأوروبيين الولعين بالبحث عن مساوي المسامين وستر
محاسنهم التقطوا ذلك الخبر من كتب المعاري والقصاصين كفتوح الشام وأمثاله
من الكتب التي هي أبعد عن الثقة وأقرب للخلط والحبط منها إلى التاريخ أو عن
كتب مؤرخي الروم وهي لا تخلو عن لعو القول والمبالغة في ذم الفاتح الطمع
على أنه مما يوهن أساس هذه العربية ويدل على بطلان هذا الخبر ما قاله بعض
مؤرخيهم من أن المسلمين ادركوا أولئك الناس وراء اللادقية وفتكوا بهم
بعدا نقضاء الاحل (وكان برعمهم ثلاثة أيام) ومن البديهي أن البلاديوم مذكات
كلها دار حرب وكانت الحدود الرومانية والسورية كلها مراطة في اللاد واقعة
على قدم الأهمية لصدة المسلمين الذين لم تكن سلطتهم بعد تجاوزت دمشق
وحوران والباس واقعون لهم على قدم الاهبة في كل مكان لما يتوقعونه من
انكفائهم على اللاد بعد فراغهم من دمشق فكيف يتيسر لسرية مهم أن تقتحم

البلاد على ما وراء اللافقة وهذا حال أهلها من الرضا والاستعداد والاطمئنان
 لجند المسلمين على تتبع أوقافهم طم عليهم مديونيات إذا قيل الطمع فيقال إن
 انماهم البلاد لم تزل فسيحة الارضاء كثيرة الغنائم والخيرات وليس فيهم من
 يشك بمصير البلاد وأهلها وكونها اليهم في أقرب آن وإن قيل غير ذلك من
 نحو التعصب أو الظلم أو غيره فيقال إن التاريخ يرى تلك المصائب المؤمنة بكتاب
 الله لا مر بالعدل الناهي عن الظلم عن أمثال تلك المساوي الشائنة وقدر معنا في
 هذا التاريخ ما يدل على ترفع أولئك القوم الماتحين عن الحساس التي قضى عليها
 نظام دينهم الجديد وشرعهم المستقيم وعدا هذا كله فإن الماتحين مما بلغ بهم فساد
 الاخلاق والظلم فالسياسة تقضي عليهم بالمجاملة والرفق مع القوم المتلويين ريثما
 يتم لهم الفتح والعرب يومئذ قد كان فيهم من القواد المحنكين مثل أبي عبيدة
 وعمر بن العاص وحالد بن الوليد ويريد بن أبي سفيان فكيف يمكنون جندهم
 من إتيان مثل ذلك المنكر والبلاد على وشك الفتح وينبغي للمسلمين ان يتألفوا
 قلوب أهلها بحسن المعاملة وحيل المعاشرة مع أن العرب لم يكونوا في جاهليتهم مع
 شهرتهم بسفك الدماء ومثابرتهم على الغزو يعرضون للنساء والاطفال بالقتل
 فكيف بهم في الاسلام وقد حرم عليهم سفك الدماء ظلماً أن يعرضوا لأولئك
 المساكين بالقتل وربما كان معظمهم من النساء والاطفال أن هذا لما نأناه هو سهم
 العربية وتممهم منه المروءة والدين ادن وذلك الخدر باطل من كل الوحوه واذا
 ورد في كتب مؤرخي الروم مصدره العرض واذا ورد في كتب القصاصين
 مصدره الجهل ولا يشك في هذا عاقل النة



محت

(في هل كانت دمشق قاعدة المسلمين)

سبق لنا في التمهيد الذي قدمناه في الجزء الأول عند الكلام على فتح الشام ان قلنا على سبيل الاستنتاج ان معظم ولاية الشام كانت على عهد الفتح في أيدي العرب وانه كانت عليهم حماية البلاد واليهم ينتمي نحو ذلك السكينة والسلطان الى أن قلنا (والظاهر ان دمشق نفسها كانت عريضة يومئذ بدليل انها كانت تحت الحرث الغساني أحد ملوك بني عسان على عهد الفتح الاسلامي وهي اذن عاصمة ذلك الملك العظيم الممتد منها الى الشمال والشرق حتى البادية ومن الجنوب والجنوب العربي حتى الحجاز والعقبة وكله كان مأهولا بالعرب)

وقد ألمسنا في ذلك الجزء من أهل الفضل والعلم أن يشكروا علينا بدهات مواضع الخطأ فيما نقله أو نرتبه في كل جزء لبأدر الى اصلاحه في الجز الذي يليه فكان ممن أحاب ملتسما الفاضل المدقق جورجى افندي ريدان في مجلته (الهلال) الفراء فأخذنا فيما ذلك القول بعارة تدل على كمال أدب وفضل وتنبؤ عن سعة في الاصطلاح وميل عرفاء به للتحقيق ووه ودى انتقاده على بهذا الصدد ان العرب لم يكونوا يومئذ الا في البادية وحووران وان دمشق لم تكن تحت سى عسان بل كانت حاصرة ولاية يحكمها ولاية من قبل القياصرة وان حاصرة سى عسان كانت تُصرى في حوران وانه لم يقرأ أن أحداً من ملوك عسان أقام في دمشق أو تولى حكومتها الا اذا كنا اطلعنا على نص لم يطلع هو عليه وأن عرب الشام لم يكونوا إلا آله يبدل الروم يسوقونهم لقنال عرب العراق والفرس عند الحاجة وليسوى المكانة التي وصفاهم هائمة ونحن مع شكركم لا حلال صديقنا الفاضل كتابا محل البطر والانتقاد وإقرارنا بالمعجز عن بلوع

شأن المحققين في التاريخ بحجبه مما يلي
 فبنا ذلك الاستنتاج منه على ما رواه الطبري من أن خالد بن الوليد لما جاء
 من العراق لاجدة المسلمين بالشام فتح كل ما مر عليه من البلاد في سروره على
 القلدون الاسفل وكان آخر فتحه ممابلي دمشق (قُصم) وقاتل فيها بني مشجعة
 ثم انحدر إلى المريج من ثنية العقاب فقاتل فيه بني غسان والذي أوهمنا أن الطريق
 الذي مر عليه خالده منذ دخل البادية الشامية إلى أن بلغ دمشق كان مأهولا بالعرب
 جعل الطبري آخر الفتح ممابلي دمشق وقبل وصوله إلى ثنية العقاب (قُصم) وأنه
 قاتل فيها بني مشجعة من قصاعة على أن بعد أن كتبنا ذلك الفصل راجعنا ما كتبه
 ياقوت في معجمه عن (قُصم) فاذا هو يقول أنها موضع بالبادية قرب الشام فذيلنا
 ذلك الاستنتاج بما يفيد ضعفه إذا صح قول ياقوت نقاديا من ارتكاب الخطأ وضع
 الطن موضع اليقين كما رأيت في الحرء الماضي إلا أن هذا اذاني قولنا أن القلدون
 الاسفل كأن مأهولا بالعرب لا يبي قولنا أن ما يليه شرقالى شطوط الهرات
 كان من أماكن العرب بدليل أن ذلك القسم لم يزل من مدارل العرب الرحل إلى
 الآن والبلاد إلى فيه كضمير والقريتين وتدمر والسحنة كل سكانها من العرب
 بل وهناك بعض القرائن التاريخية التي تدل على أن ذلك القسم الذي كان مملكة
 مستقلة عاصمتها تدمر الشهيرة كان محكوما بالعرب ومن تلك القرائن انفراد
 مدية تدمر في طرف البرية في وسط مدارل العرب

ومها أن أحد أشراف هذه المدينة المسمى أوديناثوس الذي قام وهام
 سابور ملك الفرس وأقتك منه بلاد ما بين النهرين (الحريرة) التي كان أحدها من
 الرومان ثم أسس لنفسه ملكا وسط سلطته على الحريرة وسورية في أواسط
 القرن الثالث قبل المسيح قد اختلف المؤرخون في أصله هل هو عربي أم سرياني

فأما رخصا كونه مصرية بقربه موضع ووطه الطبر في وهو يدسرت معان
هذه المدينة وما حولها من البلاد كانت عربية ولم يزل كذلك
وكذلك لا ينق قولنا ان القسم الواقع شرقي دمشق وهو مرج رادط كان
ما هو لا ينق غسان لان النص صريح على ان خالد اوقعهم فيه يوم عيدهم . وكذلك
لا ينق قولنا ان القسم الذي يلي دمشق من جهة الجنوب الى حوران حتى العقبة
والحجاز كانت ما هو لا بالعرب فانه ملوم بالبداهة وكان اشهر مدنه بصرى
واشمسكين واطلعنا في تاريخ الطبري وفي فتوح البلدان على نص يفيد ان شمالي
سورية ايضا كانت بعض مدنه أهولة بالعرب فقد جاء فيها ان انا عبيد قلما افذح
فسرين صالحه أهل حاضر قسرين وكانوا من تنوح ومصر واهذا الحاضر لما
تنحوا فدعاهم الى الاسلام فأسلم بعضهم واقام على نصرانيته نوسليح من قصاعة ثم
اسلموا في خلافة المهدي العباسي وكذلك حاضر حلب وهو غير حاضر قسرين
كان من مدن العرب ولا بعد ايضا ان يكون العرب هم الدين مصر واذ غزوة في
الجنوب الغربي من سورية فسميت غزوة هاشم نسبة الى هاشم الثريد كما يقولون
وحق لقوم يشغلون بالسكى قسما عطيا من سورية ويتوطنون في أحشاء
البلاد مع ما اشتهر عن العرب من حب الاستقلال والحرية أن يكون لهم من
المعوز والسلطان في البلاد أكثر مما لغيرهم من العاصر الأخرى التي كانت تقطن
هذه الولاية العظيمة كالسريان والأرمن والروم واليهود وبقية الأحلاط الذين
هم ليسوا الامن الحالية حاشا العرب والسريان والبلاد وان كانت يومئذ تابعة
لدولة الروم الا انه لا يعقل أن يكون الحسن الروماني أكثر الا حناس القاطنين في
سورية ولا أقواها ايضا وإن كانت بيده حكومة البلاد
ادانقر رهدا فلا بدع أن يكون على الملوك من بني عسان حراسة البلاد

وأن يكون لهم فيها نصيب فأمسروا سلطانكم لاسيما وأنهم رجال حرب كما أنهم أهل زور
وعنى لأن البلاد التي هم فيها كوران والكرك وميسان وتدمر كلها بلاد روم
وضريح وهي من أحصى البلاد السورية ولم تزل كذلك إلى هذا العهد وإذا
أمننا إلى هذا وهن السطة الرومانية يومئذ وضعت سلطانها في البلاد لا تكون
بالبين فيما قلنا عن استعلاء شأن العرب في سورية وإن كان ذلك من قبيل

الاستنتاج

وأما قولنا إن دمشق كانت قبيل الفتح الإسلامي تحت الحارث بن النعمان^(١) النعماني
فأنا وإن لم نقف في شأنه على نص صريح سوى قول الدكتور قانديك سيأتي بيانه
إلا أن هناك من الأخبار التاريخية ما يستنتج منه أن عاصمة بني غسان قبيل الفتح
كانت دمشق الشام ومن تلك الأخبار ما ذكره الطبري في تاريخه عن مجي خالد
ابن الوليد من العراق إلى الشام حيث قال ما نصه

ثم نزل (يعني خالداً) الكتب حتى صار إلى دمشق ثم مرح راهط فلقى
عليه غسان وعليهم الحارث بن الایهم (يريد به جبلة) الخ الجبر
وجاء في السير أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل شعاع بن وهب بكتاب إلى
الحارث بن أبي شمر النعماني يدعو إلى الإسلام فأناذوه ونفوة دمشق بهي
الأنزل لقيصر وقد كان قاصداً إلى بلقاء فشغل عنه الحارث ثم دعاه يوماً وقرأ الكتاب
الذي معه وغضب وقال من ينتزع مني ملكي الخ
ولما وفد حسان بن ثابت الأنصاري قبل إسلامه على آل حنيفة وهم ملوك

(١) اسم الحارث يطلق على كل ملك من ملوك عسان كما يطلق اسم قيصر على
ملوك الروم وكسرى على ملوك الفرس وملك عسان الذي كان على عهد الفتح هو
حنلة بن الایهم

غساناً متدحهم بأبيات قال فيها

لله در عصاة نادتهم يوماً يجأت في الزمان الأول

ومنها

أولاد جفنة حول قبرايتهم قدر بن مارية المعيم المخول

يسقون من ورد البريص عليهم ردى يصنق بالرحيق السلسل

والبريص الذي جاء في الايات هو قصر لآل جفنة على نهر بردى الذي هو نهر دمشق وخلق من أسماء دمشق وقد تقدم معنا في خبر فتح دمشق ما قاله البلاذري في تاريخه من أن حالد أو أبا عبيدة الثقيا في دخولها إلى دمشق بالمسلاط وأنه هو البريص

ولا يحمي على الناقد أن التصاق ملوك غسان بدمشق كما يرى من هذه الروايات يحمل المؤرخ المحقق على الحكم بأنهم كانوا قبيل للفتح أصحاب السيادة على دمشق والذي يترجح عندنا أن المرسل لماد وخو اللوليات الرومانية سنة (٦١٤م) أقروا ملوك غسان على ما كان لهم وأطاعوهم ملوكا على الشام ولما استعاد هرقل من المرسل البلاد لم يشأ أن يزع من ملوك غسان الولاية لصعوبة في حرب المرسل وخوفه من شعب القوم فاستمرت يدهم ولاية دمشق لحين الفتح الاسلامي بل هناك دليل آخر على أن سلطة بني غسان يومئذ تجاوزت ولاية دمشق وربما شملت سورية كلها فقد ذكر المؤرخون أن حيلة بن الايهم بن حيلة وهو آخر ملوك غسان ابتلى من اللادقية وطارلس مدينة سماها ناسه وهي جيلة التي لم تزل عامرة إلى هذا العهد فإذا كان ملوك حفنة من بني غسان قبيل الفتح إنما كانوا أمراء على عرب البادية وحوارن وآله يدي قيصر الروم يصذبهم عارات عرب العراق (كما قال صديقنا جرحي أفندي ريدان) فاعلاقة جيلة

بسواحل الشام وما الداعي له لتخصير الامة صار في أرض ليس له ولا لقومه سلطة فيها ولا سلطان

لا جرم أن سلطة العرب كانت يومئذ مبسوطة على الشام وكانت عاصمة ملوكهم دمشق ولو لا ذلك لما تسنى لحبة أن يبتنى تلك المدينة ويسمى باسمه ويؤيد ذلك ما قاله الدكتور فاندريك في المرأة الوضعية عند كلامه على دمشق وهو بنصه وكانت (يعني دمشق) قبل الاسلام تحت آل جفنة ملوك غسان الذين يقول فيهم حسان بن ثابت وذكر البيتين الثاني والثالث من الايات الى سببق ايرادها

وايت شعري لماذا استعظم صديقا على العرب أن يكونوا ملوك الشام قبيل الفتح الاسلامي وهو يعلم أنهم أبناء مجدها والسابقون الى حومتها وانهم تسلطوا على هذه البلاد مرارا قبل الميلاد وبعده كما ذكر ذلك صديقا في محله من عهد قريب نقلا عن بوسيهوس المؤرخ القديم ولا مراعى أن الحارث أحد ملوك العرب على عهد طيار يوس قيصر المتوفي سنة ٣٧ للميلاد استولى على دمشق بعد حرب شديدة وقعت بينه وبين صهره هيرودس على أثر طلاق هيرودس امت الحارث ومما يؤيد سلطة الحارث على دمشق يومئذ قول بولس في رسالته الثانية الى الكورنثيين وهو بنصه

(و في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد ان يمسكى) وقد سبق ان قلنا ان اسم الحارث كان يطلق على ملوك العرب بالشام وعدها فاننا ذكرنا رجحا قول القائلين بان اصل وديناثوس الدمصرى لدى سبق ذكره عربى لاسريانى (والجسسين من اصل واحد) فلا يستبعد أن يكون ما عرب من الساطة في الشام قبيل الفتح الاسلامي ما كان لهم على عهد طيار يوس قيصر

وعلى عهد اوديناثوس الذي ملك الجزيرة والشام ثم امتد ملك زوجته الملكة
 زونبا الشهيرة الى مصر وازجحت سطوتها ملك ذلك العصر
 هذا ما انتهى اليه طامعنا في تحقيق هل كانت دمشق عربية ام لا هذا على
 عرض تاريخ هذه الامة العربية وما قدم العلماء محدثون في البحث عن آثار الامة
 القديمة فستكشف الايام من تاريخ عرب الشام ما اكتشفه من عهد قريب من
 تاريخ عرب اليمن (حبر) مما يدل على بلوغ هذه الامة منتهى درجات المدنية في
 المصور النابرة والله اعلم

﴿ وقعة فحل ﴾

رأى المسلمون بعد فتح دمشق أن يناجزوا هرقل الانهم خافوا ممن
 وراءهم من جيوش الروم في بيسان وكانوا ثمانين الفا على قول بعض الرواة كما ذكر
 ذلك الطبري فاختاروا مناخزة هؤلاء أولا فاستخلف ابو عبيدة على دمشق
 يزيد بن ابي سفيان وسار بجيش المسلمين قاصداً بيسان وعلى الناس شرحبيل بن
 حسنة اذ كانت اليه ولاية الحرب في الأرذن فبعث خالد بن الوليد على المقدمة وأبا
 عبيدة وعمر أعلى بمجنتيه وعلى الخيل صرار بن الازور وعلى الرّجل عياص ولما انتهوا
 الى أبي الاعور (وقد كان بين الارذن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق)
 قدموه الى طرية فحاصروهم نزّلوا بفحل وكان الروم شقوا المياه بينهم وبين فحل
 منعاً للمسلمين عن الوصول اليهم فكان عملهم هذا وبالاً عليهم لانهم أصبحوا
 بعد خروجهم للحرب كالمحصورين وكان به هلاكهم كما كان ذلك يوم ايرموك
 اذ تركوا الهر وراءهم وعسكروا على الضفة التي نزل حشد المسلمين فاصبحوا بين
 حطرين حتى اذا تمت عليهم الهزيمة لم يروا طريقاً للمرار فأحدثهم سيوف
 المسلمين وهدايدل على ضعف معارف قوادهم يومئذ بفسون الحرب وتمكن

الطلع والاضطرار من قوسهم تحسبنا أصابع سهم الحيلة وأقدم حسن التدبير
لما رأى المسلمون تلك المياه والوحد زلوا بفعل ولم يسعهم التقدم إلى حيث
قيم العدو يسان فكثروا إلى أمير المؤمنين بذلك وأقاموا يطولون الجواب وهم
في رعد من رعب الارقت والروم في ضللك وقد ظنوا في المسلمين الثقلة عنهم
تخرجوا عليهم بقيادة قائد أسد سقلار أو سقلار ورجوا أن يأخذوهم على غرة
والمسلمون حذرون وكان قائدهم شريحيل لشدة يقظته وحزمه لا يبيت ولا يصبح
الأعلى نصية واستمداد العرب فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقبلوا الشدة
قتال كان ليثهم ويومهم إلى الليل فاضلم الليل عليهم وقد حاربوا فانهزموا وهم حيارى
وقد أصيب قائدهم سقلار والذي يليه (أي القائد الثاني) واسمه نسطوس وركبهم
فلم يعرف الروم مأخذهم فانهزوا في الهزيمة إلى الوحد فأدركتهم أوائل خيل
المسلمين فأخذوهم وما يمنعون يدلا مس

كان المسلمون يسمون هذه الوقعة ذات الرداع لما لا قوا فيها من الوحد
الذي كانوا له كارهين فكان عونا لهم على العدو ولما انتهت الحرب بفعل انصرف
أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد إلى حمص ومضى بدى الكلاع الحميرى الذي كان
مرابطا بين جنود المسلمين وحمص لينعم المدد على العدو

أوهن المسلمون بفعل قوى العدو وأوقعوا الرعب في قلوب الروم
فتأهب كل أمير لقصد الجهة التي ولي حربها فاسار أبو عبيدة إلى حمص وسار
شريحيل إلى بيسان وطبرية وتجهز يزيد بن أبي سفيان لاجروح إلى سواحل الشام

✽ عيساه وطبرية ✽

سار شريحيل إلى بيسان ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسهيل
ابن عمرو وكاهم من اتحاد قریش وساداتها فلما بلغ أهل بيسان ما أصاب جند الروم

بفعل تمصنوا من المسلمين بكل مكان فحصرهم المسلمون أياماً ثم خرج بعضهم
لقتال المسلمين فأناموهم وصالحهم. نبقى على صلح دمشق وبلغ أهل طبرية الخبر
فصالحوا أنا الأعور علي أن يبلغهم شرحبيل فعمل فصالحوا شرحبيل على صلح
دمشق أيضاً ونزل القواد بحندهم في مدائن الأردن وقرأها وكان ذلك سنة
أربع عشرة للهجرة

﴿ مروح الروم ﴾

لما علم هرقل بما أصاب جنده في دمشق والأردن وبلغه مسير أبي عبيدة إلى حمص
رأى أن يرسل جيشاً إلى دمشق إما ليشغل عن حمص جيش المسلمين وإما ليغني
فرصة تفرق الجيوش الإسلامية عن دمشق فتستردّها خنوده من يزيد بن أبي
سفيان فإرسل ذلك الجيش بقيادة توذر (لمله تيودور) فبرز إلى الجيش في مروح الروم
غربي دمشق وبلغ ذلك أبا عبيدة فجاء ونزل بأزاء شنس وحالد أثاراً توذر. فأرسلهم
لما رلوا شنس وسار توذر يطلب دمشق فسار حالد وراءه في حريدة وبلغ يزيد بن
أبي سفيان إقبال توذر عليه فاستقبله بالجند فاقتلوا وحلق بهم حالد وهم يقتلون
فأحذهم من حلهم ولم يعلت منهم إلا الشر يد وقتل حالد توذر وأقال

نحن قلنا تورراً وشوذراً وقبلة ما فقتلنا حيدرا

نحن أرزنا العيصة الأكيديرا

وأما أبو عبيدة فقد ناهد بعد خروج حالد شنس فاقتلوا مروح الروم وأصابهم
ما أصاب توذر وقتل أبو عبيدة شنس واهزم فلهم إلى حمص وتتهمهم بعض
المسلمين فلما انتهى الخبر إلى هرقل أمر عامل حمص بالمسير إليها وسار هو إلى الرها
(اورفا) وفي رواية إلى ابطاكية وقال للمامل بلعي أن طعامهم (يعني المسلمين)
لحوم الأبل وشراهم ألانها وهذا الشتاء قد أقبل فلاقنا تلوم الآتي كل يوم

بارد فانه لا يبقى الى الصيف منهم أحد

واذا صح صدور هذا الكلام عن هرقل فانه من الثرابة بمكان لان رجلا مثله عجم عود القوم وجرب حربهم وعرف ثباتهم منذ سنتين لسكبير عليه أن يعلق آماله على مجرى الطبيعة ويفود بمثل هذا الهز من القول الا اذا أراد به تخفيف الملح عن قلوب الجنود المدافعة وترويض الخطب على قواده ريثما يتم عليهم أمر القضاء الذي علمه هرقل من خلال الحوادث الماضية وانما يدافع ذلك القضاء بآخر ما عنده من وسائل القوة والتخريض كي لا تنفوس الجنود ولا يستولي اليأس على صماثر الشعب

﴿ ذكر نعلبك وحصص ﴾

(وسواحل دمشق)

علمنا مما سبق أن يزيد بن أبي سفيان كان يجهز لفتح دمشق للمسير الى سواحل دمشق وأن أبوعبيدة قصد حصص ولما جاء توذروا الى مسرح الروم ترص يزيد وعاد اليه أبو عبيدة ولما انتهى أمر توذروا لما انتهى اليه قصد يريد سواحل دمشق وذلك سنة (١٤) وعلى مقدمة أخوه معاوية بن أبي سفيان فاستأصيدا وفتحها ثم فتح عرقه وحيل وبيروت وجلا كثيرا من أهلها ممن رغبوا الخلاء وتولى فتح عرقه معاوية نفسه ثم ان الروم طلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فقصدهم معاوية وفتحها ودمرها وشحنها بالمقالات وأقطعهم القطائع وانما تحرق الروم على غزو السواحل لان المسلمين لم يكن لهم يومئذ أسطول يمنع عارة الروم على السواحل فلم يكن من رضى أمير المؤمنين عمر اس الخطاب (رص) ركوب المسلمين للسحر وعزوهم فيه

وأما أبو عبيدة فقد قصد حصص عن صردق مدك وقتم اليها السمعة بن

الاسود الكندي وقدّم خالداً الى البقاع فافتتح خالد بلاد البقاع ونزل أهل
بعلبك الى أنى عبيدة فصالحوه على أن يكون لهم الامان على أنفسهم وأموالهم
وكنائسهم وكتب لهم بذلك كتاباً ستأني صورته ثم توجه الى حمص فمن قائل إنه
وجد السمط قد صالحهم فأحاز صالحه ومن قائل إنه فالحهم قتالا شديداً وكانوا
يفادون المسلمين القتال ويرأو حونهم في كل يوم بارد ولقي المسلمون برداً شديداً
وطال على الروم الحصار وكان بعض مشايخهم دعاهم الى مصالحة المسلمين فأبوا ولما
اشتد عليهم الامر طلبوا من أبي عبيدة الصلح فصالحهم على صلح دمشق وأنزلها
السمط بن الاسود الكندي في بني معاينة والاشعث بن مينا في السكون
والمقدادي بلي وأنزلها غيرهم

وفي فتوح البلدان ان السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين وأسكنهم
كل مرفوض جلاأهله أو ساحة متروكة

أما أبو عبيدة فقد بعث بالاحماس وخبر الفتح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
مع عبدالله بن مسعود فكتب اليه عمر . ان أقم في مدينتك وادع أهل القوة
والجلد من عرب الشام فاني غير تارك البث اليك بمن يكافئك ان شاء الله

﴿ تحقيق خبر أجنادين واليرموك ﴾

(واختلاف المؤرخين فيها)

اختلف المؤرخون في وقعة أجنادين واليرموك لافمن فائل ان الأولى كانت
قبل فتح دمشق والباية بعد فتح حمص ومن فائل بالعكس ولقد يحار المؤرخ
الماقدي المريق بين هاتين الواقعتين وتعيين الرمس الذي وقعتا فيه ويكاد يشبهه
عليه أمرهما ميتحيل له ان الواقعتين واحدة أو ان الواقعتين كانتا في اليرموك
واحدة في خلافة أنى نكر والأحرى في خلافة عمر رضي الله عنهما وذلك لما فيها

من التشابه في الاسباب والحوادث وقد كنت أظن أن هذا الاضطراب في خبر
الواقعتين قاصر على كتبنا وأن الغربيين ربما لم يقعوا في هذا الاضطراب لما عساهم
نقلوه من أخبار القسطنطينية عن مؤرخي الروم الذين كتبوها عن مشاهدة لا من
طريق الرواية فاذا بالقوم وقعوا فيما وقع فيه مؤرخو العرب فقد راجعت ما كتبه
بهذا الصدد المؤرخ الانكليزي اذورد جنون^(١) في (تاريخ السلطنة الرومانية)
والمؤرخ الفرنسي ساوي نويل ديفرجي في كتابه بلاد العرب^(٢) فلم أعثر على ما يشفي
العليل ويزيح ستار الالبس فان الأول جعل وقعة أجنادين سنة (٦٣٣ م) الموافقة
سنة (٨١٢ هـ) أي قبل فتح دمشق مع أن الأدلة التاريخية تؤيد حصول وقعة
اليرموك قبل دمشق لأجنادين وأما الثاني فقد قال إن مارآه في تاريخ أبي العلاء
في شأن اليرموك يعرّوه اللبس والأشكال وأن هذا يوجب الارتياب في كلام
الشرقيين أكثر من الارتياب في كلام الغربيين إلى أن قال وهذا المصعب من كلامهم
يدعو إلى الطمانينة حدث واقعتان في هذا المحل (أي في اليرموك) الأولى قبل
فتح دمشق والثانية بعد الاسدياء على حمص

ولقد سلكا دنجاريه في هذا الطن وأن هناك التباساً في الاسم وأن الاسمين
ربما يطلقان على مكان واحد لولم نر أن يافوت فرق في مجيء بين المكانين فقال
أن اليرموك واد في طرف العور يصب في الارذون وأن أجنادين موصع بالشام
من نواحي فلسطين من الرملة من كورة بيت حبرين كما أن الطبري أيضاً قال
عن أجنادين أنه بلد من أرض فلسطين من عمل بيت حبرين

وبما أن حصول الواقعة قبل فتح دمشق والثانية بعدها أمر

(1) Gibben's Roman Empire

(2) Arabie par M. No. I Desvergers

محقق عند المؤرخين لا خلاف فيه وان اختلفوا في تعيين زمن كل منهما فجعل بعضهم الأولي بمكان الثانية وهذه بمكان ناك وبالعكس فالذي يريد الوصول اليه الآن هو تحقيق أيهما كانت قبل فتح دمشق وأيهما كانت بعدها فالذي اعتمده البلاذري في فتوح البلدان ان أجنادين هي الأولى واليرموك هي الثانية وجاراه على هذا الرأي ابن واضح الكاتب العباسي الشهير باليعقوبي في تاريخه المعروف بتاريخ اليعقوبي^(١) وحمل اليرموك بعد حمص وأما الطبري فانه أورد خبر اليرموك كما أوردناه في الجزء الاول أي قبل دمشق وأورد خبر أجنادين مرة قبل فتح دمشق ومرة بعدها الواحدة من رواية سيف والثانية من رواية ابن اسحق على عادته في نقل الروايات على اختلافها وترك الحكم فيها للمطالع وبكاد هذه الرواية تكون أقرب لاحق لولم يتوهم الرواة أن أحسادين الأولى هي التي اجتمع عليها الامراء ووافهم اليها حالدين الوليد وهذه هي التواريخ التي بين أيدينا من كتب المتقدمين الذين نقلوا الاحمار بالرواية واما المتأخرون فاذا كان اعتمادهم في سر الوقائع على مادونه أولئك اضطربوا أيضا في تعيين زمان الواقعتين ومكانهما وليس منهم الا من أورد الخبر على علته دون تمحيص ولا تحقيق وبما أن بعضهم قال ان أبا عبيدة رجع من حمص الى اليرموك برعم اهلها بعد فتح حمص مع أن المرحح أن اليرموك هي الوقعة التي حصرها حالدين الوليد لما حارب الجدة المسلمين في سنة ١٣ وفتح حمص كان في سنة (١٤) أو الي بعدها فقد حمل ذلك على اعتقاد خطأهم في تأخير تاريخ وقعة اليرموك مع الطعن باحتمال وصول أبي عبيدة الى حمص قبل محي حالدين اليرموك فسطط في الحراء الأول وهذا الاحتمال خطأ ادا الحقيقة الى طهرت لي في هذا بعد التدقيق في التاريخ أن رجوع أبي عبيدة من حمص اما

(١) هذا التاريخ حراء ضعا في ايدينا ونوجد منه نسخة في المكتبة الحدونة

كان بعد فتحها ويومئذ اجتمع على الامراء في أجنادين واجتماعهم هذا هو غير اجتماعهم على اليرموك وانما تضارب الروايات في هذه الوقائع يدعو الى عموم الحقيقة وتشوش الدهن والذي صح عندي من تحقيق هذه الروايات الآن والتدقيق فيها ان هناك ثلاث وقائع متشابهات اضطرب في ترتيبها المؤرخون لشابه البواعث والاسم وهي اجنادين الاولى وحدثت في اواخر سنة ١٢ أو أوائل سنة ١٣ واليرموك وكانت في جمادي سنة ١٣ وأجنادين الثانية وكانت سنة (١٤) أو (١٥)

وقد ساق ابن جرير الطبري في تاريخه خبر هذه الوقائع الثلاث الا أنه أورد خبر اليرموك وأجنادين الأولى من عدة روايات كلها يخالف بعضها بعضاً ويدل على اضطرابهم في تحقيق مثل كانت اليرموك قبل أحاديث أو بالعكس أو كانتا وقعة واحدة وثوخذ من محل هذه الروايات حصول وقعة في أجنادين لم يحصرها خالد بن الوليد وانما هي اما أن تكون لخالد بن سعيد لما بعثه أبو بكر لاطراف الشام وواقع هناك الروم وعليهم ناهان أو ماها ن على روايه مؤرخي العرب ووردان على رواية ادورد جبول الاكبرى واما أن تكون مع الامراء في أول دخولهم الشام لما بعثهم أبو بكر في اثر خالد بن سعيد ثم لما وقعوا ناهان وأوقعوا به تفرقوا في أنحاء الشام فسرب لهم هرقل الخوذة فعادوا الى اليرموك واستجدوا انا بكر فأجدهم خالد بن الوليد فوافاهم وهم على اليرموك ثم لما تمت الهزيمة على الروم في اليرموك وسار الامراء الى دمشق ففتحوها ثم حل وكان الفتح ثم سار أبو عبيدة الى حمص وفتحها أرسل هرقل حمود حديده الى سورية حتمت في فلسطين فاد أبو عبيدة والامراء الى حيث يجيب جدد الروم في أحاديث فكانت وقعة أحاديث الثالثة والظاهر ان هذه هي المؤرخين منهم "أدري واليقون" ون وقعة

أجنادين واحدة فاعتبروا الاولى وجعلوا مكان الثانية اليرموك مع أن المرجح أن اليرموك هو المكان الذي اجتمع عليه الاسراء وواقام فيه خالد بن الوليد من العراق بدليل ما قاله ياقوت في معجم البلدان وهو بنصه

اليرموك واد بناحية الشام في طرف النور يصب في نهر الارذن ثم يمضي الى البحيرة المنتنة كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقدم خالد الشام مدداً لهم فوجدتهم يقاتلون الروم متساندين وساق بجمل الحرك كما ذكرناه في الجزء الاول ثم قال وقال القعقاع بن عمرو يدكر مسيرة خالد من العراق الى الشام في أبيات

بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع
لنفسنا أنفاقاً فوق تلك المساخر
صبيحة صاح الحارثان ومن به
سوى نفر نجتدّم بالبواتر
وحشاً الى بصرى ونصرى مقيبة
فألتق اليسا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قللت
بنا العيس في اليرموك جمع العشاثر
والشاهد من كلام ياقوت هو هذه الايات التي تدل دلالة صريحة على أن
خالداً لما حاء الى الشام واقع غسان ثم فتح نصرى وانتهى الى جيوش المسلمين وهم
في اليرموك

وأما أجنادين الاولى فان الذي يرجح انها كانت في أواخر سنة ١٢ أو
أوائل سنة (١٣) هو ما رواه بعض المؤرخين من أن أنا بكر سُر ماتتصار المسلمين
على الروم في أجنادين وهو ما حرروا مع أن انتصار المسلمين في اليرموك كان في
جمادى الثاني بعد وفاة أنى بكر وانما حاء المسلمين وفاته وهم على اليرموك

وهذا ما وصل اليه الكروا انتهى اليه البحث في تحقيق وقعة اليرموك
وأجنادين التي قبلها وأما أجنادين الثالثة وهي التي كانت عقب فتح حمص واضطر

أبو عبيدة أن يرسل من أجلها عن حمص وحذا حذوه باقي الأمراء لمصادمة
الجيش العظيمة التي أرسلها اليهم هرقل واجتمعت في فلسطين ثم في أنجادين
فقد ذكر خبرها الطبري سنة (١٥) كما ذكره البلاذري واليعقوبي إلا أن
هذين زعماءها وقمة اليرموك

على أن القرائن التي تحف بهذه الواقعة إلى حدثت سنة ١٥ تؤيد أنها كانت
في أنجادين وذلك أن أنجادين من عمل فلسطين واليرموك من عمل الأردن
وعمله الأردن كانت سقطت يومئذ في أيدي الجيوش الإسلامية وهم فيها
مرابطون وفلسطين لم تكن كذلك بل كانت على وشك السقوط وبسقوطها
يسقط بيت المقدس ومضى سقط بيت المقدس تقطعت بالروم الأسباب وقضى
على سلطان دولتهم في سورية بالانقلاب لهذا فلا يعقل أن هرقل يسرب جيوشه
إلى الأردن ويترك فلسطين معرضة لمخوم عمرو بن العاص الذي كان يقصدها
من الأردن ومعاوية بن أبي سفيان الذي عزم أن يأتيها من سواحل دمشق بل
المعقول أن هرقل لما حل عن حمص وأقام في الطائفة أو الزهاو وصلتته لأخبار
بتقلب المسلمين على جيوشه في كل مكان ورأى أن أتعبيدة فدافع حمص من جهة
الشمال وقطع طردق المواصلات والامداد ما بينه وبين الحمود الرومية من جهة
البر أرسل جيوشاً عظيمة من جهة البحر لتكون مدداً لأهل فيسارية وعرة
والياء (بيت المقدس) ولعل تلك الحمود أترات من يافا وعسكرت
أحاديث لقرها مهاد المسافة لا تريد عن اثنا عشر ساعات من يافا وليلة
وأحاديث من عملها كما قال ياقوت واليك ما رواه الطبري وغيره في شأن فيسارية
وغزة وأحاديث

﴿ فلسطين وأمنابيه ﴾

لما انصرف أبو عبيدة من خل إلى حمص ونزل عمرو بن العاص وشرحبيل
ابن حسنة على بيسان وافتنحها وصالحهم أهل الأردن قصد عمرو فلسطين
وكتب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بتمرقهم فكتب إلى يزيد بن أبي سفيان
أن يذني طهورهم بالرجال وإن يسرح معاوية إلى قيسارية^(١) وكتب إلى عمرو
بصدم الأربطون وكان في اجنادين وإلى علقمة بن محرز بصدم الصيقار وكان في
عزة وكان مما كتبه إلى معاوية (أمانداني قدوليتك قيسارية فسر إليها واستنصر
الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربنا وثقنا ورجأونا
ومولانا لم المولى ونعم النصير)

فسار كل أمير لما أمر به وسار معاوية إلى قيسارية وكان فيها من المقاتلة مائة
الف أو يزيدون على ما نوحى من كلام الطبري فافتتحها وكتب إلى عمر بالفتح
وبعث الخبر مع رجلين من بني الصنيد ثم حاف منهما الضعف فبعث عبد الله بن
علقمة الفراسي ورهير بن الحلاب الجمعي وأمرهما أن يتبعاهما ويسمعاهما
فلحقاهما وطواها وهما نائمان وابن علقمة يتمثل

أَرْقَ عَيْبَى أَحْو حُدَامَ كَيْفَ أَنَامَ وَهَمَا أَمَامِي

أَذِي رَحْلَانِ وَالْهَجِيرِ طَامِي أَحْو حُسَيْنٌ وَأَحْوُ جَرَامِي

وأما علقمة بن محرز فحضر الصيعة مرة وحمل يرأسه فلم يشبهه مما يريد أحد
فأتاه كاهن رسول علقمة فامر الصيقار حلالاً يقعدله بالطريق فادامر قتله فمطس

(١) هذا الاسم معرب قيصرة وهما تمان واحدة تسمى بيسرة فلسطين وهي
حرب الآر وحارت على عهد الصامس والآخرى قيصرة ملبس وهي نلبس
على ما قاله وديت

علقة فقال ان معي نفر اشركاني في الرأي فانطلق فأتيتك بهم فبعث اليه يقار الى ذلك
الرجل لا تعرض له فخرج من عنده ولم يمدو فعل كما فعل عمرو بن العاص
بالارطبيون لما احتال عليه بنهس هذه الحيلة ونجاة من القتل

وأما يزيد معاوية الذي أرسله الى المدينة فوصل الى عمر رضي الله عنه فجع
الس ليلاً وقال لتحمدا والله على فتح قيسارية وأباتهم على الفرح

وأما عمرو بن العاص فقد سار بحيثته نحو الارطبيون وكان من كبار القواد
ودعاتهم وهو يبادل عند الروم بالدهاء عمر بن العاص عند العرب فتقدم نحوه
عمر وهو محيتم باجنادين بمحمد كثيف وعلى مقدمة عمرو وشريحيل وعلى مجتاتيه
عند الله بن عمرو وحادة بن تميم المالك بن كنانة وقد كان الارطبيون وضع
بالرملة جداً أعطيها وابلياء حندا أعطيها فكتب عمرو الى أمير المؤمنين بالخبر فقال .

قد رمينا ارطون الروم بأرطبيون العرب فانطروا عمت تنصرح وكان عمر رضي الله
عنه من لدن توحه امراء الشام يمد كل من يريد ويرمي به لاهل مدحى اذا أتاه
كتاب عمرو بتريق الروم كتب الى يريد أنى سفيا بان يبعث معاوية في حيله
الى قيسارية وكتب الى معاوية كتاباً أمرته على قتال أهل قيسارية وقد ذكره
وذلك ليشعلهم عن عمرو وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم العرسى

ومسروق اس فلان السكى على قتال أهل ايلياء وبعث أبو أيوب المالكى الى الرملة
وعليها الدارق ولما تناهت الامداد على عمرو وبن محمد بن عمرو وددان علقمة
ومسروق وامت عمارة بن ثمية الصمري وددان لاني أيوب واقام عمرو على
احاديث لا يقدر من الارطبيون على سقطة ولا تشبه ارسل مائة من نفسه فدخل
عليه كأنه رسول فالعله ما يريد وسمع كلاً من أهل حصونه حتى عرف ما رد
خذت ارطبيون به ناه عمرو بن العاص فوضع في لدرى من يته وفضله

عمر وفاحتال للتخلص منه بمثل الحيلة التي احتال بها علقمة على القيقار ونجى عمرو وعلم الأوطيون بحيلته فقال: خدعى الرجل هذا أدهى الخلق وبلغت عمر بن الخطاب فقال: غلبه عمرو والله عمرو.

لما عرف عمرو مأخذ الأوطيون ووقف بنفسه من حالة الروم على ما يريد أن يقف عليه زحف عليهم بمجنده واقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك فانهزم الأوطيون في الناس وأوى الى إيلياء ولما واصلها أفرح له المسلمون الدين على حصارها فدخلها ثم أزالهم الى اجنادين

فهذه وقعة اجنادين التي اضطرب فيها المؤرخون وحملها بعضهم على البرموك سنة (١٥) مع ان اليرموك كانت سنة (١٣) كما تقدم الدليل على ذلك في ابيات القمقاع بن عمرو التي يذكر فيها التقاءهم مع خالد بن الوليد بجيش المسلمين وهم على اليرموك على ان وقعة اجنادين هذه لم يذكر الطبري في سياقها اسم ابي عبيدة وحالد واهما حصرا بمسكرهما من حصص الا انه لما ساق خبر فتح بيت المقدس بعد اجنادين ذكر في حملة رواياته عن فتح بيت المقدس ان الذي كان على حصارها هو ابو عبيدة فاذا صيغت هذه الرواية الى ماد كره البلاذري في فتوح البلدان واليعقوبي في تاريخه من رجوع هذين القائدين بجيش المسلمين من حصص لانجاد بقية الامراء في اليرموك سنة (١٥) مع ما علمناه مما سبق ان وقعة اليرموك كانت سنة (١٣) لاسيما (١٥) وان المؤرخين ربما وهو التشابه الوقائع وقرب المسكين احدهما من الآخر ان وقعة اجنادين كانت على اليرموك صح ان ابا عبيدة وحالد احصروا وقعة اجنادين هذه وهذا الميكس هناك وقعة ثانية في اليرموك كما كانت وقعتان في اجنادين الا ان القول لمحدث وقع في اليرموك لم يقم عليه دليل واضح في التاريخ وأما القول برحيل أبي عبيدة بميشه عن حصص

سنة (١٥) أي بعد فتحها وشخوصه الى جنوب الشام لأمداد المسلمين فقد اتفق عليه البلاذري واليعقوبي ومما ذكره اليعقوبي بهذا الصدد قوله عن أبي عبيدة بعد أن فتح حمص

ثم أتاه خبر ما جمع طاعة الروم من المجموع في جميع البلدان ولعنه اليهم من لا قتل لهم به فرجع الى دمشق وكتب الى عمر بن الخطاب وكتب اليهم عمرانه قد كره رجوعهم من أرض حمص الى دمشق وجمع أبو عبيدة المسلمين وعسكر في اليرموك الى أن قال وكانت وقعة جليلة الخطب قتل فيها من الروم قتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين وكان ذلك سنة (١٥) وأوفد أبو عبيدة الى عمر وفد آفيهم حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه الى الخبر فلما ورد عليه الخبر خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة فوالله لو لم يفتح لهال فائل خالد بن الوليد اه

وأما ما نقله البلاذري فقد تقدم ذكره في الجزء الأول ومؤداه أن المسلمين لما بلغهم اقبال الحوود الكثيرة لوقعة اليرموك ردوا ما كانوا أحدوه من أهل حمص وقالوا لهم قد شعلنا عنكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم فاقسم النصاري واليهود انهم لا يدعوا عامل هرقل يدخل الى المدينة وأعلقوا بوابها وحرسوها الخ

هداما أوردته المؤرخون بشأن اليرموك وأحاديث لسطناه ههنا مع مي كثرة هذه الأقوال من السوس والاحلاف المكون القاري على بنة من الحقيمه والله بها عليه



﴿ فتح بيت المقدس ﴾

لما انتهى عمرو من أجنادين ترك أهل ايلياء (بيت المقدس) محصورين وأخذ يتم فتح مدن فلسطين وقرأها ففتح عرة ولثد ونابلس وبيت جبرين ومرج عيون ويافا وقيل إن يافا فتحها معاوية فلما أتم هذا الفتح قصد بيت المقدس وأخذ يخبر الأربطون بخبرة حية ويطلب إليه تسليم المدينة والارطوبون ممتنع عليه وكتب لعمر وكتبا يقول فيه أنك لست اصحاب فتح ايلياء بل صاحبه عمر فكتب عمرو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) يستعده ويقول . إني أعالج حرباً كؤوداً صدموا (كناية عن شدتها) ولاداً أذحرت لك فرايك ولما انتهى الكتاب الى عمر نادى في الداس ثم خرج فيهم حتى نزل الحامية^(١)

وفي روايه لاطري أن أبا عبدة هو الذي كان على حصار ايلياء وأن سبب قدوم عمر الى الشام أن أهل بيت المقدس طلبوا من أبي عبيدة أن يصلحهم على صلح مدن الشام وأن يكون المولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة وكسب الاسراء أن يوافوه بالحامية ليوم سماه لهم وان يستخلعوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجاية فكان أول من ليه يزيد ثم أبو عبدة ثم خالد على الحيول وعليهم الدياح والحرير فكبر على ذلك الحامية العظيمة الذي ولع بالتعشق واردري بنعيم الحياة الفانية أن يرى آتار التعم يادية على قواده على قرب عهدهم بالحوشة وتحملهم بحلق العمة والحدو والمساءه فنزل وأخذ الحجارة فرماهم

١٠ قل يا قوت . الحامية من فرى الحولان من أعمال دمشق ثم من عمل دمشق قرب مرج العسري سماه حوران وقال لها حامية الحولان أيضاً قال الحوأس من المعطل أعمد ايليك ما شكرت إلا ما فكن في رحاء الامن ما أنت آكل محايه الحولان بولاس محمد هلك ولم سطق لقومك قائم

بها وقال : سرع ما نثتم عن رأيكم اياي تستقبلون بهذا الزى وانما شبعتم منذ ستين
سرع ما نثت بكم المطنة وناقه لو فلتتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم :
فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعة ^(١) وأن علينا السلاح . قال : فقم اذن :
وركب حتى دخل الجابية وعمر ووشرحيل بأجنادين فينما عمره مسكراً بالجابية
فرع الناس الى السلاح فقال ماشاكم فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف فذخر فاذا
كر دوس يلعمون بالسيوف فقال عمر هذه مستأنة فلا تراعوا وأمنوهم فأمنوهم
واذا هم أهل إيلياء

كان أهل إيلياء في صلك عظيم وحصار شديد وقد اتفقوا بعد انقطاع المدد
عنهم واستيلاء المسلمين على أطراف الشام ومدنها العظام انهم أحذون لا محالة
وأن دولة الروم دالت وسلطتهم عن البلاد زالت وحافوا اذا سلموا المدينة
للمسلمين ان لا يصالحوهم على ما صولح عليه أهل المدن الأخرى لكثرة ما لاقى
المسلمون منهم من العاء وما بدلوا في حربهم من الدماء ولما تحقق عندهم من أن
بت المقدس مكرم عند المسلمين لا به محل الاسراء ودمر الانبياء والطاهر انهم
حافوا لهذا السبب على كذا ستمهم العطى أن سرعاهم منهم السامون وقبلتهم المقدسة
ان يحرمهم منها الفاتحون مع أن المسلمين كانوا أحرص الناس على الوفاء بالعهود
والرهم اشرة الانصاف مع المملوكين وكانوا اذا صالحوا قوماً على تسيء وكتبوا
لهم بذلك عهداً صار ذلك العهد من بعدهم في معاملته أولئك المعاهدين لا يحد
عها أحد من المسلمين وانما هو اروع أحد بعلو أهل بيت المقدس فرأوا وكيد
للأمان وتوثيقاً لعرى الهداية شرور ذلك مع من المؤمنين عن بن خضاب
رضي الله عنه وطلو من الأمراء حصروه بمسوة بهم وصور من المؤمنين

الى الجابية أو فدوا اليه ذلك الوفد فلتقام المسلمون براية الامان فاحسروا أمير المؤمنين انهم نواب في الصلح عن أهل إيلياء وأن أمراء الجند الرومي وهم أوطيون والتذارق لحقا بمصر فصالحهم على إيلياء وحيّرها والرملة وحيّزها فصارت فلسطين نصفين نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة وكتب لهم بذلك كتباً وكتب لأهل إيلياء خاصة كتاباً استرد صورته في هذا الكتاب ثم جعل على ذينك القسمين أميرين يحمل علقمة بن حكيم على الرملة وأحوارها وأنزله الرملة وجعل علقمة بن محرز على إيلياء وأحوارها وأنزله إيلياء ونزل كل واحد منهما في عمله في الخنود اليه معه وصم عمرو بن العاص وشرحبيل اليه بالخابية فلما اتها الى الخابية وافها عمر (رض) راكباً فقبلاً ركبته وصم هو كل واحد منهما محصهما

وكان فتح إيلياء سنة (١٦) وفيل سنة (١٥) ولما أتم عمر عهد الصلح أراد المسير الى بيت المقدس فأتى له سرذون وركبه فلما سار جعل يتلحج^(١) به فنزل عنه وصرب وجهه وقال . لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء ولم يركب ردونا قبله ولا بعده ثم دعا بفرسه وركبه ثم سار حتى انتهى الى المسجد الأقصى ليلا فدخله فصلى فيه ولم يلبس أن طلع الصبح فأمر المؤذن بالافامة وتقديم فصلي بالناس ثم انصرف ودعا يكعب الاحرار (وكان لما دخل المسجد قال ارقبوا الى كعباً) فلما أتى به قال له أين ترى ان نحمل المصلى فقال الى الصخرة فقال ضاهمت والله اليهودية ناكعب وقد رأيك وحلمك بعليك فقال أحسنت أن أناشره بقدمي فقال قد رأيته بل نحمل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله مساجدنا صدورها اذهب اليك فاما نؤمر بالصخرة واكسنا أمرنا بالكعبة نحمل قبله صدره

﴿ لا وتنبه في الوجود ﴾

رأيت ما قاله عمر (رض) لكعب الجبار وهو قول لالنجب ان يفوتنا
البحث فيه لهذا رأينا أن نفرده هذا الفصل فنقول

أولع الانسان بالافراط كما اولع بالتمريط في كل شؤونه الروحية والحسماية
ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلعب مقام الملائكة في أعلى عليين
او يهبط بها الى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به ألزم
وطريق السعي الحيوي لديه أوسع ولما احتاح الى كثير من هذه القوانين وقوامها
وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعاونهم والسجون وحراسها بل ولما كان
اكتفى بدين واحد قويم وشرع آلهي مستقيم ولم يشوه وجه الشرائع ولم يدع
لعدد الاديان وارسال الرسل في آن وآن

أجل أولع الانسان بالشطط حتى في العقائد فينبأ يكون هذا في طرف
التمريط مارقا من كل دين منكر الكل نحلة هائما في المادة التي يتناولها حسه
وينكر ما فوقها عقله يكون الآحر مسلما العقيدة بما لا بعد طبعه عن طبيعته طالبا
بحياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقه في طلبه
يلحق بقلبه ويطعمه من منع عقله والعاية الى يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه
أمله ويحتص به عمله فيعلو عبادته علو المادي في مادته حتى يساويه من طرف
الافراط بالتوحه تارة للاقتار واخرى للاشجار وآونه للاحجار ووقنا للارواح
وآخر للاشباح الى غير ذلك مما هو داخل في المادة قرب من متناول الحس .
فكان العقل الانساني في حال الايمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك
الحس ولا يدع الى ما فوق المادة ويصعد الى أفس الكمال الالهية ريثما يتلقى
برهان ربه بواسطة الانبياء واطمئن الى التسليم تقوه آلهية تفوق قوى المادة

وتعلمون العقل وتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينخط عن هذه المرتبة فيعود إلى نخبته الأولى للهبوط إلى هوة القصر والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدرجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعدو إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشر كوا مع الله الأرواح تارة وأخرى الانصباب توسلاً إليه على رعمهم بالحس وأرتياحاً إلى ما تحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هي مخلوقة له معتقرة إليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من دال الذي يشفع عنده إلا بأذنه) الآية

ومن الثابت أن العرب كانوا على دين إبراهيم الديسي هو كباقي الأديان الألهمية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق السكون وما فيه وإنكار ما دون ذلك من الاعتقاد بشئ من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض الشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالانصباب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يرمعون أنهم مؤمنون لا مشركون وإنهم لعبادة المادة يمدون لله ويتقربون بها إليه كما خبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى (ما نمدهم إلا يقولون آلنا لله) وهذا من الأعراق في الجهل والانحطاط في العقيدة ولفساد لأصل التوحيد ويمكن هذا الفساد فاصراً على العرب مفضل عمه - أثر أرب الأديان من الانحلال أبسطه الآن

إذا تم هذا علمنا أن لاسلام ماحاه من آيات توحيد خاص من كل

شائبة من شوائب الشرك انما جاء لاستئصال شائبة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بمحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس للتوجه الى واحب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هبة حلاله في القلب وتمكين الاعتقاد بان الآثار الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالموثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس اذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزللة القدم الى الوثنية المفضية الى الشرك المؤدي الى الجحود وإنما الانسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتكبر في النفس مادامت النفس مستشعرة بشئ من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الاسلام ودعا اليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وانما اضطربت العقول وساءت الاوهام لتفاوت الافهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والاحاطة بأسراره والوقوف على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة واليك الدليل

أخرج الامام أبو المرح ابن الحوري في السيرة العمريه عن المغرورين سويد قال خرج جامع عمر بن الخطاب في حجة حجهما قال فقرأنا في الحجر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الهيل) « وإتلاف قرأش » فلما انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال ما هذا قالوا هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أهلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثارا بياهم بيعاً . من عرفت له فيه صلاة فليصل ومن لم تعرض له صلاة فليمتص .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعر وامن إقبالهم على ذلك المسجد لصلاة فيه تعظيماً له كما استشعر به عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين

لما بادروا لاهلالة فيه الا اذا عرضت لهم صلاة ولا جرم أن أعظم الناس فهما
 للاسلام وعلما بنوا من الدين ووقوفاً على مقاصد النبوة المحمدية وما كانت
 تدعو اليه من التوحيد البحت الخالي عن كل شائبة من الشوائب التي مر ذكرها
 هم أهل السابقة من المهاجرين الاولين الذين تلقوا الدين أنحماً كان ينزل بها الوحي
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن البعثة ولا رموا الرسول ولا رسة الظل
 فاكنتهم واورشريته وأدركوا امرأته وقلدوه في أعماله وأقواله وانتهجوا
 منهجه واهتدوا بسيرته فتهووا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد
 ومن هؤلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الاسلام ومنهم عمر بن
 الخطاب رضى الله تعالى عنه ومن تتبع سيرته وأنتم النظر في أقواله وأفعاله وانطباقها
 على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم علم ما هو التوحيد الداعي إلى أرشده اليه
 الاسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام فأرادوا أن يحجوا به كل أثر من آثار
 الوثنية عن صفحات الصماير والقلوب وحسب العاقل دليلاً على هذا قول عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه لكمب الاحبار لما أشار عليه بحمل المصلى إلى الصخرة لقد
 صاهيت اليهودية يا كعب إلى قوله اذهب اليك^(١) فانما يؤمر بالصخرة والكنة
 أمرنا بالكعبة وقدمر الحرق الفصل السابق نقلا عن الطاهرى ولأجله عقدنا
 هذا الفصل ليكون به عروة وذكري لقوم يعمقون

تقدم معاً كيف تدرج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بالله من الاحجار
 وعكموا على عبادة الاصنام وأن أصول التوحيد عند آرب لاديان كما أفسدت
 تدرجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدرج الاستسلام للشعور
 بوجوب اعطيم مطهر من مصاهر المادة يرضى له صلته فوق المادة كما بدأ مثلاً

(١) هكذا حبت هذه العبارة في نرجح - - - - - يث عو

ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول الى غيره ويتدرج في أطوار التبدله حتى تنقلب صورة التوحيد المرسمة على صفحات الضمائر الى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الايمان بآله واحد فوق المادة الى آلهة شتى كلها من المادة وأولها صفة بها وهذا هو الشرك التام الحلي وبمقدور ذلك الشرك الخفي ولم تكن دعوة الاسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط بل كان من مقاصدها الاولى والغايات التي ترمى اليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الحرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة لأنها اذا وجدت منبتاً صالحاً لها تولد عنها ما لا يحصى من الجراثيم في نضع ثوان فن قال بخلاف ذلك أو طس ان الاسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تعظيم أي مطهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العبث الى دين الله لهذا ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كمب الاحبار حتى في خلعه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى وآخذه على عمله ذاك كما آخذه على رأيه في جمل المصلّي الى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد ان شاء الله

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ومن أمعن النظر في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه التي مرأى إرادها في هذا الكتاب وهو (ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سواً الاطاعته واتباع أمره) يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يعلمون الناس التوحيد ويقتلون من أعماق نفوسهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً أحاسن نفسه وعرف دينه ونأذب بأدب الذي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبذبح المموس وأهواءها وتنكب مواضع الزلل وواقف الخطل وسؤالهم

والله ولي الرحمة وهو القاهر فوق عباده

﴿ فتح حماء واللاذقية وقنسرين ﴾

قيل إن هذه البلاد وما يليها شمالا إلى انطاكية فتحها أبو عبيدة قبل مسيره من حمص إلى إيلياء أي سنة (١٥) وقيل إنه فتحها بعد عودته من إيلياء سنة (١٦) وعندى أن هذا الأصح

سار أبو عبيدة إلى معرة حمص فصالحه أهلها على صلح حمص وسار إلى حماة فصالحه أهلها أيضا وبعث خالد بن الوليد إلى قنسرين وسار هو إلى اللاذقية وقيل بل سار إليها عبادة بن الصامت فامتنع عليه أهلها أياما فاحتال على فتحها بأن أمر الجند أن يحفروا أسرا في الأرض كل سرب يستتر الحل وفرسه فاجتهد المسلمون حتى حفروها ثم انهم أطهروا القبول إلى حمص فلما حن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية عارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم ولما أصبحوا افتحوا أبوابهم وخرجوا وأحرقوا أسرارهم فلم يرهم إلا تصديح المسلمين إليهم ودحو لهم من باب المدينة عوة فهرب قوم من نصارى اللاذقية ثم أتهم طلبوا الأمان على أن يترجعوا إلى أرضهم ففوق طمعوا على خراج يؤدون قلوبا أو كثروا وتركتم لهم كيستهم ونى المسلمون باللاذقية مسجداً جاء ما أمر عبادة ثم وسع بعد

ثم أحمدة عبادة يتم فتح عماله اللاذقية فأمر أني عبيدة ففتح جبله وانظر سوس وناياس والمرقب وغيرها وكل هذه البلاد ثم تولى معروفة إلى الآن بهذا الاسم وكان فتحها سنة (١٥ هـ) أو سنة (١٦)

وأما خالد بن الوليد فإنه ما وصل إلى حاصر قنسرين رحب إليه الفاتح مينا س بجيش الروم فاقتتلوا قتالاً عظيماً وقتل مينا س فأتى الروم ثم تو على دمه وثمان أهل

الحاضر وكانوا من العرب من تنوح نزلوه وهم في حيم الشعر ثم ابتنوا المنازل
فارسلوا الى خالد انهم عرب وانهم انما حشروا ولم يكن من رأيهم حرب به فذاع
الى الاسلام فاسلم بعضهم واقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن
الجاف فتركهم خالد فاسلموا بعد ذلك بيسير وقيل اسلموا في خلافة المهدي العباسي
ولما فرغ من حاضر قيسرين^(١) فتحصن أهلها منه فقال انكم لو كنتم في السحاب
لحملنا الله اليكم أو لأنزلكم الله الينا فنظروا في أمرهم وما لقي أهل حمص فصالحوه على
صلح حمص فأبى إلا اخاب القلعة فأخربها

ولعمري ان قومًا بلغ اعتقادهم بالنصر الى هذا الحد قوم لا تصمم منهم
العواصم ولا الحصون ولا تثبت أمامهم الجيوش وانما حملهم على هذا الاعتقاد
يقينهم الثابت بوعد الله ورسوله لهم بالنصر اذا نصروا الحق وتمسكوا بعري
الايمان فكانوا يدا على من ناوهم وعونا لمن يصح لهم ووالاهم ومن لهذا غير
أولئك الماتحين الاحيار الذين جمعهم كلمة الاسلام على الاحوة الى لا تصمم
عروتها والطريق الى لا يضل سالكها الا اذا انحرف عنها وراع عن صراطها
﴿ ذكره سير هرقل الى القسطنطينية ﴾

كان هرقل بعد فراده من حمص قصد اطاكية ثم ارتحل على قول بعضهم
الى الرها (أورفا) في الجزيرة ليجمع منها جيشاً يمد به أهل حمص قل سقوطها في
يد المسلمين وكان المسلمون كما قدمنا غير هذا المحل يقطين لا تحي عليهم من أمر
الروم حافية ولما استشعروا بمقاصد هرقل أدرب عليه من الكوفة عمرو بن مالك

(١) مدسة كاب على بعد مرحلة صغيرة من حاب ويقول ابن حوقل ان هذه المدسة
أحرها الملك ناسايوس ثم تحددت عن يد الامراء من بني أنيس التوحيه سم أحرها
عن أحرها ناح الدولة . وأما حاصر فدرس فقره قرسة منها

من قبل فرقيس ياوعبد الله بن المغمم من قبل الموصل والوليد بن عقبة من بلاد
الجزيرة بجيوش المسلمين وطووا بلاد الجزيرة وخلفوا وراءهم عقبة ثلاثيؤتوا
من خلفهم

وكذلك أدرب من قسرين مماليل الشام خالد بن الوليد وعياض بن غم
محيش من المسلمين وعندئذ رحل هرقل الى القسطنطينية وعاد القواد الى
أما كنهم دون حرب . ولما لمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما فعله خالد قال :
أمر خالد نفسه يرحم الله أبانكر هو كان أعلم بالرجال^(١) وقد كان عمر له كجأمر في
سيرته وعمر المشي بن حارثة الشيباني وقال اني لم أعر لهما من رية ولكن الناس
عطموها خشيت أن يوكلاوا اليهما

وأما هرقل فانه مضى على وجهه واستتبع أهل لهافأبوا أن يتبعوه وقالوا
نحن ههنا حير ما معك وتفرقوا عنه وعن المسلمين لما وصلوا الى مدينتهم الى
كان أول من دخلها منهم وأصح كلابها وأمر دحاجها ريادة بن حطلة وهو صحابي
وكان مع عمرو بن مالك مسانده

وكان أدرب المسلمين الى الهار ورحيل هرقل عنها سنة ١٦
ولما ارتحل هرقل لحقه رجل كان أسيراً في أيدي المسلمين فأخبرت فقال له
أخبرني عن هؤلاء القوم فقال له أحدثك كأك تك تطر اليهم فرسان النهار
ورهبان الليل ما أنا كلون بدمتهم^(٢) الاثنس ولا يدخلون لاسلام . يقعون
على من حاربهم حتى تأتوا عليه فقال هرقل اني صدقتي يبرئ مني تحت قدمي
هايين

(١) وفي رواية ن سمران بعد حواره فتح حاد و سمران و د ك ر في

سره خالد (٢) من أهل بلاد قسطنطينية في مدينتهم

هذه الصناديق السنية التي قل أن تجتمع في جامع من الجامعين هي التي منحت
لأولئك الأبطال تدوير الحيات الشاسعة وقلب كيات الدول لأعداءهم القليل
وعينهم الضميمة بأرواء عدا الروم والفرس وغيرهم وعطاه ملكهم ومناعة
حوزهم وهذا السنين هم قل بضمت بياض وقلص ظل سلطانهم فتنس من
عروضا كفي الشام وما يلها اليه موقف الماء عنها بالحسبان وعاد بالجدلان وقال
مودع تلك البلاد في اهرقوا الملك المريض

عليك السلام يا سوريه سلاما لا اجتمع بعده ولا يمو دالك روى أبداً إلا
خائفاً حتى يولد الولد المشؤم وباليته لا يولد ما تحلى فعله وأمر عاقبه على الروم :
وفي رواية انه قال

قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر فاما اليوم فعليك السلام يا سوريه
تسليم المفارق ولا يمو دالك روى أبداً إلا خائفاً حتى يولد الولد المشؤم وليته
لم يولد .

(فتح حلب وانطاكية وغيرها)

بعد أن تم لأبي عبيدة فتح حماة وقسرين واللاذقية وغيرها سار الى حلب
وعلى مقدمته عياض بن غنم الصهرى فوجد أهلها متحذرين فبازلهم فلم يلتفتوا اليه
طلبوا الصلح والامان على انفسهم وأموالهم وكنائسهم ومساكنهم والحصن الذي
بها فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم . وصنع المسجد وكان الذي صالحهم عليه عياض ولما
انتهى اليهم أبو عبيدة أعذ صلحه . وقيل إن أبا عبيدة لم يجد أحداً من المقاتلة بحلب
وان أهل حلب صالحوه على مدينتهم بأن راسلوه من انطاكية ولما تم لهم الصلح
عادوا الى مدينتهم وبنوا أبو عبيدة في حلب أتاه الخبر بعصيان أهل قسرين فوجه
اليهم السمط بن الاسود الكندي فأحصمهم وقيل استعصى عليه فتح حلب فتركها

وسلوا إلى انطاكية وكتب إلى عمر بذلك فبث إليه كتابا بالبرية وافرجه ونصها
 ثم قصد أبو عبيدة حاصر سلب وكان كحضر قنسرين يجمع أصنافا من الثوب
 فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم لهم أسلحو وانفذ ذلك وحاولوا العبور فالة الرشد
 الصابي الأسيلاء على حلب فاستجد أهل حلب من حولهم من العرب ولم
 يستطيعوا استجداد دار الخلافة لحصول فتنة محمد الأمين فيها فأجدهم العباس بن
 زفر الهلالي ونازل أهل الحاضر فخر خارجته إلى قنسرين ثم عدوا إلى أهل قنسرين
 فخلعهم هؤلاء عن بلادهم ومن ثم تفرقوا في البلاد فقوم نزلوا تكريت وقوم
 أرمينيا وغيرها

ثم قصد أبو عبيدة انطاكية وكانت ذات خطر وشبهة وقد التجأ إليها كثير
 من فالة قنسرين وغيرهم من البلاد وتحصنوا فيها ولمشوا بجيش منهم إلى مهربة
 على فرسخين من انطاكية لصدة المسلمين فلقى أبو عبيدة هذا الجيش فقبضه وأجأهم
 إلى المدينة وحاصر أهلها من جميع أبوابها فصالحوه على الحرية والخلاء فغلب بعضهم
 وأقام بعضهم فأمرهم ووضع على كل حاكم منهم دينار أو جريب خنطة وسار عنهم
 فنقضوا فوجه إليهم عياض بن غنم وحيب بن مسعدة القهري ففتحها على الصلح
 الأول ومن يرى أن فتح انطاكية كان قتل إيلياء يقول أنها نقضت بعد رجوع
 أبي عبيدة إلى فلسطين فوجه إليها من إيلياء عمرو بن العاص ففتحها ومن قال هذا
 البلاد دري في فتوح البلدان وما محاله صوابا

وكانت انطاكية لسبب موقعها الحمراني وحصاتها وتقوتها على مدن
 سورية عطيمة الذكر والامر عند عمرو وعثمان رضى الله عنهم ولما فتحت كتب عمر
 إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها جيشا من المسلمين من أهل الحسبة والرأي يرايط فيها
 وإن لا يحبس عن ذلك الجيش العطاء وهكذا فعل بعد عثمان رضى الله عنه فقد

أمر معاوية وكان يومئذ والى الشام ان يلزمها قوماً من المسلمين وان يقطعهم
القطائع ففعل

وبلغ أبو عبيدة بعد فراغه من أمر البطاكية ان جمعاً من الروم بين معرفة
مصريين وحلب فسار اليهم وقتلهم وفرق جمعهم ثم فرق خيوله في أنحاء البلاد
ففتحت بوقاوسرمين وتيزين وجميع أرض قاسرين ثم سار أبو عبيدة الى حلب
وقد تقص أهلها فنادلهم وأحصعهم ثم سار أبو عبيدة نحو قورس ففتحها صلحاً
وفتح تل عزار ومنح وسيّرياضاً وحبيا في جيشين من المسلمين فأتا فتح
سورية الى حدود الثرات شرقاً وأسيا الصغرى شمالاً وحمل أبو عبيدة على كل
كورة فتحها عاملاً وصم اليه جنداً من المسلمين ولعث جيشاً مع ميسرة بن
مسروق العبسي الى أطراف أسيا الصغرى فلقى جمعا للروم معهم عرب من تنوح
وغسان يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم ثم لحق به مالك بن الاشتر الحنفي مدداً
من قبل أبي عبيدة وعادوا جميعاً سالمين عامين وسيّري حيشاً آخر الى مرعش مع
حالد بن الوليد ففتحها وأحربها وعاد والظاهر ان الذي دعاه الى اخراجها عدم
وجود جند كاف يقوم بحمايتهم هجمات أهل الحريرة والروم والآخر بما يكون
أحرب حصنها فقط لئلا يعتصم به أهلها بعد وينتفضوا على المسلمين

✽ هاجمة هرقل لسورية بعد استقرار ملك المسلمين ✽

هكذا انقضى أمر الروم في البلاد السورية وتم للمسلمين فتحها بعد
حروب طويلة استمرت ثلاث سنين ولأق جند المسلمين في عصونهم من الماء
وبدلوا من الدماء ما حمل ثمن هذه الملاح عليهم عالياً ومقامها في نظرهم عالياً وكان
لرجال قرش وأنصارها في حرب الشام خاصة من الأثر العظيم والبلاء الحسيم
مما نكس لقوم غيرهم في الفسحات الأخرى وقتل منهم في وقائع الشام عدد كبير

لا سيما في وقعة اليرموك وكان ممن قتل منهم عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو وخاله
ابن سعيد وهشام بن العاصي وسهيل بن عمرو وأبان بن سعيد وأضرابهم من
صناديد قريش وأشرفها وكان للنساء القرشيات من البلاء ما كان للرجال أيضاً
فقد روى الطبري أن النساء المسلمات قاتلن يوم اليرموك وخرجت جويرية ابنة
أبي سميان (القرشية) في جولة وقال البلاذري وقاتل يوم اليرموك نساء من
نساء المسلمين قتلاً شديداً وحملت همد بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان تقول
عضدوا الغلمان بسيفكم

وبالحيلة فقد لاقى المسلمون في فتح الشام أهوالاً شداداً وصادموا عدواً
استمات في الدفاع عن حوزته والذب عن سلطانه اذ لم يكن هرقل وجنوده أقل
شأناً وإقداماً وجراءة من العرب يدلك على هذا ما طهر من الروم في الوقائع
الأولى التي حدثت في اليرموك ودمشق وحلب وأجنادين وغيرها وعدا هذا
فانه لما استقرت قدم المسلمين بالشام وتمكن سلطتهم منها في الشرق والعرب
وسار أبو عبيدة عن انطاكية لمد أن يستحلف عليها وعلى قسرين وحلب وغيرها
من استخلف من القوادم يستقر لهرقل حال ولم يهدأ له مال فأعاد الكرة على
البلاد السورية في سنة (٥١٧) بتحريض أهل الجزيرة له ووعدهم بالمظاهرة
والنصرة فلم يفحاً المسلمين الاوهر قل قادم بجند كثيف الى حمص من طريق البحر
واستمد أهل الجزيرة وكاتب أهل حمص بالخروج على المسلمين فأبوا عليه وأرسلوا
اليه إنا قد عاهدنا المسلمين فنحاف ان لا نخسر وكان أبو عبيدة في حمص فاستمد
حالة إيجاءه من قسرين عن معه من لحود فاصم أهل قسرين بعدد من هرقل
وحاصر هذا ناعبيدة في حمص فاستتروا عبيدة القو دفأشار عليه حله مساحرة
وأشار غيره بالكتابة الى عمرو وحاو له هرقل ريثما تنهيه حواب فعمل ريثم

وكتب الى أمير المؤمنين يستعده وجاءت لهرقل الجيوش والامداد وكان امداد الجزيرة وحده ثلاثين الفاً على مارواه الطبري وبلغ الروم من المسلمين كل مبلغ ووصل الكتاب الى عمر فكتب الى سعد بن أبي وقاص في العراق ان أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه فبث المسلمين بالجزيرة واشغلهم بالمسلمين عن أهل حمص وكان عمر أعدي كل مصر فدرأ من الحيل لكون ان كان وكان في الكوفة أربعة آلاف فرس فلما وصل كتاب عمر الى سعد بن أبي وقاص فمدع القمعاق بن عمرو وعبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي وعياض بن غنم وكان عياض قد عاد الى العراق بعد فتح الشام لانه من حشد العراق وأشار عليهم بأمر عمر بن الخطاب أن يسلك كل أمير طريقاً الى الجزيرة فيقتصدوا حد قرقيسياء والآخر الرقة والثالث نصيبين والرابع حران والرها واهتم لهذا الامر عمر بن الخطاب (رض) فخرج من المدينة ممدداً لأبي عبيدة حتى رل الجابية وكان القمعاق تعجل بأربعة آلاف فارس الى حمص ولما بلغ الروم ذلك انفضوا الى مدائنهم وبادروا المسلمين اليها فتحصنوا ورل المسلمون عليهم فعموهم عن امداد لهرقل فذب العشل في حنوده وراسل طائفة من تنوح خالد بن الوليد بالسليم أو الهزيمة وكان خالد بن الوليد لشجاعته وعلو همته لا يحب الغلبة الا بقل صموف الاعداء وما جرتهم في الهيجا فأرسل الى تنوح والله لولا اني في سلطان عيرى ما نايت أأقتل أم أكثرتم أو أقتل أؤذهتم فان كنتم صادقين فامشوا^(١) كما امش أهل الجزيرة فوعده بالهزيمة اذا خرج اليهم المسلمون وقال المسلمون لأبي عبيدة قد تفرق أهل الجزيرة وندم أهل قنسرين وواعدوا من أنفسهم وهم العرب فاحرح بنا هذا وخالد بن الوليد ساكت فقال له أبو عبيدة مالك لا تتكلم فقال قد عرفت الذي

كان من رأيي فلم تسمع من كلامي . قال : فتكلم فاني أسمع منك وأطيع بك : قال :
فاخرج بالمسلمين فان الله تعالى قد نقص من عدتهم (يعني الروم) وبالعدد يقابلون
وانما قاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تحفلك كثرتهم

روى الطبري بعد سياق هذا الخبر عن علقمة بن الضر وغيره قالوا جمع
أبو عبيدة الناس فحمد الله وأنتى عليه وقال

أيها الناس ان هذا يوم له ما بعده أما من حي منكم فانه يصفوه ملكه
وقراره وأما من مات منكم فاهما الشهادة فأحسنوا بالله الطن ولا يكرهن اليكم
الموت أمر قد اقترفه أحدكم دون الشرك توبوا الى الله وتعرضوا للشهادة فاني
أشهد وليس أو ان الكذب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من
مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

وكأنما كان في الناس عقل^(١) ناشطت فخرج بهم وحالد على المينة وعباس
على الميسرة وأبو عبيدة في القلب وعلى باب المدينة معادين حل ونشب القتال
فاهم لكذلك اذ قدم القمعاق متعجلاً في مائة وانهزم أهل قسرين بالروم فركبهم
المسلمون وتمت الهزيمة وعاد هرقل وجنوده بالحيرة وطهر من بقية المسلمين
واستعدادهم واهتمام أمير المؤمنين بهم في هذه الحادثة ما رأيت مم لا يظن بقوم
مثالهم حديثي عهد بالدأوة . ولما طفر المسلمون جمعهم أبو عبيدة وخطبهم وقال
لا تنكأوا^(٢) ولا ترهقوا في الدراحات بلو علمت به بقي ما أخدم أحدكم
هذا الحديث

وتوفي اليه آخر أهل الكوفة في ثالث يوم من يوم الواقعة وكسب المسلمون
الى عمر وهو بالحماية فامتحن وقصدوه أهل الكوفة بعد لانه وطلبوه منه حكم

(١) جمع عقلاء وهو ما بعد من العبر (٢) في له موسى كس وكس وحس

في ذلك فكتب اليهم ان اشركوهم وقال: جزى الله اهل الكوفة خيراً يكفون
حوزتهم ويمدون اهل الامصار

﴿ ما كل حديث تحدث به العامة ﴾

(وندم أبي عبيدة على نقله الحديث لعامة الناس)

كل مسلم اكتبته كنه الدين الاسلامي ووقف على حكمه واسراره يرى من
آياته العظمى في الرغيب والرهيب ما لو احسن استعماله ووضع في موضعه لسكني
لارواح النفوس الشريرة عن مواطن الرذيلة مهما التصقت بها وامنت فيها
ولجمال النفوس البارة نوراً على نور واللبس هامن الفضيلة لباساً لا يصيبه بلى وقد
حاء الكتاب الكريم بالترغيب ليكون باعثاً للنفوس على العمل الصالح رجاء
الثواب الاخروي الذي اعدّه الله لعباده الصالحين لا ليكون وسيلة لاستدراج
النفوس في مدارح الاستباحة طمعاً في عمو الله لهذا جاء ما زاء الترغيب بالرهيب
لترسيم على صفحات النفوس صورة العقاب كما ارتسمت صورة الثواب فيكون
لها منها داع الى الخير يذكّر بها بالتواب ويمكن منها الرغبة فيه لا الى حد الطمع
والغرور ثم الاستدراج في الشرور . وراح عن الشريد كرها بالعقاب ويمكن
منها الرهبة منه لا الى حد الانقطاع الى تقويم اود النفس وتعطيل وطائف الحياة
ولا الى حد اليأس والقنوط ثم الاسترسال في الشهوات وافتراء المكورات ^(١) على
ذلك الاساس نبي الترغيب والترهيب في الاسلام وكل ما جاء منه في الحديث
النبوي فالمراد منه عين ما اراده القرآن ولكن ما الحيلة وقد اطلع كثير من علماء
المسلمين بالافراط في الوعظ ترعيباً وترهيباً وحملوا عامة الناس على طريقتهم في

(١) لما هذا الصدد كلام مشع في كساسة (منه الافهام الى مطالب الحياة الاحمائية

و (سلام) فايرجع اليه من أحب

فهم الدين فأكثر وأمن حمل الحديث وروايته دون التفهم له والعلم بمقاصده
 ووضع كل شيء منه في محله والتفريق بين صحيحه وموضوعه حتى أغرروا العامة
 بمقيدة الإباحة لكثرة ما يروون لهم من أحاديث الترغيب ولو موضوعة
 كفضائل الصيام والصلاة وفضائل الشهور والأيام وفضائل التلاوات وجعلها
 أن لم تقل كلها من الموضوع الذي تستدرج به العامة للاستباحة لا اعتقادهم بأن من
 صام كذا غفر له من السيئات كذا وكذا ومن تمهل بيوم كذا محيت سيئاته إلى كذا
 ولقد بلغ بعضهم سوء الفهم للدين أن جعلوا لبعض القصائد البوية من الفصائل
 ما لم يحمله لوه لا قرآن فقالوا إن البيت الفلاني منها لشفاء الأسقام والآ خر لمحو
 الذنوب والآ نام والثالث للرجاء من ظلم الحكام فليت شعري إذا اعتقد العامي أن
 تلاوة بيت من قصيد يكتفى لمحو كل ما يقترفه في يومه من الآ نام فإلى أية درجة
 ينتهي فساد أخلاقه وشرور نفسه وماذا يسمعه القرآن بأوامره ونواهيه ووعده
 ووعيده وحكمه وأحكامه

ألهم ان هذا الغاية الاستهانة بالدين والجهل بمقاصد الاسلام ومشوّه
 اضطراب الافهام وتلّس الحقائق بالآ وها م منذ حد الوصاعون بالكذب على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلوا في الدين ما ليس منه يضاف إليه الأكثار
 من حمل الحديث على غير نفعه فيه ووضع له في موضعه إلى أردها الشارع
 وقصدها الاسلام ولو تتبع العلماء سيرة الصحابة الكرام سيما خاصتهم الذين
 لاروا النبي عليه الصلاة والسلام وفهموا هذا الدين حق الفهم وكيف فهمه
 كانوا يفتلون من رواية الحديث الآ للحاجة وما تعلق منه بالاحكام حتى مع عمر
 رضى الله عنه ان كان نهي عن رواية الحديث ويقول عليكم بالقرآن كما سري مد
 وما ذاك الا خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرة

الرواية والنقل وخوف افتتان العامة بما ليس لهم به علم وبما لم يتفقهوا فيه من الحديث

أبو عبيدة بن الحراح كان من خيرة الصحابة وعلى جانب من التفقه في الدين والورع والتقوى دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأن يسميه أمين هذه الأمة وقد سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً وعالم يسميه منه أحد من الصحابة أو سمعه لبعض الخاصة فرأى هذا الأمين أن يطوى هذا الحديث بين الجوانح ويض به على العامة كما ضن به عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن عقول العامة يلابسها الاغترار ونفوسهم يلامسها الضعف وحب الشهوات فهم بالوعيد أولى وبالزاهم ظواهر الشرع أخرى ولكن لما ألتجأته الضرورة القصوى وهو محصور مع المسلمين في حصن ورأى منهم فتوراً عن الحرب لالوهم في نفوسهم أو حب أصابهم كلا وانما هو لرغبة الخائف الى تمكث من أفتدتهم وقلوبهم وأحافهم من الموت لا لداته بل لما بعده فام خطب فيهم ونلى عليهم ذلك الحديث وهو (من مات لا يترك بالله شيئاً دخل الجنة) استحثاناً لهممهم وتحميماً لروعهم مما بعد الموت رحاء رحمة الله وعهوه عن ذنوب أقر فوها مما دون الشرك اذا تابوا وأتابوا

قال لهم هذا هو يطن ان هذا الحديث لا يتعدى اسماءهم لا عتقاده اهتم اذا خرجوا المسكافة الروم لا يلقى منهم أحد يحدث به أو يلاسن نفسه أثره اكثر من كان على حصارهم من حدة الروم ولما تم الطهر للمسلمين ونحوهم براتن العدو دم على ان حدثهم بذلك الحديث وحشى من ان يعلق في نفوسهم شئ مما مع أنه علمه على التوبة فقام وخطب فيهم فقال

(لا تنكروا ولا تترهدوا في الدرجات بلو علمت انه في مما أحد لم أحدكم

هذا الحديث

وتالله إن قوم بلغ بهم الايمان الصادق واليقين الثابت ذلك المقام مقام الرهبة من الله ومن الوقوف بين يدي قدرته بعد الموت لقوم عامتهم أعلم بالدين وأخلص في اليقين من حاصتنا ومع هذا فقد ندّم أبو عبيدة على أن حدثهم بذلك الحديث فليت شعري كيف يكون الحال بعد ذلك العصر وماذا يشترط في المحدثين وحملة علوم الدين ألا يشترط الوقوف على مقاصد الاسلام والمفقه في الحديث والعلم بحاله المحاطين واجتساب العلوم معهم في الترغيب والترهيب ومراعاة ما يلائس عقولهم من القوه والضعف وأتى يتيسر هذا وقد نتج عن كثرة الرواية وحمّل الحديث بالثققة فيه زيع العقول عن مقاصد الشرع واحتراء الكدابين على وضع الحديث وشحن الكتب الاسلاميه بما لا يرضاه الله والرسول وهو ما كان يحذره عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولهذا نهى في عصره الذي هو حير المصور عن الاكثار من رواية الحديث فماداك بما إلى عصره من العصور

ذكر الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر الرضى الاندلسى في كتابه جامع بيان العلم^(١) وفصله في باب ذكر من ذم الاكثار من الحديث دون التمهله والثقة فيه ما نصه

عن بن وهب قال سمعت سفيان بن عيينة يحدث عن بيان بن عامر الشعبي عن قرطبة بن كعب قال حرق اريد امرق قشبي مع عمر في حره ووصا ففصل ائمن ثم قال أتدرون مشيت معكم في صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معكم فقال كذا ترون من مريه بم دوي، عمر كدوي

(١) يوجد من هذا الكتاب - ح - حصة في كتابه لار

النحل فلا تصدوهم بالا حادبت فتشغلوهم . جودوا القرآن وأعلموا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مضوا وأنا شريككم . فلما قدم قرظة قالوا أحدنا قال لها ناعمر بن الخطاب اه

ثم قال ابن عبد البر مد هذا بقليل ما نصه قول عمر انما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن خشى عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الاصل لكل علم هذا معنى قول أبي عبيد في ذلك ثم قال بعد ذلك أيضاً : ان نهيه عن الاكثار وأمره بالاقلال من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوفاً أن يكونوا مع الاكثار يحدثون بما لم يتيقنوا حفظه ولم يعموه لان صبط من قلت روايته أكثر من صبط المستكثر وهو أن يمد من السهو والغلط الذي لا يؤمن مع الاكثار فلهذا أمرهم عمر من الاقلال من الرواية اه

﴿ القواد الدين حصروا فتوح الشام ﴾

ممن كان له البلاء الحسن من القواد في فتوح الشام غير القائد العام الذي كان خالد بن الوليد ودمده أبو عبيدة بن الجراح . خالد بن سعيد وعمر بن العاص ويزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية وحبيب بن مسلمة المهري وعياض بن غنم المهري وشرحبيل بن حسنة وكل هؤلاء من قريش إلا الحيرفان حليف بني رهمرة من قريش وأما غير هؤلاء ممن ليسوا من قريش فهم دوالكلاع الحميري والقعقاع ابن عمرو^(١) والسمط بن الاسود الكندي وعلقمة بن مخرز وعلقمة بن حكيم المراسي وعواده بن الصامت ومالك بن الاشتر المحمي ومسروق بن فلان العكي

(١) القعقاع وعياض هما من حد العراق لا الشام ووفدا مع خالد بن الوليد أيام

حيث من العراق وعداد القعقاع له مدح دوشق وعياض مدوح البطاكية وقل قاما الى العراق

وأبو أيوب المالكي وغيرهم

هكذا تم فتح هذا القطر السوري لأولئك القواد البواسل وقد رأيت من حسن ترتيبهم للجيش وإلمامهم بطرق البلاد وتفهمهم بأساليب الحرب وقهرهم للعدو ما يدل على علو كمهم في فن الحرب وخبرتهم بالبلاد حتى كان أمير المؤمنين وهو المدينة يصدر أوامره للامراء في كيف يسرون وأي المسالك يسلكون وأي البلاد يقصدون كأنما كان ينظر إلى هذا القطر على حارطة مصورة بين يديه والعملة في هذا أن القطر السوري بسبب اتصاله بحزيرة العرب من جهة الحجاز كان كخزء طبيعي منها عرف العرب طرقه وبلادته وأحواله كافة كما عرفوا نفس الجزيرة يضاف إليه أن قسما عظيما منه كان أهولا بالعرب من مصر وكانت صلة الاختلاط والمتاجرة غير مقطعة بين الحجاز وسورية تمتد إلى أحيال متطاولة قبل المسيح وكانت قوافل قريش قبل الاسلام تتردد إلى سورية أكثر من غيرها لهذا كان كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب عارفين بطرق البلاد وأحوالها ذوى علاقة تجارية بسكانها

﴿ غرض من معرفة ﴾

(ولطرفة اجتماعية)

قد رأينا بعد الصراع من الكلام على فتح سورية أن نأتي على حلاصة جغرافية للبلاد السورية لصنعها أهم المباحث الجغرافية والاجتماعية المتعلقة بهذا القطر قديما وحديثا مع بيان صناعته وعدد سكانه وقسماته وحديثه كل ذلك على وجه الاحتمال الذي يسعه المقام بالتفصيل ليس من شأن التاريخ العام بل هو من شأن التواريخ الخاصة فقطول

يحدسورياشم الاولاية ثده (كيليكيا) من آسيا الصغرى وشرفا الممرات

والبادية وجنوباً جزء من بلاد العرب ويقال له تيه بنى اسرائيل وغرباً ببحر الروم أي البحر المتوسط وقد قام في هذا القطر حكومات كثيرة تعددت بتعدد الاقوام القاطنين فيه كالفيقيين^(١) والحثيين والاموريين والسكمانيين وغيرهم من الشعوب ثم رحل اليه بنو اسرائيل من مصر وزاحوا سكان البلاد وأخذوا قسماً عظيماً منه وعزاه كثير من الدول القديمة كدولة المراعنة المصريين والماديين والفرس واليونانيين والرومانيين وعرب الاسلام ولم تثبت فيه قدم دوله من الدول الفاتحة كما ثبتت قدم دوله الرومانيين ودوله الاسلام فقد كان ابتداء دوله الرومان فيها من سنة ٦٥ ق م الى سنة (٦٣٣ م) حيث ابتدأ الفتح الاسلامي في البلاد السورية وكانت نهايته (٦٣٨ م) أو (٥١٧ هـ) وفيها تقلص ظل الروم عن هذا القطر وقد كان عهد الرومانيين مقسوماً الى ثلاثة أقسام كبيرة وهو فلسطين وتوابعها ودمشق وتوابعها وانطاكية وتوابعها وكان القسم الشمالي منه يسمى سورية والقسم الجنوبي يسمى فلسطين فأطلق عليه اسم سورية منذ تملكه الرومان ولما تملكه المسلمون أطلقوا عليه اسم الشام وقسمه عمر (رض) الى أربعة أقسام القسم الاول الثغور وسماها هارون الرشيد العواصم وهي حمص وقاسرين وحلب وانطاكية وحاضرة هذا القسم

(١) الفيقيون كانوا يسكنون سواحل الشام الحوية وبعص الشمال وكانت عاصمتهم القديمة صيدا ثم اتوا صوراً حوالي سنة ١٥٠٠ قبل المسيح بعد حراب صيدا وكانوا من أنشط الشعوب وأعرفهم سلوك البحار وطرق الاستعمار فاستعمروا معظم حرائر البحر الأبيض ودهوا الى سواحل افريقيا الشمالية وأسسوا هناك مدينة قرطاجنة الشهيرة التي يقال انها كانت قرب تونس وقطعوا مصيق حل طارق الى المحيط وناحلتها فقد كانوا أعظم دول البحار في عهدهم وشبههم بعض المؤرخين بدولة انكلترا هذا العهد

حصن والقسم الثاني دمشق والقسم الثالث الأرذن وحاضرتيه مدينة الاردن
 (طبرية) والقسم الرابع فلسطين وهذا قسمه الى قسمين قسم حاضرتيه الرملة وقسم
 حاضرتيه إيلياء (القدس) وكل قسم من هذه الاقسام يسمى جنداً وتحت كل قسم
 أقسام تدعى كوراوسياتى الكلام على هذا بالتفصيل في غير هذا المحل ان شاء الله
 وقد توفرت في هذا القطر أسباب المكاسب الثلاثة وهي الزراعة
 والصناعة والتجارة لحصص أراضيهم وموقعه الجغرافي ونشاط أهله للعمل الا أن
 هذه الاسباب كانت تملو وتسفل بنسبة حال الدول الحاكمة في هذا القطر ومن
 المقرر أن عمران الممالك تابع لترقى الدول وقد كانت دولة الرومان الشرقية على عهد
 الفتح الاسلامي دولة لحقها الهرم والعجز وغفت من ممالكها آثار التمدن
 الروماني العظيم لما أصاب أهلها من الانشقاق الديني والاختلاف المذهبي الذي
 أودى بحياتهم السياسية وفرق جامعتهم المليية ولما تولى الامبراطورية هرقل
 سنة (٦١٠ م) كان أمر المحادلات الدينية في أشده فخاص الامبراطور نفسه في
 عماره واشتغل بالامور الدينية تاركاً أمور الدولة السياسية لوزرائه وأرباب
 دولته ومن ثم طهر الوهن في الدولة في أتم مظاهره ففزتها دولة الفرس
 واكتسحت جزءاً من ممالكها عظيمها وهو آسيا الصغرى وسورية ومصر وكاد
 الامبراطور هرقل يرايل بكرسيه الامبراطوري القسطنطينية ويخذق طاحنة
 عاصمة له لولم يجمعه عن هذا العزم نظير ترك القسطنطينية حتى مر مرة ثانية
 بحمان ثاب لمحاربة الفرس واسترددهم ما انتزعوه من ممالكهم كما تقدمت
 الاشارة اليه فيما مر من هذا الكتاب

ولارب في أن ما أصاب هذه المملكة من القهقريه ثم كان لسورية منه
 حظ عظيم ونكب كما نكب ذلك الملك المرص بسوء السياسة والضعف

والانقسام لاسيا وانها كانت حديثة عهد بمارك المرس التي لم يكن مضى عليها
 لحين الفتح الابضع عشرة سنة. إذن فهذه البلاد لم تكن لمادوخها المسلمون راقية
 مراقي العمران ولم تكن أسباب المكاسب الثلاثة متوفرة عند السكان إلا أن
 استعدادها الطبيعي لقبول العمران وما فيه امن بقايا المدينة العابرة تكمل برقي
 أهلها في مراقي السعادة من بسطت عليها دولة العرب المسلمين جناح السلطان
 نعم نحن ليس لدينا نص تاريخي واضح على مبلغ ما وصلت اليه هذه البلاد
 من الرقي على عهد الخلفاء الراشدين والامويين في صدر الاسلام لِمَا أن أخبار تلك
 العصور انتهت اليها بالرواية ولم يكن تدوين التاريخ الاسلامي معنيًا به في ذلك
 العصر إلا أن هناك من الأدلة والاسباب ما يحتمل على الظن بل اليقين بأن البلاد
 السورية صارت يومئذ الى أبعد غاية من عايات الترقى في أصول المكاسب الثلاثة
 الصناعة والتجارة والزراعة

من المعلوم بالبداهة أن العدل أساس العمران ومتى تنظمت أصول الحباية
 ورفع عن الرعية العسف وخففت المطالم وأطلق للاهلين عمان الحرية توفرت لهم
 أسباب الراحة وشطوا من عقال الحمول وهبوا للاخذ بأسباب المكاسب
 وتبسطوا في مذاحي العمران وقد رأيت فيما مضى من أخبار الفتح كيف أن سكان
 البلاد كانوا يصالحون على مقدار معين من الحرية والحراخ لم يتجاوز حد العدل
 والاستطاعة وروعت فيه بالطبع ثروة البلاد ومقدرة كل فرد من الاهلين وان
 هذا القدر المميز في عصر الفتح استمر على ما هو عليه مدة الخلفاء الراشدين
 والامويين وصدر آس خلافة العباسيين وان سنده محاولة الخلفاء على العهد والى
 بأيدي السكان ويضاف اليه تجنب تلك الدول لأسباب السرف لقرب عهدا
 بالداوة وجدهتها في تأسيس الملك وعدم حاجتها لهذا السبب الى التعسف في

الجباية والاكثر من المظالم وقد كانت جباية الاقسام السورية الاربعة في عهد
الامويين على ترقى العمران في البلاد هي ما يأتي نقلا عن فتوح البلدان

دينار

الاردن ١٨٠٠٠٠

فلسطين ٣٥٠٠٠٠

دمشق ٤٠٠٠٠٠

المواصم (وهي حمص وقنسرين وحلب وانطاكية وتوالهيم) ٨٠٠٠٠٠

الجمع ١٧٣٠٠٠٠

وهذا المبلغ ليس بشئ بالنسبة لعمران البلاد يومئذ ورعا لمعت حباية
البلاد في عصور تفتقرها أكثر من ذلك وجبايتها الآن على تديها في العمران وقد
الصناعة منها وضعف التجارة والراعة فيها أكثر من جبايتها في صدر الاسلام
كما ستري

وهذا دليل على تناهي الخلفاء يومئذ بالعدل وعدم عسهم في الرعاية يضاف
اليه أيضا حلوس الخلفاء بأنفسهم لا مظالم الى عهد عمر بن عبد العزيز وإنصاهم
لرعاية وفيهمهم على وسائل العمران وتمصير الامصار وتأسيس الملاحى كوضع
عمر بن الخطاب لدور الضيافات الخاصة بأبناء السبل والمقطعين وترتها في
الطرق من الحجار الى الشام ومنها الى العراق وتأسيس معاوية لمدينة طراس
الشام وتمصير سليمان بن عبد الملك لمدينة رمله وتشيد لوليد بن عبد الملك
الملاحى لازمى واعظمين وأمره ماء لصادق ماسورين فيم يين لا قصر
المتباعدة كما صم عمر بن الخطاب وعسبه في يزيد صلاح الخرق لمساهله من
التجاره وإطلاق الخلفاء حرية المعتقد يين لثوئف لوضيعة من اليهود

والنصارى وعدم إنحياز أحدهم لقريق منهم دون آخر كما كان يخاز ملوك الروم
ويثرون بين الرعية نائرة التباغض والشحناء كل هذا وغيره من أسباب الراحة
والأمن ودواعي الرقي والعمران يدلنا على رقي البلاد على عهد الخلفاء الراشدين
والأمويين والعباسيين أيضاً وتمتع أهلها بسمادة الراحة والعمران الى لم يتمتع بها
هذا القطر في عهد غير دولة المسلمين الا قليلا على عهد المينقيين أيام مجدهم
والرومانيين أيام تمدنهم

ولما انقسمت دول الاسلام على بعضها تداول هذا القطر السوري عدة
من الدول كالعاطميين والأتراك والكراد والجرأكسة أخذ بالانحطاط تبمّا
لانحطاط الدول الحاكمة وأصيب من السكبات بما لم يصيب به غيره من الاقطار
الاسلامية اذ هاجمته في أواخر القرن الخامس من الهجرة جيوش الصليب
واستعرت في أرجائه نيران تلك الحروب المشؤمة مدة جيلين كاملين الله أعلم بما
أصاب في غضون هذا القطر من الخراب والتدمير ثم تبع ذلك هجوم التتار عليها
في نصف القرن السابع للهجرة وتحريرهم للمدن والامصار وفعلهم في البلاد
وأهلها الافعال الكبار ونلى ذلك هجوم تمورللك عليها في أواخر القرن الثامن
بعدا كتساحه لما في طريقه من ممالك الاسلام وفعل في سورية الافاعيل وأحلى
عن دمشق خاصة أهل العلم والصناعة واستصحبهم معه في عودته الى سمرقند

على ان موقع هذه البلاد الجغرافي وطبيعة أرضها المشهورة بالخصب
وأهلها المعروفين بالخلد حفظ لها دماء الحياة وأعان أهلها على تحمل المصائب فلم
تخط الى الدرجة الى تقدمها أصول المكاسب بل استمرت حلب ودمشق
الى عهد قريب محطاً لحركة القوافل الآتية من العراق تحمل بضائع المعجم والهند
وتعود بالبضائع الشامية بل والبضائع العربية أيضاً اذ كان هذا الطريق قبل فتح

ترعة السويس أخصر طريق بين الغرب والشرق وكذلك الصنائع فاتها بقيت حية نامية حتى في العصور المتأخرة على عهد ملوك الطوائف يدنانا على هذا ما بقي منها وما لم يبق أيضاً لوجود أثره الذي ينبئ عنه فاما الدقيق منها الى الآن فصناعة الأقمشة الحريرية والقطنية كأقمشة اللبس المعروفة بالشاهسية أو القطنية والديما أو الفزلية والالاجا والحامدية وغيرها وكأقمشة الرينة كالستائر والمتكثات وغيرها من أقمشة الحرير والصوف والقطن المختصة بالرينة وأخصها الأطلس المعروف قديماً بالدامسقة إلى غير ذلك من أنواع الأقمشة كالشراشف والمناشف والكوفيات والاحرمة كل هذا ناق الى الآن وهو في أعلى طبقة من دقة الصناعة ورواء المنظر ومائة السبيع وهاء الالوان وتناسب النقش وقد اختلفت ببعض هذه الصنائع دون البعض الآخر كثير من البلدان السورية كحلب وحماه وحمص ودمشق وطرابلس والدو (من لبنان) وغيرها

وصناعة الحمر والنقش على الخشب الصّدف المعروفة (بالمقصص) وهي من الصناعة الخاصة بدمشق وقد ترقّت الآن فتمدت الصدف الى النقش بقطع الخشب الملون الدقيقة بحيث لا يطهرها الطرديها الأملقوشة بالدهان لتماسك الاحراء الصغيرة والتحامها التحاماً لا يطهر منه أب النقوش تماهي أجزاء صغيرة ملتصقة في الخشب الالعدامعان الطرديها والتدقيق في نقوشها وصناعة الصابون ومعاملها لم تزل تشغل في الآن في حلب ودمشق ونابلس وغيرها

وصناعة النشاوي دمشق معامل كثيرة لها تسمى القامات تزل لهذا المهنة تصنع كميات عظيمة من النشا الا انه قل تصديره في الخرج سبب زحمة

النشا الا فرجى له في البلاد التي كان يصدر اليها كعصر وغيرها
وصناعة الدباغة وهي موجودة في معظم المدن السورية الا انها ساذجة لم
تترق الا في مدينة زحلة التابعة لحلب لبان فانها تحسنت الآن وكادت تضاهي
الجلود التي تصنع في زحلة الحلو دالى تصنع في معامل أوروبا
وصناعة البساء والحفر في الاحجار ونقشها نقوشاً ماثلة أو مجوفة وهي صناعة
عديمة في البلاد تمتد الى زمن الفينيقيين كما يستدل على ذلك بالآثار الحجرية الباقية
الى الآن والطاهر أنها كانت تختلف باختلاف حال الدول وجها للبذخ ويملها
للعمران فالبساء في عصر الفينيقيين ومن تلامهم من الدول في سورية كان طاهر
الحمامة عظيم الضخامة منقن النقش والترتيب كما يكل لذلك الذي بلغ الغاية في
إتقان الساء والتصوير الباقى على الحجر الصلد ومثله هيكل تدمر أيضاً على أن لم نر
أثر يشبهه الا واحر الدولة الرومانية ولما جاء الاسلام وتبسط الامويون في
العمران وابتى الوليد جامع دمشق وبيت المقدس ظاهرة من إتقان البساء وكان
أجمل رواء منه في عصر الرومانيين من حيث النقش الدقيق على الاحجار المعروف
لهذا العهد بالحمر والتنزيل وأما في القرون الوسطى الهجرية فقد انحطت هذه
الصناعة انحطاطاً قليلاً بدليل ما نشاهده من بعض المساجد الى بنيت على عهد
الملوك الحرا كسة وغيرهم كجامع الملك الطاهر بدمشق ثم نهضت في القرون
المتأخرة وترقت من فن البساء صناعة الحرف والحمر والتنزيل ترقياً عظيماً حتى
هذا العهد وقد بنى في العام الماضي محراب للجامع الأموي كله من القطع الرعام
الملونة الصغيرة فسكات على تناسب أوصاعها وإتقان صنعها وترتيب أشكالها
معجزة من معجزات الصناعة ومثله المبر الذي أقيم في جابه وعلى نمطه أيضاً
وصناعة الرحاح وهي اليوم متدنية جداً لا تعدى صنع القوارير الساذجة

وهما لهام وجود في دمشق وغيرها

وصناعة الجبال المتخذة من قشر القنب وهي ترقية عظيمة الخطر وتوجد
مصانعها بكثرة في دمشق وتصنع مع الدرّة في بيروت وحماة
وصناعة النحاس ونقشه نقوشاً نائشة ومحفورة وكانت قدمت منذ خمسين
سنة ثم عادت الآن بسبب كثرة رغبات الأوربيين بالآلية النحاسية التي من
هذا النوع

وصناعة الصاعة وهي الآن ترقية في معظم المدن السورية
وصناعة أدوات الخيل وهي الآن ترقية وقد تناولت كثيراً من الصناعات
كصناعة لهميانات والصاديق الخلد وغيرها وهذه الصناعات الباقية إلى الآن في
سورية ووجود غير هائل أيضاً مما لا أهمية لذكره وأما الصناعات التي اندثرت وإنما
تدل عليها آثارها فهي صناعة القيساني وكانت خاصة بدمشق والموجود منها لهذا
المهدي بعض المنارل وخمات والحوامع يدل على ترقى هذه الصناعة في العصور
المتأخرة ترفياً عظيماً خصوصاً في القرن التاسع والعاشر إلى الثاني عشر وفي جامع
الشيخ محي الدين الرني في الصالحية الذي ابتداء السلطان سليم العثماني في أوائل
القرن العاشر نوع منه بلغ الغاية في الاتقان ودقة الصنع وهما 'لأون' وتاسق
القوش وكذلك الموجود في جامع الدرويسية وتاريخ صنعه المكتوب عليه هو
سنة (٩٨٣ هـ) والموجود في جامع السماية وتاريخ صنعه المكتوب عليه هو
سنة (١٠٠٠ هـ) وقد دثرت هذه الصناعة في القرن الماضي لانهضارها في
واحدة من آخر فدمها لتعليم هذه الصناعة لسوء وماتت في سعة والخبر
عن هذا موضوعه مستفيض إلى اليوم عند هذه الشهيدين والظاهر أن أصل هذه
الصناعة فارسية بدليل نسبتها إلى فيشان معرفة عن فاشان لدى درس

وصناعة الخزف وقد كانت أيضاً في أعلى طبقة من الدقة وتدل آثارها على أنها كانت مرتقية في القرون الوسطى والمتأخرة الهجرية وإنما عرفنا ذلك بمشاهدة قطع من مصنوعات الخزف استخرجها الدكتور (هوردوشانو) من التل المعروف بتل الباب الشرق حارح دمشق لما اشترى من الحكومة هذا التل وأراحه من بضع عشرة سنة فوجدناها تشابه ما اكتشفته جمعية البعثة الأثرية الفرنسية في مصر من القطع والآية الخزفية المصنوعة في عهد الفاطميين والجزراكسة^(١) وقد شاهدت بعض هذه القطع المصرية عند صدق لي الألماني وعليها اسم العامل العربية إلا أني لم أعثر في القطع الدمشقية على اسم للعامل ولا العامل وأنا أنحى الآن عن ذلك فاذا عثرت على شيء من هذا القليل ربما أعود ذكره في مكان آخر على وجه التفصيل

صناعة السيفاء وهي قطع صغيرة من الزجاج الملون والمذهب نقش بها الحدران بأن ترصف على طبقة من الحاس على أشكال شتى جميلة الصنع والبريت تمثل الأنهار والأشجار والأبنية الخشبية وهي من أنفس الصنائع التي وجدت بدمشق وهي من مخزعات الروم بدليل أن الوليد بن عبد الملك لما أتى الخامع الأموي بدمشق استحلبها من القسطنطينية ورصف حدرانها كلها بالسيفاء على أشكال شتى تمثل الخامع والأشجار والأدهار ولكثرة ما طرأ على الخامع من الحريق تساقطت عن حدرانها السيفاء إلا قليلاً منها في الحائط المقابل للمبر في الحرم الداخلي والحائط العربي والشامي في الحرم الخارجي فإما ما كان منها على الحائط الداخلي فهذه آثاره في الحرق الذي حدث بمصر حينئذ وأما ما كان

(١) رجع مذكرات الجمعية الأثرية الفرنسية مطبوعة بالأمر الفرنسي

منها في الحرم الخارجي فقد أدركته في طفولتي وقد تشعشت القناطر الحاملة
لجدار ولما أريد ترميمها اقتلع ما عليها من الفسيفساء ما عمداً عن جهل بقيمتها
الثرية وإما اضطراراً فكان يجمعه الأولاد وخدمة الجامع يومئذ ويبيعونه
للسياح. والظاهر أن صناعة الفسيفساء استمرت في الشام إلى ما بعد القرن السابع
بدليل ما يشاهد منها في جدران بعض جوامع حلب وحامع الملائكة الظاهرية
بدمشق إلا أن القطع غير متماسكة في التركيب ولا منتظمة في الرصف وليس لها
من مهاء الصنع ودقة التناسب في النقش ما كان مثلاً في الجامع الأموي وهو يدل
على انحطاط صناعة النقش بالمسيحية يومئذ انحطاطاً انتهى إلى تركها تماماً

وصناعة السيوف الدمشقية وقد كان يتنافس بها ويصرب المثل بلين متونها
ومصاتها وقد دثرت منذ أجلي تيمورلنك صناعاتها إلى سمرقند على أنه لم تزل
إلى هذا المهذبة صناعة الأسلحة والسيوف. ووجود بدمشق وغيره من مدن
سورية إلا أنها محطّة عن مرّيتها الأولى

وصناعة الاثواب البيضاء المعروفة (بالخام الصالحاني) وكانت خاصة
بدمشق وبعض قرى جبل قلمون ولم يبق لها اعتبار منذ كثرت وارد البصائع
الأجنبية إلى من نوعها إلى سورية وكان من يصنع سبب شيخ في صالحية دمشق
ومن أرباب هذه الصناعة ضاع في السن مدبّع من الكبر عتياً يقول إن الصالحية
مدارعين سنة فصاعداً كانت مزارعها كلها أشبه بممل وحديحوك أهل تلك
الاثواب البيضاء من القطن المعروف بالشام وأن أهل الصالحية جميعهم كانوا في تيم
وعى رائد من ثمرات هذه الصناعة فأصبحوا الآن في صلبك وعبرهم مدعاهم
أو لعدم الحاجة إليها

وقال ذلك الشيخ إنه أدركه سواي دمشقي وكسوف منها لأرباب

صناعة مخصوصة كسوق الشعاعين والدادين والبالوعة والخرطوم وسوق
السلاج والعلية وسوق المراتبة والقباز وغير ذلك من الأسواق التي لم يبق
الصنائع أهلها إلا رسم دارين وعهد طامس لهم إلا العلية والخرطوم فقد بقيت
منهم بقية إلى الآن لم يدم استغناء البلاد عن صنائعهم لهذا اليوم
ومن الصنائع النفيسة التي قدمت من دمشق وكانت خاصة بها صناعة
الدهان المعروف عند المشعنين (بالمجمي) وهو بأن يغش بطن سقف الغرفة
والجدران المبطنة بالخشب بالجلس الناقى على أشكال بديمة ويذهب بعضها
وبعضها يلون بألوان غير زاهية وهي من أدق الصنائع النفيسة وأجملها وكان لهذا
النوع تركيب مخصوص من الدهان بحيث يستمر لونه لا مآذا بهاء ورواق
مها تطلت عليه السنون ويوجد لهذا المهذ كثير من آثار هذه الصناعة في
منازل دمشق ومنها ما هو موجود في منزل أسعد باشا العظم الذي يقصده السياح
للفرجة وفي منزل عبد الله ناشا ومنزل المرادي ومنها ما مضى على بناءه لهذا اليوم
نحو مائة وخمسين سنة ولم يرل الدهان الذي فيه زاهياً جميلاً كما تصنع بالأمس
والظاهر أن فقد هذه الصناعة من دمشق قريب عهد لو حود بعض آثارها التي
لم يعض عليها إلى اليوم أكثر من ستين سنة وإما أهملت في السنين المتأخرة
لكثرة ما تحتاج إليه من النفقات التي لا يتحملها إلا أهل الترف والبذخ للمقر
الذي ألم بالبلاد مدمد المحطت فيها أسباب المكاسب وقد تقدم القائلون بناء الجامع
الاموي لهذا العهد بعد الحريق الذي طرأ عليه إلى بعض الدهان الطاعمين في
السن الذين يعلمون شيئاً من هذه الصناعة بدهن السقيين اللذين يليان القمة من
الحبوب والشمال بذلك الدهان فاتقنوا صنعه إلا أنهم أدخلوا فيه بعض الألوان

الزراعة والصناعة على الصناعة إلا أن دعاء حرم الأوقاف للزراعة لا يحجب فيه
 هذا ما أرادنا بسطه عن حالة سورية الصناعية والاجتماعية وفي لنا كلام عن
 حالها لهذا العهد من حيث الترقى أو الانحطاط سواء كان في العلوم والمعارف أو
 في الصناعة والزراعة ودرجة تروية البلاد من هذه الأشياء ومصرات أهل مدنها
 منها وعدد نفوسها والسكان الحديثة التي أنشأها الشركات الأجنبية فيها إلى
 غير ذلك مما يتفق بالحالة الاجتماعية على العموم في هذه البلاد وما أتت عليه في
 هذا كله إلى المملكة العثمانية فقد أرجأنا الكلام على ذلك إلى الأجزاء التالية
 التي تخصها لرجال الدولة العثمانية ونشكلم فيها عن هذه الدولة التي نضرع إلى الله
 تعالى أن يؤيدها بروح القوة والعلم ويصونها عن الروال بأن يرشد رعاها إلى
 طرق الخير ويمرع من نفوسهم حب الشهوات ويزرع فيها حب الملة والوطن
 لينقذوا الأمة العثمانية من خطر الانحطاط إلى دركات الضعف والاصمحلل التي
 أشرفت عليها لهذا العهد وكاد اليأس من سلامة استقلالها يستولى على نفوس
 العقلاء من أفرادها الذين بقي فيهم دماء من الحياة وأثر من الشعور فباتوا
 يتقلبون على مصاحع الآلام وتساورهم الهموم الحسام ولا سبيل لهم إلى إصلاح
 الحال وتدارك خطر المآل لأنهم إذا أصبحوا زموما بالحياة وإذا صدهوا أخرجوا
 في عرف الجهلاء من عهد الامانة وهي حالة يارتاه تؤدون بتسمل الاحلاق
 وصعب العقول وموت الوجدان فانقدا اللهم بمصلك معها وارشدنا للتبرئ
 من عارها الذي حملنا عبرة في الآخريين وأعوثة في أيدي العرييين الملك
 محجب الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح المزي وقارن

(انتداب أبي عبد روفعة الجسر وغيرها)

قدم معنا أن أول عمل عمله عمر (رض) في خلافته هو إجلاء أهل نجران
وعمر خالد بن الوليد وانتداب الناس لحرب الفرس فلما الخبر عن الأمرين
الآن ولين فقد بسطناه فيما سبق وأما الخبر عن حرب الفرس فذلك أن المشي بن
حارثة الشيباني الذي حلف خالد بن الوليد على حرب العراق وفد على أبي بكر
في حال مرضه ليفاوضه في شأن الهجوم على بلاد فارس ماداموا مختلفين بينهم على
من يولونه الملك بعد شهريراز الذي أذسى موته إلى تلك سابور ثم قتله وقيام
آريره يذخت ثم بوران إلا أن أبا بكر وصي الله عنه لم يسمعه إجابة طلب المشي لم رصه
فأوصى عمر بن الخطاب (رض) أن ينتدب الناس بعد توليه منصب الخلافة مع
المشي بن حارثة لحرب الفرس فقام عمر في صبيحة اليوم الذي دفن في ليلته أو بكر
وانتدب الناس لقصد العراق فلم ينتدب له أحداً لأن وجه فارس كان أكره
الوجه إلى المسلمين وأثقلها عليهم أشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأثم فلما
كان اليوم الرابع عاد وانتدب الناس وتكلم المشي بن حارثة فقال يهون على المسلمين
خطب الفرس

يا أيها الناس لا يعطس عليكم هذا الوجه فانا قد تحببنا ريف فارس وعلبناهم
على خير شقي السواد (يعني الشق العربي الذي هو العراق العربي) وشاطرناهم
ولنا منهم واحترأمن قلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بعدها ثم
وقام عمر (رض) في الناس فقال

إلى الحجاز ليس لكم مدار إلا على النجعة^(١) ولا مولى عليه أهلها إلا ذلك
 من الطوائف المهاجرة عن موعد الله سر وافي الأرض التي وعدكم الله في
 الكتاب أن نورثكموها فانه قال (ليظهر الله على الذين كفروا) والله يظهر دينه
 ويصر ماضيه ومولى أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون اه
 فكان أول مشدب أبو عبيد بن مسعود التميمي وشي سمع بن عبيد وسليط
 بن قيس فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر أتمر عليهم رجلا من المهاجرين والانتصار
 فأبى وقال إنه من سبق إلى الدفع وأحاب إلى الدعاء أولى بالرياسة ثم أتمر أبا عبيد على
 الجيش وقال له: إسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشر بهم في الأمر
 ولا تجتهد مسرعاً حتى تبتين فاهما الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث
 الذي يعرف العرصة والكف^(٢) ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب
 وفي التسرع إلى الحرب صياع إلا عن بيان والله لو لا سرعته لأمرته ولكن
 الحرب لا يصلحها إلا المكث

خرج أبو عبيد في آخر حمادي الأولى أو أوائل حمادي الثانية سنة (٨١٣) هـ
 ومعه سمع بن عبيد وسليط بن قيس أخو بني عدي بن النخار والمثنى بن حارثة
 الشيباني فتقدمهم المثنى إلى الحيرة وكان استقر أمر فارس لبوران فاستدعت رستم
 من حراسان وتوخته وحملت إليه حماية البلاد وسلمته قيادة الخند فكتب رستم
 إلى دهاقين السواد أن يشوروا ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله وأمت جندها
 لمصادمة المثنى وبلغ المثنى ذلك مصمماً إليه مسالحه واجتمع إليه المسلمون مسارهم
 إلى حقان ورلها حتى قدم أبو عبيد وكان أول من سار من الدهاقين حان في مرات

(١) النجعة طاب الكلاء (أي المرعى) في موضعه كما في القاموس

(٢) يعني الرجل المأني الذي يعرف ساعه العمل ويعمل وساعه الكف ويكيف

بأذنى فسار اليه أبو عبيد فالتقوا بالتمارق وتقاتلوا فمزم أهل فارس

﴿ موعظة ﴾

لما انهرم القرس أسرجان أسره مطرب بن فضة التميمي تخدعه جاجان بأن وعده بشئ يعطيه له فأنه وخلقى عنه فأخذ المسلمون فأتوا به أباعبيد وأخبروه به الملك وأشاروا عليه بقتله فقال اني أخاف الله أن أقتله وقد آذنه رجل مسلم والمسلمون في التواد والتناصر كالحسد المرم بعضهم فقد لرم كلهم فقالوا له انه الملك وانه هو الذي حاربنا قال وان كان لا أغدر فتركه

أنظر رحمك الله الى هذا الامير العظيم النفس الصادق الايمان الذي ملك ناصية عدوه الذي عذر بالمسلمين وأثار عليهم نائرة البلاد وقابلهم سكران الجليل وخرق العهد فأنى أن يقتله لمع سبق له من فرد من أفراد المسلمين الذين بلغهم التناصر والتواديو ثم أن أميرهم يقوم بحق صغيرهم ويلتزم بما التزم به حقيرهم فأين تلك العفوس البارة والاحاء المتواتق والوحدان الحساس والتناصر النافع مما طرأ بعد ذلك على المسلمين من فساد الاحلاق وضعف اليقين وانحلال عرى الاخوة حتى باتوا ألقا على بعضهم وحرابا على أنفسهم يتمرقهم الاعداء ويتعلب عليهم الفاتحون وأمرؤهم في تناكر وتحاذل يترص بعضهم أذى بعض ويتمى أحدهم زوال ملك أحيه امرأادان اسم الرياسة وطاعة طوى النفس الشريرة وما يتمون في الحقيقة إلا زوال ملك الاسلام وما يطيعون إلا شيطان الخلدان

الهم قد انقرحت بينا وبين السلف مسافة الخلف وصوح نبت الاسلام وتناكرت العفوس وتقطعت أسباب الاحاء والمحطت أخلاق الامراء وتفشى الخلل في قصور العطاء وتوسدت أصول الدين وعلت الشهوات وتعلب علينا الأمم وحسبنا من حزنائك العادل ما لقياد من حورأمرأنا وتحكم أعدائنا

فاهدنا من الحق والعلم صراطاً نخلص به إلى طاعتك فيما أمرت فتوثق عرى
الاحياء ونبتدئ من كانوا سبب القاطع والشعواء بمجدد عهد الثالف وتمسك
باسباب التناصر والتكاتف انك مجيب الدعاء

﴿ عود إلى خبر أبي عبيد ﴾

انهزمت حدود جاندان من المارق ولحقت بكسكر حيث يحيم قائد اسمه
نرسي من الأسرة الكسروية فأمر أبو عبيد بالرحيل ورحل بمجنده حتى نزل
بكسكر وكان أهل كسكر وما حولها من البلاد يتطرون بحمي الجالينوس مدداً
لهم من قتل رستم فعاحلهم أبو عبيد والتمكان يدعى السقاضية فاقتتلوا قتالاً
شديداً فانهزم الفرس وهرب فائدهم نرسي وعُلب على عسكره وأرضه وأقام أبو
عبيد وترح القواد لاستحصاء من حولهم أهل السواد فجاء فروح وفروداد
المثنى بن حارثة وطلباه الخراء والدة عن عن باروسما ونهر حور فألهما أبوعبيد
فصالحاه على شيء معلوم

﴿ موعظة أخرى ﴾

لما تم الصلح بين أبي عبيد وبين فروح وفروداد جاءه نايية فيها انواع
أطعمة فارس من الالوان والاحبسة وغيرها فقالوا هذه كرامة أكرمك بها
وقرى لك قال أكرمتم الجمد وقرتموهم مثله قالو لم يتيسرو نحن فاعلنوا
فقل أبو عبيد ولا حاجة لنا فيما لا يسع الجمد فردوه وخرج حتى رل باروسما
فأناه لا نذر زرع مثل ما حاه فروح وفروداد فقال لهم أكرمتم خدتمني
وقرتموهم قالوا لا فردوه وقال لا حاجة لنا فيه شئ المرء بوعيد من صحب يوماً
من الادمه اهر اقوا دماءهم دونه ولم يهريقوا فساداً ر عليه لسي نصيبه لا والله
لا يأت كل مما أفاء الله عليهم الا ممياً كل أو ساظم

هكذا كان الامراء وفادة المسلمين يفعلون ويمثل هذه الاخلاق يمتازون
وبحسب المساواة مع عامة الناس في السراء والضراء يوصفون ويمثل هذه الخصال
الحميلة يسودون لا بالاسيئثار بقى المسلمين ولا بالرفع عن عامة المؤمنين ولا
باستلاب مال البلاد التي احررها المجاهدون بسببهم واسالوا على جوانبها دمائهم
وهذا المبدأ الذي تأسس عليه الاجتماع الاسلامي منذنت الاسلام في
ارض العرب هو مبدأ الاشراك المعقول الذي يحبط للوصول اليه رعماء هذا
المذهب لهذا الهدى عشاء لضلالهم عن طريقه المستقيم وعلوهم فيه غلو
الجاهل يحوايه اذقاتهم ان البداوة وسذاجة الفطرة اصل في قبول الخير والشر
وان الانسان اذا افسدت الحصاره يحيره واخذ حب المذح مع حامي قلبه
استحال تقويم اود نفسه وإرجاعه عن غلوائه والافلال من اثره وكرياته والاخذ
على أيدي فادته وزعمائه ما لم يكن هؤلاء هم الربوب لشموهم القائمون على تقويم
أحلاق من دونهم لهذا كان رعماء الامة وحلفاؤها في صدر الاسلام قدوتها
الصالحة في تربية تلك النفوس الساذجة على مبدأ حب العدل والمساواة ومشاطرة
الخير والشر والكف عن الشهوات وعن حب الاثرة بالنبي والجاه والعهدة
الباطلة كما رأيت في قصة أبي عبيد (رض) وبلغ لعمر بن الخطاب (رض) بغضه بدء
حب الاثرة وكرهه لا كتمار البض للمال دون البض الآخر ان كان يحصى
مال عماله قبل ان يسد اليهم الامار دل كي يناقشهم الحساب بعد ذلك عما يريد
مقتناهم من المال ول الامارة ويصادرم عليه ثم يرده على المسلمين وبلغ على من أي
طالب رضى الله عنه في خلافته ان عاملا من عماله أسرف في جمع المال ومال الى
الانعم وحاد عن سبيل التقصد مكتب اليه كتابا طويلا مما جاء فيه قوله
أيها الممدود كان عديا من دوى الألباب كيف تسيع شرابا وطعاما وانت

تعلم انك تأكل وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى
والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين آفاه الله اياهم هذه الاموال وأحرزهم
هذه البلاد. فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم أموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنى
الله ملك لا عذرنا الى الله فيك ولأضربك بسبي الذي ماضرت به أحدا
الادخل النار الخ

فأين هذا الخليفة في مشربه القويم ومذهبه المستقيم في تأديب العمال
بأدب نفسه وحملهم على طريق القصد وعدم السرف في أموال العباد من يرثي
عماله على العكس من ذلك ويطلق يدهم في أموال الناس بل ويحكمهم في رقاب
الرعية ويدني فاجرهم منه ويقصي عبيدهم عنه وكيف يقوم لاثنتين بهذا المذهب
الآن فائمة دين أقوام أمانات شعورهم إذ استغراق بالترف وقلهم الحوق للشهوات
إن هذا لا يتيسر الآن إلا إذا صبغ أديم الأرض بجمع الاسان وتبدل الاشرار
بالاحيار وذلك أمر بعيد

﴿ عود الی حیرانی عید ﴾

رحل أبو عبيد من السقاطية وقدم المثنى في تعميمه حتى قدم الحيرة وكان
الحالي وسرح ان رستم ومن أفلت من جنوده واستحثه على مقابلة المسلمين
فوجههم حاذويه ورد الخاليوس معه فافل بهم حاذويه ومعه رية كسرى
(دروسن كايا) وكانت من حلود لمر^(١) وأفل أبو عبيد حتى تزل من رجة على

لهذه ابراهيم قصه عج ۛ صاحب في امار مصر ومصر اهل حبه وورس
 حار على رعيه وسر ساس حكومه في امار الى حله لايق من عيه ومصر
 حلال حامل بين مومعه عظيم في حبه شرح من حبه وورع على عيه صوبه حبه
 اندى رعيه احدا رادق وسطه وري في ايس من لايق حله في عيه
 عاهه الناس فتلوا الملك ورحل دو ۛ وسينك حبه ووبه كبريه =

ضفة النهر المتسابلة للضفة التي فيها معسكر الهرس وتسمى قس الناطف فبعث اليه
 بهمن جاذويه إما أن تعبروا الينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعتبر اليكم
 فأشار عليه الناس بعدم العبور وكان من أشدهم إلحاحا عليه بعدم العبور سليط بن
 قيس فأبى قبول اشارتهم وترك الرأي وقال لا يكونوا أحرأ على الموت منا وعبر
 ومعه المسلمون وكان الهرس في عدة لم ير مثله المسلمون

وهذا وان يكن اقدام من أبي عبيد رضى الله عنه وشتم وشجاعة لا يصدران
 عن غيره الا انه خطأ وقع فيه لا مريد لله وكانت عاقبة هذا الخطأ أن قُتل
 أبو عبيد اذ هجم على فيل من الافيال وضربه فخطه الفيل وكانت أسرعت السيوف
 في أهل فارس وأشرعوا على الهزيمة فلما حُط أنو عبيد وقام عليه الميل جال
 المسلمون جوله ثم اهزموا واوركبهم الهرس فبادر رحل من ثقيف الى الجسر فقطعه
 قصد إخراج المسلمين عن الهرمة فانتهى الناس اليه والسيوف بأخذهم من حلقهم
 قها فنوا في المرات ولما رأى المشي بن حارثة ذلك البطل الجليل هذا الحال نادى هو
 ونفر من الشجعان حُمى الناس حتى عقدوا الجسر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم
 فأقاموا بالمروحة والمشى حريح وهرب الناس على وحوهم وقتل سايط بن فيس
 الذي نصح أناعبيد على عدم العبور وبقى المشى في جمع قليل . ولما انتهى الخبر الى
 عمر بن الخطاب اشتد عليه الامر وبلغه أن بعض الفارين أوى الى المدينة فخطب
 وقال عباد الله اللهم ان كل مسلم في حلٍّ . أى أنائه كل مسلم يرجم الله أناعبيد لو كان
 عرفا عصم بالحنف أو تحير اليها ولم يسقتل لكتاله فؤة

وإذ كان المسلمون يعلمون أن الفارين المال آثم لقوله تعالى في الكتاب

== فاحمدوا وكما راية خُدد شعا ألهم ثم جعاهو من جلود المروسة وهادر مش كاين
 وكوا لبحر حوها الا حين الحاحه تقصوى

الكریم (ومن یولهم یومئذ بره الأمتحر فالقتال أومتجیراً الى فتنة فهدباء
 بفص من الله) الآية فقد ندّم المسلمون واستحيوا من الفرار وجزع المهاجرون
 والانصار حز عاشدیدا ولما رأى عمر رضی الله عنه جزعهم قال . لا تجزعوا یا معشر
 المسلمین انافتتکم انما انخرتم الی وبلغ الخزع بما ذالقاری احدهی النجار ان كان
 اذا قرأ هذه الآية بکی فبقول له عمر . لا تبک یا معاذ انافتتک وانما انخرت الی :
 وذلك تحمیفاً لرؤعه ودفعا لجرعه فرحم الله تلك النفوس الطاهرة ما أحوها
 من الله وأشدها تمسكا بالكتاب وأجزعها من الوقوع فی الخطأ ورضی عن عمر بن
 الخطاب ما أرحم قلبه وأعظم علی المسلمین حناؤه

كانت جنود الفرس عقب وقعة الحسر حاولت العبور الى الصفة الثانية
 ومطارده المسلمین ولكن من عناية الله بالمتى ومن تقى معه من الجند القليل جاء
 الفرس ماشفاهم عن العبور وادّ صلهم الخیر أن الساس بالمدائن فدناوا وبرستم
 وانقسموا قسمین قسم معه وقسم مع الفیران فمكن المتى من جمع القبائل التي
 حوله وأمدّه عمر (رض) بحري بن عبد الله البجلي وقد كان فومه أوراعا متمرقين
 في قتال العرب فجمعهم له عمر وأمره عليهم واث عصمة بن عبد الله من بني عبد
 ابن الحارث الصّی میمن تميمه من بني صاة وكتب الى أهل لردة فلم يوفوه منهم
 أحدا الا رمى به المتى وكان ممن قدم علی عمر رضی الله عنه سو كناية وصلوا أن
 يوجهوا الى الشام فقال لهم ذلك أمر قد كفيتموه عليكم بالمرق وسعقلو جهاد
 قوم قد حوّوا فدون العيش لعل الله أن یورکم مصطفیکم من ذاك فتميشو مع من
 عاش من الناس فقام عاب من فلان الميئي وعمر فحة الدار في وقال كل واحد هما
 لهومه ما اعتبرناه أحييو أمير المؤمنين في ما يرى ومصلو له فاحو و ذلك فده
 لهم عمر يحيروا ثم علی بن كعبه عاب من عبد الله وعلى لا بدع فحه بن هرمة

وسرّهم فخرج هذا في قومه وهذا في قومه حتى قدما على المشي

وقدم على عمر (رض) هلال بن علقمة التيميّ فيمن اجتمع اليه من الرباب فوجهه وقدم عليه المشي الحُشميّ جُشَم سعد فأمّره على بني سعد وسرحه وحاء اليه رُبَيْعِي في أناس من بني حنظلة فأمّره عليهم وخرجوا حتى قدّم بهم على المشي بن حارثة فرأس بعده ابنه شُبَّان بن رُبَيْعِي وقدم على عمر غير هؤلاء من زعماء العرب فوجههم الى المشي

وكان الفرس لما أحسوا باجتماع العرب وبكثرة من جاء من البجدة للمشي ابن حارثة جمعوا كلمتهم وجاء الفيرزان ورستم الى بوران وأخبراهما انهما اتفقا على أن يرسلوا الى قتال المسلمين مهران بجيش كثيف واسأذناها بذلك ثم بعثا مهران بجنده حتى رل من دون الفرات والمسي وجنده في محل يدعى البوب على شاطئ الفرات لا حروكات الخنود اليه مساو صاه وحاء أنس بن هلال التمرّي ممدّا في أناس من نصارى التمر وقدم عبد الله بن كليب النعلبي المعروف بمرذى العمدي أناس من نصارى تَعَب فلما رأوا رول العرب بالمحم فالتوا فقاتل مع قومها وانصموا الى جند المسلمين ولله ما تفعل الجامعة القومية في الفوس

لما احتضمت جموع العرب والفرس بعث مهران الى المشي إما أن يعبروا اليا وإما أن يعبروا اليكم فقال المسلمون اعبروا اليا فعبروا اليهم وحاء وهم من قتل هر بن سليم في صفوف ثلاثة ولهم صوصاء ورحل فقال المشي للمسلمين ان الدسّ تسمعون فقتل فارموا الصمت ثم تقدم اليهم المسي وعلى مجنتيه شير وسر بن أبي رُهمو على محرّدة المعنى وعلى الرحل مسعود بن حارثة وعلى الطلائع النسيّر وعلى الرداء مدعور وكان على محبتي مهران الآراده مرربان الخبره ومزدان شاهنم

خرج المثنى يتعهد صفوف المسلمين ويحضّصهم^(١) ويأمرهم بأمره ويبرّزهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم ولكلهم يقول انى لأرجو أن لا تنوّق العرب اليوم من قبلكم والله ما يسرّنى اليوم لمسى شئ^٢ الا وهو يسرّنى لعامتكم فيحييونه بمثل ذلك وأنصفهم المثنى فى القول والفعل وحلّط الناس فى المكروه والمحبوب فلم يستطيع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً لاسيما وأنه كان على شرفه وعلو منزلته شجاعاً ميمون النقيّة فكان المسلمون يحبونه ويعجبون بقيادته كما يحبون بقيادة خالد بن الوليد

ثم ان المثنى كثر وكبر المسلمون وكان واعدهم بالهجوم عند رابع تكبيرة فعا حلهم الفرس من الأولى وحالطوهم والتحم القتال وحمل المثنى كلار اى حلالا فى صف من صفوفه يرسل لاهل الصف رحلا يقول ان الامير يقرأكم السلام ويقول لا تفصحوا المسلمين اليوم فيقولون نعم ويتدلون ومناطال القتال واشتد حمل المثنى وحمل معه انس بن هلال ومردى الهير وقصد المثنى مهران فاراه حتى دخل فى ميمسه واصطارت صفوف الاعاجم ولى غلام اصغر نى من تلعب مهران وقتله ثم استوى على درسه واتصمصع الفرس فاهزموا وبادرهم المثنى الى الحسرة فمروهم به فربوا مصعدين ومصوتين والسيوف بأحدهم من كل جانب وكان ذلك بحس قياده ذلك البطل الخليل المثنى س حارثة لذي أضمر من البراعة والشجاعة فى هذه الواقعة ما يحلله طيب لذكر الا أنه أظهر يومئذ دمه على أحده بالحسرة وقال اقم عجزت عجرة وقي لله شرها متساقية يا هى الحسرة وقطعه حتى أحرقتهم فاني غير عائد اى لى مش هذا الخد^٣ (مودود ولا تفندواى ايها الناس فاكوت مى ربه لا يبعى حرج حسد لأم

(١) حصّصهم كخصّصهم (٢) أى ما يسرّنى (٣) أى مش هذا الخد

لا يقوى على امتناع هذا من حسن بصيرته وسديده رأيه واثابته للخق رضى الله عنه
ومات من أعلام المسلمين من كانوا أحراراً في هذه الوقعة ناس منهم خالد
ابن هلال ومسمود بن حارثة أخو المثنى فصلى عليهم المثنى وقال والله انه ليُؤن عليّ
وجدى (أي اسفه وحزنه) أن شهدوا البويب . أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم
ينكسروا . وأن كان في الشهادة كرامة لتجور الدروب

وكان أشد الناس بلاءاً في هذه الحرب من شهدوا وقعة الحسر مع ابي عبيد
لاستحيائهم من الهراير في تلك الوقعة ولما انهزم الفرس في البويب اتدب المثنى
حرير بن عبد الله البجلي لبعور الهراير وتقع الفارين فانتدب معه من شهدا واقعة
الحسر وغنموا غنائم كثيرة وعادوا

﴿ شجاعة النساء المسلمات ﴾

ذكر ابن حرير الطبري ان المثنى وعصمة وحرير أصابوا في أيام البويب غنماً
ودقيقاً وقرأ فبعثوا بها الى عيالات من قدم من المدينة وقد حلقوهن بالقوادس
والى عيالات أهل الايام قلمهم وهم بالحيرة وكان دليل الدين ذهبوا بصيب
العيالات الدين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن قتيبة فلما رفعوا (ي طهروا)
للنساء فرأى الخيل تصايحن وحسبها عار فقامت دون الصبيان بالحجارة والعمد
فقال عمرو اتهاجأهن هكذا يبعي لنساء هذا الحيش ونشروهن بالقح وكان
على الخيل التي اتهم بالثعل (الصيافة) الأسير فأقام في حيله حامية لهم

ولا حرم فلو لم تكن لحيش المسلمين ثقة بشجاعة نسائهن وامكان دفعهن
العدو والمفاجى لما تركوهن في العلاء بالحامية وقد قدمواهم لحرب الفرس وقد رأيت
كيف كان النساء المسلمات في الرموك يقابلن مع الرجال وكذلك قاتلن في
العادية وكن يأخذن الجرحي من ميدان الحرب ويصمن حراجهن ويعرضهن

ذكر الطبري في معرض كلامه على فتح ميسان أن المغيرة سار إلى أهل ميسان وخلف الأتقال فلقى المدودون دجلة فقاتل أزدة بنت الحارث بن كندة (طبيب العرب المشهور) لو لحقها بالمسلمين فكنا معهم (أي عوناً لهم) فاعتقدت لواء من خمارها واتخذ النساء من حمرهن رايات وخرجن يردن المسلمين فانهين اليهم والمشركون يقتلونهم فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مدداً أتى المسلمين فانهروا وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة وهذا العمل من النساء المسلمات لعمري غاية في الجراءة ونهاية في الاقدام وحق لمثلهن أن يدخلن في مصاف الرجال ويأتين بأعظم الأعمال وقد أظن أدورد جيون في تاريخ الامراتورية الشرفية بشجاعة النساء المسلمات التي أظهرها على حصار مدشق ومما قاله عنهن إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الصرب بالسيف والطمع بالرمح والرمي بالببل هن اللاتي إذا وقعت احداهن في الأسر يكونن قادرة على حفظ عقما ودينها من أي اسان يريد هابسوء

واقصد صدق فيما قاله والآن كما كان لرحالهن أن يدعوهن يحالطن الرجال في معامع الحرب والقتال ومن البديهي أن الحجاب لم يكن يجمع النساء المسلمات عن مخالطة الرجال في الحل والترحال ولكن كان لهن من لاخلق الضرورية والعمدة الإسلامية ما يعينهن عن مثل الحجاب الثقيل الذي استدعه سكان المدن الإسلامية لما استغفروا بالرفاه والترف وأفسدت أخلاقهم عوامل الحصار فإذا كان لساكنات الآن من العمدة وسلامة لاخلق وطهارتهن وحسن التربية ما كان لتلك النساء في صدر لاسلام مسع للمقايير تخفيف حجاب في هذا العصر أن يطلبوا رزقهم ورزق خدوخل العمدة والكبرياء ويعضوا حقوق الرجال والآن فالكلام عث لا يحدى والموقف حرج يسعي بحججهم

وبصيرة والله أعلم بمصير الامور

﴿ عود الى خبر المثنى ﴾

لما فرغ المثنى من أمر البويب وتشقت جنود الفرس وعاد جري بن عبد الله البجلي من غزاته فرق المثنى حنوده في السواد وأخذ يستحضر البلاد الى عصت من قبل وكانت له وقائع كثيرة مع العرب طهرها المسلمون بما شاؤوا من متاع ومال وبلغت عاراتهم شرفا الى قرب مدائن فارس وشمالا الى الجزيرة فأوفعوا الرعب في قلوب الاعداء فقام الفرس لذلك وقعدوا

﴿ كلمة على دولة الفرس قبيل الفتح ﴾

ليس أصر على الامم وأشد خطرا على استقلال الممالك من تنازع السلطة وتهافت الناس على حب الرياسة وميل الرعماء الى الاستئثار بمصالح الملك اذا ضعف جانب الممالك وتشعث بناء الدولة وقل ما انتهت الدول في أواخر عهدها الى هذا الحال من تفرق الرأي وتغلب حب الذات والاستئثار بمصالح الملك ووضع رغبات الحمم وردون رعبات الافراد الا انتهى ذلك روالا لمكها وتقلص ظل سلطانها وقد كانت دولة الفرس أصيبت في أواخر عهدها بهذا الداء المعصا والمريض القتال ولعله بدأ بها على عهد كسرى ابروير في أواسط الحيل السادس بعد المسيح فقد ذكر المؤرخون ان كسرى هذا عسف الناس وشده الى أموال الرعية واسعمل رحلا على استحلاص نواق الخراج فعسف الرعية وظلمهم فمهرت قلوبهم منه وتحوات انظارهم عنه وكان قد بلغ به الامر ان أقصى أولاده الى نابل ومعههم من المصروف فاعتنم عطاء المملكة ضعف سطوة كسرى وتفرق قلوب الرعية عنه فأحصر وامن نابل ولده شيرويه وأرعموا والده على التنازل اليه عن الملك ثم أرعموا اسه على قتله فقتله ولما صمالة الملك وشعر بتفرق أهواء رعماء

سلطنته وأحسن بضعف نفسه أصابه وسواس أفضى إلى أن أمر بقتل أخوته
وكانوا سبعة عشر أخاً ذوى مشورة وعلم وأدب وأتبه أخناه بوران وازرميدحت
على فعلته فدم وأصابه حزن وغم فمات دون السنة من ملكه فملك الفرس عليهم
ابنه اردشير وكان صامير السن فتكمل به أحد المتطلعين إلى الرياسة من أرباب
الدولة واسمه بهادر جسس ففسده قائد جنود الثمور وامتعض من عدم
استشارته في تولية اردشير فاتخذ ذلك ذريعة إلى التعت وتوسط يد القوة وطمع
في الملك فأقبل بحنده نحو المدائن عاصمة الكاسرة فدخلها وقتل جماعة من
الرؤساء وقتل اردشير فتولى الملك بعده شهريرار وهو من غير بيت الملك ولم
يمكث في الملك إلا أربعين يوماً وقتله أشياع اردشير فملك بعده بوران ثم ملك
بعده هارجل اسمه حشاش بنده فابكر الجند سيرته فقتلوه ثم ملكت اردرميدحت
وحطها إلى حراسان فاحتالت عليه حتى قتلتها فانتصر له ابنه رستم وحاء بمحمد
إلى المدائن فتمكن من اردرميدحت وسمل عيها ثم قتلها وأقام مقامها بوران
فوقع الحلب بعده ووس الميرران أحد عظماء الدولة وتشارع السلطنة ونقشت
الموصى في الملك وظهر الخلال والضعف على الدولة ولما اتزع المسلمون منها
العراق ودحر المثنى جيوش الفرس وتحمر حند الإسلام لا وثوب على عرش
الكاسرة دب في عامة الشعب الفارسي ديب الشعور بحرح الموهف لذي
وقت فيه دواتهم وأحسوا بالخطر الذي حره عليهم أمرهم وهم وفادتهم وهو امن
سأتهم المدين فأقبل رحالهم ودووا الرثي منهم في الميرران ورسموه وولعوا
برح نكاح الاحلاف حتى هتبا أهل فارس وأصعقوا منهم عدوهم به من
خطر كان نكر كج فارس على همد زوى ورسد به كيه مدع ذرسة وط
وتكرت الأندلس ريمون لانداني حاد اسماء وولعته تجمعون و

لبيد أن يكره أن يشمت بالناس وروى الثعلبي عن علي بن هذا الوهن منكم باسماء
الرؤساء القدر فم بين أهل فارس ويطعنونهم عن عدوهم ولولا أن في قلوبكم
هذا كماله لكانت لكم القتل الساعة ولأن الله والهالككم ثم مات وقد استغنى ما منكم
لما سمع رستم والفيرزان ما سمعا من القوم لهم من عقابهما وخشاهما
هلاكمهما مع القوم عن رجل من آل كسرى يولونه الملك ويجمعون عليه
كلمة الناس فوجدوا يزيد جرد بن شهر بار في اصطخر وقد كانت أمه غيبته هناك
وهو طفل اشفاقا عليه من القتل فجأوا به وملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة
الآن أنه كان ضعيف الرأي والقلب ومع هذا فقد أطاعه الناس ونبذ الرؤساء
شهواتهم الخبيثة نقاديا من الخطر المحيق بالدولة فالتفوا حوله وأطاعوه وتساووا في
معونته فرتبوا المسالحو والجنود وشحنوا الثغور بالمقاتلة وأعدوا المدد والمديد
لقتال المسلمين

﴿استعداد مثنى﴾

(ومسير سعد بن أبي وقاص الى العراق)

لما بلغ المثنى بن حارثة اجتماع الفرس على يزيد جرد وتجهزهم لحرب المسلمين
كتب الى عمر (رض) وديما هو باتظار الحواب كمر أهل السواد بالعهد وتقصوا
ما بينهم وبين المسلمين بدسائس الفرس فخرج المثنى على حامية حتى برل بدى قار
حتى جاء المسلمين كتاب عمر وفيه . (أما بعد فاخر حوامس بين طهري الاعاجم
وتفرقوا في المياه الى تلى الاعاجم على حدود أركم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة
أحدآ ولا مصر ولا حلفائهم أحد آمن أهل الحداث ولا فارسا إلا أجلبتموه
فان جاء طائما والآحشرتموه . احموا العرب على الحدة اذا حدة المعهم فلتلقوا
حدهم بمحذكم)

طاهر بن النكتاب اعلم المشي بأمر عمر وأحسن الرأي الحربي والتدبير
من بني فاروق بن الخلد على خط واحد من الجبل وشرف إلى عيسى (١٣) حنين
البصري فكانوا من واه العراق من أولها إلى آخرها مسلح (١٤) بعضهم ينظر
إلى بعض وينتدب بعضهم يمضاً أي عليهم أشبه بحسن واحد متميز خيال
البصرة إلى شراف والجبل أي من أول العراق إلى آخره وهو ترتيب بلغ النهاية من
بعد النظر في فنون الحرب ونظام الجيوش وتنظيم خطوط الدفاع وأعاد القوس
كذلك مسلحهم وشحنوا الجنود ثمورهم وقاتوا حائقين هائبين والمسلدون
متحمسون وهم كالأسدين نازع قريسته

وأما عمر بن الخطاب فإنه كتب إلى عماله على العرب والكور يستحثهم على
استنفار العرب وكل من له نجدة ونأس فمضت الرسل بالكتب ووافاه القبايل إلى
المدينة ممن كان طريقهم عليها ومن كان طريقهم على العراق انضموا إلى المشي
وخرج عمر في أول المحرم سنة (١٤) فمسكر على ماء قرب المدينة يدعى صراراً
والناس لا يعلدون شيء مما يريدو كانوا إذا أرادوا أن يسئلوه شيئاً رموه بعثمان
أوبعيد الرحمن بن عوف فادلم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثثوا بالعباس
فسأله عثمان عما يريدون عن عمره فمادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم
الخبر ثم نظر ما يقول الناس فقال العامة سِرْ وسِرْ نائمك وقال استعدوا وأعدوا
فاني سأتر الآ أن يحى رأي هو أمثل من ذلك ثم دث إلى أهل الرأي فاجتمع إليه

(١) في معجم البلدان حلّ موضع بالنادية على احادة طريق القارسة إلى رامة

بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلاً وهو بينهما وبين الرّمانين وسرفين واقصة
وقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء وعصيّ لصعر القماماء لعامر بن ربيعة وقيل حال
البصرة (٢) جماعة المسلحين وفي اصطلاح الحرب الآ القبط العسكرية أو خطوط الدفاع

وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب فقال احصروني الرأي فاني
سائر فاجتمعوا جميعاً وأجمع ماؤهم على أن يبعث رجلاً من الصحابة ويقيم ويمده
بالجود فان كان لدى يشتهى من الفتح فهو الذي يريد ويريدون والآ أعاد رجلاً
آخر وندب جنداً آخر حتى يحى نصر الله

﴿ الحكم البياني في الاسلام ﴾

علم عمر (رض) ان مكاشفة الفرس بات أمراً حتمياً لا بد عنه وان القوة
والرأي مناط الظفر بدوله هي أعظم دول الارض رهبة لذلك العهد فاذا تيسر هدم
بنيانها ونزع سلطاتها تمهد للمسلمين سبيل السيادة على الأمم ورفعت أعلام
الاسلام على صروح الممالك والآ كان الخطر على المسلمين عظيماً والامر جللاً لعد
اذ هيجوا أمر فارس والروم واحفظوا الدولتين القيصرية والكسروية لهذا
رأى من السداد أن لا يفوته رأي عامة المسلمين وخاصة فيمن يوليه أمر هذه
الحرب فاستشار العامة فأشاروا عليه بالمسير بنفسه لانهم تأميرهم أرغب وخلقهم
أطوع واستشار الخاصة فأشاروا عليه بتسليم القيادة لغيره وبقائه في المدينة لانهم
تقية حياته أعرف وعلى وجوده ليعيد أعن ساحات القتال أحرص وكان تحلف
عن الجمع علي وطلحة رضى الله عنهما لان الأول استحلّه عمر على المدينة والثاني
كان على مقدمة الجيش فرأى أن لا تقوتهما الشورى فاستدعاهما وجمع الناس
جميعاً وفام فيهم خطيباً ولهم مستشيراً فقال

أما بعد ان الله عزّ وجلّ قد جمع على الاسلام أهله فألف بين العلوب
وحملهم فيه احواء المسلمين فيما بينهم كالحسد لا يخلو منه شئ من شئ أصاب
غيره وكذلك يحقّ على المسلمين ان يكونوا وأمرهم شورى بينهم وبين دوى
الرأي منهم . فاما من يعسّ قام بهذا الامر . ما احتجوا عليه ورصوابه لم

الناس وكأوا فيه سمأ لهم . ومن قام بهذا الامر تبعه لا ولي رأيهم ما رأوا لهم
ورضوا به لهم . يا أيها الناس اني انما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي
منكم عن الخروح فقد رأيت أن أقيم وألثم رجلاً وقد أحضرت هذا الامر من
قدمت ومن خلقت (ويعني بمن خلف علياً وطاحه لانهم لم يحصروا رأيي الا اول
كما ذكرنا

لعمرك أي ملك في العالم يبعثه الوجدان الطاهر أن يضع نفسه عن رضى
واختيار في موضع فرد من عامة رعيته ويقول كما قال عمر للمسلمين (من قام بهذا
الامر فانه تبع لدوى الرأي منهم) فجعل نفسه سمأ لدوى الرأي وجعل المسلمين سمأ
لهم فيما يرأون تمحيصاً لاحق والرأي وهذا هو الحكم البياني الذي تقوم به سعادة
الأمم ويرتفع شأن الدول ولم يتوصل اليه قوم الا بعد جهد وجهاد مع قادتهم
المستدين وأمرائهم القاهرين وقد وضع أساسه لاسلام وبدأ به أبو بكر وعمر
رضي به واحلاصاً لله وارشاداً للمسلمين لما يصعب في أمر ديارهم الا ان هذا
الحكم لم يدم لان العثرة استدار العمل والعمل لم يسمر لارتباطه بوحدة
الخلفاء وإحلاصهم وعدم ارتطافه بالروابط القانونية والقود المعروفة وتركه
يترقى بطابعه ترقى الأمة وعلى مقتضى حاجة الزمان هذا لم يستمر الا باستمرار
دولة الخلفاء الراشدين مع ان حاله القوم البدوية وميلهم الفطري لاجريه قسبان
استدار الحكم الثنائي في الدول العربية وعمادهم الموم على محالقة الفطرة
البدوية مذاهم دوله سي مروى في وسط الممالك الأعجمية وحاطت بها
الاعاجم من الفرس والروم ورأوا مبلغ تسلط يد حكومة الامة في رية
وسلطتها القاهريه في هرون وسمرقند ووجدوا على حرية والمد
لا يحكمونهم ما ولهم سيرة في حياها نوب دينة وتسلط حلام بغير مدسة

والمكان فراق أولئك الخلفاء سلطان الحكم المطلق وغلبوا على أمرهم بحكم لوسط
فتغلبوا على حكم القطرة وانقادوا ميل النفوس الى التبسط في السيادة حتى بلغ
بعبد الملك بن مروان أن خطب يوم ما خطبة أشار فيها الى أن من راحمه في أمره
فقد تعرض للقتل مع أن عصر بني مروان هو العصر الذي كان يرجي به استثمار
البذور والديوقراطية التي بدرها الخلفاء الراشدون لاستغلال شأن الاسلام
يومئذ وتفرغ الناس الى الطرف في الشؤون الادارية بعد انهما كهم في الشؤون
الحرية واشتغالهم بالفتح وما نحال الباعث للأمة العربية على الاعلاب اشبهوات
الملوك من بني مروان الا ذلك المريج الذي تألف منه جسم المجتمع الاسلامي
يومئذ وأحسهم الموالي من البسط والفرس والروم الذين كان يسميهم معاوية بن
أبي سفيان رضى الله عنه (خزراء) وينوقع منهم كثير رأس الشروى الحقيقة فقد
علت يومئذ الأمة العربية على أمرها بتفرق عصبيتها وتشتت قبائلها في فارس
ولروم والشام ومصر وافرقيبا والاندلس فلم يعنهم ذلك الفتح عن اسبداد
خلفائهم الذين حال لهم الحو وتفرق عنهم أنصار الحرية الذين كان يؤمل أن
يتهدو ذلك النبات الضيب لانه في عصر الحصار الاسلامية واحتشاء ثمراته
الشبية فسقطوا يد القوة وتسخطوا في الاستمداد ولوعدوا أن الحكومة النياية
شرط في قتل الدول وسيباح للملك يقيه وثبات الدول الناشئة لما نزعوا مابارغ
حجروت وهدموا ركن الشورى دمه طمح اطار الشعوب ومما ط سعادة الناس
لحرية والمثل ومتى كان هذا أساس الحكم في دوله من لدول فقد يحصل الناس
على منتهى يرحبون من شاء عدده لدوله سائدة عليهم حاكمة فيهم وليس لهم من
... ..

لواستمر بنو مروان سائر في نهج الخلفاء الراشدين الواضح في حكم الناس على أصول الشورى وعدم تسلط على حرية الضمائر والافكار إذ أن الله لما وجد بنو العباس نصيراً لدعوتهم ولا راغباً في دولتهم وهمل يلجئ الناس إلى النوب على الملوك والخروج على الدول والرغبة عنها إلى غيرها لإفساد الحكم وإفساد قلوب الرعية بالتسلط الجائر والاستبداد القاهر

لعمرك لو أحسن بنو مروان السياسة واتمسوا وسائل سلامة الدولة لجعلوا لأحلامهم تلك الحكومة الديموقراطية الساذجة التي وصعها لهم الخلفاء الراشدون حكومة نائمة الدعائم منتظمة الشؤون آخذة بأطراف الحاجة برابطها بقوا بين خاصة ترسخ عليها دعائمها وتقوم بها أصولها والطريق إلى هذا كان سهلاً عليهم لو اتمسوا إليه الحيلة باستقصاء أجبار مجاورينهم من الروم الذين قامت لاسلامهم الرومان كثير من الحكومات النيابية كانت آثارها وأجبارها مروفة لذلك الحيل من الروم مخفوفة في مؤلفات القوم والذي أتاح لهم وللخلفاء الراشدين قبلهم أخذ اللازم أميام الدول من أصول لادارية وغيرها من الروم والفرس (كوضع عمر (رض) للتاريخ ووصفه للدواوين على أصول الفرس والروم واتخاذ معاوية الحجاب وضرب عبد الملك للقوقود وغير ذلك من لا مورد إلى لم يكن لها أثر عند العرب) كان يتيح لهم ترتب حكومة نائمة على أصول التحارب إلى عاباها غيرهم من الأمم التي سبقتهم في الحصار دولوا خلصوا لية ويطروا إلى المستقل نظر لحكمة وروية ولوقعوا لوصعوا لدول لاسلام أساساً تأتى نوع الحكم لا يأتى لاية دمه - - - - - مية مدحيد دت ن تصع مشه البتة لاسباب عديدة هماء ق اسماء بعد كل شئ بين وحصري على لامة العمل أى أمر نافع لا ماسبور وصحة و - - - - - وكن ساجد كبريد لا يجيد

عنه أحد من المسلمين ولو نحر عظامهم فساد الحكم المطلق وأكل لحمهم الظلم
ودهب بسلطانهم التباع عن الانتماع بأصول الترقى عند الأمم الأخرى كما
انتفع الاوربيون من المسلمين في كثير من أصول مدينتهم السالفة أيام الحروب
الصليبية وقبلها وهذا بحث طويل نمسك به الآن على وعد العود اليه في
محل آخر ان شاء الله

﴿ عود الى خبر الشورى ﴾

لما انتهى عمر من خطبته أشار عليه طلحة وعلي بما أشار عامة الناس ونهاه
العباس وعبد الرحمن بن عوف عن هذا الرأي وقال له الثاني أقم وابعث جنداً فقد
رأيت قضاء الله لك في حنودك قبل وبعد فانه ان يهزم جيشك ليس كمن يمتك
وانك لا تقاتل أو تهزم وإنما الأمر خشيته أن لا يكثر المسلمون وان لا يشهدوا
أن لا إله الا الله أبداً

ولم هذا الرأي والاحلاص من عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اذا ن
المسلمين يومئذ كانوا أحوال الى حياة عمرو الاسلام لم يمتد ويتأصل في الجريرة
والعتمة تركدوا أصيب عمر سى لصدق ما قاله عبد الرحمن بن عوف لان هيبة
عمرو سريته وانه في كركنه ورويته مهدت لمن جاء بعدهما السيل ومكنت
الاسلام والمسلمين السخنة في الارض

المسلمون في المشورة وفي عمر كتاب سعد بن أبي وقاص وكان عامه
على صدقت هو رن من تحبه من أهل الحدة لحرب الفرس وهم الف فارس
فقتل من المسلمين (مرا رص) قد وحدثه قال من الاسد عادياً قال من
هو هو سعد وتهي في قوتهم رسل اليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق
وذهب معه من كان من بني نرعوف في الشام وكات مصر روع الى

العراق فقال عمر (أي لأهل اليمن) أرحاكم أرسخ من أرحامنا ما بال مضر
لا تدكر أسلافهم من أهل الشام

﴿ وصية عمر لسعد ﴾

لما أقر عمر سعد أَرْضِي الله عنهما أوصاه فقال

ياسعدُ سَعْدٌ بِي وَهَيْبٌ لَا يَمُوتُ بِكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَاحِبُ
رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمُوتُ السَّيِّئُ النَّاسِيُّ وَلَكِنَّهُ يَمُوتُ السَّيِّئُ بِالْحَسَنِ
فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ فَإِنَّ نَاسَ شَرِيفَهُمْ وَوَصِيْعَهُمْ فِي ذَاتِ
اللَّهِ سَوَاءٌ اللَّهُ رَثَّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ يَتَفَاصِلُونَ بِالْعَافِيَةِ وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ فَادْظُرْ
الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذَرْتَهُ إِلَى أَنْ فَارَقَنَا فَالْمَوْتُ فَاتَهُ
الْأَمْرُ . هَذِهِ عِظِي بِإِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حِطَّ عَمَلُكَ وَكَتَبَتْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ

ثم لما أراد أن يسرّحه دعاه فقال

أني قد وليتُك حربَ العراق فأحفظ وصيبي فإني أقدم على أمرٍ شديد
كريبه لا يخلص منه إلا الحق . فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح . واعلم
أن لكل عادةً عماداً فعماد الخير الصبر . فالصبر الصبر على ما ضالك أو نابتك
يجمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجمع في أمرين في طاعته وحنث
معصيته وإنما أطاعه من أطاعه بعض الديار وحاً لا حرية وعصاه من عصاه
بعض الديار وعصا الآخرة . ولأقلوب حقائق يشهد الله إيماناً . منها السر .
ومنها العلانية . فأما العلانية فإن يكون حامداً لله ودينه في حق سواه . والله
فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ووجهه لا من وراءه في محض
البيان قد سألوا محبة . وإن نادى حب عبد حبه ودفع عن غيره .

فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك

﴿ مسير سعد ﴾

خرج سعد ومعه أربعة آلاف مقاتل منهم ثلاثة آلاف من اليمن وألف من غيرهم وكان فيهم من السراة وزعماء العرب عدد وافر منهم حميصة بن النعمان البارقي وشدا بن ضمخ الحصري وعمر بن معدى كرب على مدح ويزيد ابن الحارث الصدائي وبشر بن عبد الله الهلالي وشرحيل بن السمط الكندي واضرابهم من صناديد العرب وقادتها

وشيعهم عمر رضى الله عنه إلى الأعوص وهناك خطب فيهم حطة أمرهم فيها بالعدل والرحمة واللين وإن ينهوا شوونهم إليه ولا يؤثروا شيئاً من الشكوى عنه وستأتي الحطة في باب خطبه إن شاء الله

سار سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بمن اجتمع لديه من الحدود حتى نزل رزود من أرض العرب مما يلي العراق وأمدّه عمر بأربعة آلاف مقاتل ووافاه الأثعث بن قيس في ألف وسبع مائة فكان عدد جيشه الذي شهد الفادسية نحو ثلاثين ألفاً بمن انضم إليه من حداء العراق الذين كانوا مع المشي ولما رحل سعد عن رزود كتب إليه عمر (رض) أن يبعث لي فرجاً^(١) أنهدر جبالاً ترصاه يكون خيالاً ويكون رداً لك من شيء تأكل من تلك التحوم فبعث المعيرة بن شمنة في خمسة مائة فكانت خيالاً لأنه من رضى العرب ورل على حريرو وهو مرابط هناك يومئذ وما بلغ سعد شرف رل وكتب إليه لي عمر بن الخطاب (رض)

١ - رزود مع رزود حتى كانت ثمر العراق يومئذ عمرها
٢ - في حريرو

فبعث سعد إلى رؤساء القبائل فأتوه ففقدوا الناس وعباً ثم تسمية تشبه بسائر
 ترتيبها تبعية الحيوش في هذا العصر وسأتي على تفصيل الخبر عن هذا في غير هذا
 المحل إن شاء الله ورضي الله عن عمر بن الخطاب ما كان أعلمه بيقون الحرب
 وأشدّه احتياطاً على المسلمين وأعمده بطراً في أمور المتع فانه ما كان يأمره أيرأ
 بحركة ما لم يأخذها العدة ويسد العروح ويستوثق من معرفة أحوال البلاد وقوة
 العدو وبلغ كفاءة القواد والجنود

لما أعدَّ سعد لكل شيء عدته وفرغ من تعبته حينئذ كسب بذلك إلى عمره
وحاءه في عصون ذلك المني من حارثه أخو المني وروحه حصمة السمية بودة
المني ووصيته لسعدوه وذاها أن لا يقاتل سعد عدوه من أهل فارس وادّحتهم
أمرهم وملأهم في عقردارهم وان يقابلهم على حدود أرضهم مما بين أرض العرب
ولما انتهى إلى سعد رأى المني ووصيته ترخه عليه وأمرأه المعنى على عمه ووصى
بأهل بيته وحضب امرأته وتروحها

وكانت وفاة النبي على أثر انقراض حروجة كتاب قصاته في ومعة خسر
الماضية واسجلت على حيسه سرب من خصوصية وقد كان رضي الله عنه عنى حب
من السحابة والاقدام والمطر الميعيد في - مؤون خرب لا - لا -
الوايد وكان مدد وهو دعى في ذكر في قل - ممة - رة عيا مصر - رس حتى

ولأه قتلهم ثم ولي خالداً قاتل تحت رايته ثم لما سافر خالد الى الشام وبقي المثنى أميراً على ما فتحه وخالد من أرض العراق دفعه الاقدام على أن يتوسع في الفتح ويرى بسهم المسلمين مملكة الأكرسة ويدوخ ذلك الملك العريض فوفد على أبي بكر في حال مرضه فلم يسمعه اجابة سؤله وأوصى به عمر وأشار عليه بأن يرسل معه الجنود الى فتح بلاد فارس فبعث معه أباعبده فكان معه ما كان من الانفراد بالرأي والوقوع في التهلكة ومارال المثنى بعده يقاتل الفرس ويستخضع الخارجين من أهل العراق ويسمى بنبيت دعائم الاسلام ثمه حتى وافاه سعد فوافته منيته قبل أن يراه ويتحقق أمره في تدويج بلاد الفرس نخسر المسلمون بوفاته شهماً مقدماً وقائداً عظيماً بلغ من إخلاصه ونصيحته وعلمه بفنون الحرب أن أوصى سعداً قبل وفاته بوصية وافقت رأي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحاء كتابه الى سعد بوصيه به مثل وصية المثنى

وأنسبه هو المثنى بن حارثة بن سامة بن صمصم بن سعد بن مرة بن دهل ابن تميم بن بن امة بن عكابة بن صعصع بن علي بن بكر بن وائل الربيعي الشيباني وكانت منازل قومه في العراق ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ستة تسع مع وفده قومه فرصى منه عنه وأرضاه

نظر سعد جوب كتابه لدى مبعده الى عمر فحاده لحواب بوصيه فيه بأن لا يعاقل الفرس لا في صرف الاداء لمرق مما لي المادية وأن يلاقيهم في المقدسية ويوصي جمعه بالامانة والحصار والثناء ون يبيط لخديعة الفرس ومكرهم وسأني صود كس في كتبه ن ساء الله

فرحق سعد من حسن منسب لمجانيات فوافاه كتاب عمر رضى الله عنه بوصيه به من بلاد ومن الى الفرس في ميادين

القتال وعن مبلغ قوة العدو وعن منازل المسلمين ومسكراتهم ذلك لكي يكون على بصيرة فيما يأمره به من الشؤون الحربية في تلك الأصقاع النائية عنه ثم جاءه منه كتاب ثالث يأمره فيه بالتوقف ثم كتاب رابع يوصيه فيه بالوفاء بالعهد والدية وأن يهيأ بأمان من يؤمن من الاعاصم ولو بالاشارة اذا لم يفهمها وطنها أماناً وستأتي هذه الكتب في بابها الا هذا الكتاب فانارأينا أن تأتي به هنا ضرورة إirاده وهو بنصه (عن تاريخ الطبري)

إني قد ألي في روعي إياكم اذا اقيم العدو هزمتموه فاطرحوا الشك وآثروا الثقة عليه فان لاعب أحدكم أحدكم أماناً أو قره (١) باشارة أو لسان كان لا يدري الا عصى ما كلمه به وكان عدوهم أماناً فاحروا ذلك له محروى الامان واياكم والصحيح . والوفاء الوفاء فان لحطاً بالوفاء بنية وان الخطأ بالمدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم ودهاب ربحكم واقبال ربحهم واعلموا اني أحذركم أن تكونوا (أي بعدم الوفاء) سباً على المسلمين وسباً لموهينهم به

بم كلمة في التاريخ الاسلامي ورأفة عمر بن الخطابين
هذا الكتاب يدلنا على أمرين لا مراء الا ان رأفة في الحروب ورفع السم عن المملوك ايسب من حصن المدينة الحديدة في هذا العصر وحده بالهي من حصائن الدين الاسلامي أيضاً وقد سبق من العرب على يدوتهم سقاً بعيداً لانسق عارهم مية الامم وحسبك من ذلك من شرط لاسثمان في الحروب المملوكية عند الامم ثم بعد هذا عهد لاسثمان ورمع الراية المص و كان سره عند المسلمين هين من ذلك يدعو ربحه و

(١) في بعض النسخ لا يسمي ربحه ربحه ربحه ربحه ربحه

نشأت عن هزل أو سوء تفاهم كانت تحتم على المسلم اجراءها محرمي الامان
والامر الثاني ان ما يتفرص به بعض المؤرخين من الغربيين وما يذكرونه
من المثالب الشائنة عن الفتح الاسلامي منشؤه اما الغيظ والضغينة واما سوء
الفهم المأثري عن نشوئنا التاريخ الاسلامي وإلقاء المؤرخين من المسلمين الكلام
على عواهنه وحلظهم عنه بسببه بحيث يصعب الوقوف على مجرى الشؤون
الحربية والسياسية يومئذ وتفرق الحق من الباطل ومعرفة الباطل من الصار
إلا من يدقق النظر ويستقصي حوادث التاريخ استقصاء الباقدين البصير وما ذلك
إلا لتجنب مؤرعي الاسلام لمسئلة التاريخ واكتفاء أكثرهم بالتفاف من
لحوادث وتوسيعهم في أخبار الحروب الاسلامية دون الدرائع العلمية الى
ترقبها لأمه في الشؤون الاجتماعية والعمرانية والسياسية حتى أن المدنية
الاسلامية التي صبغت شهرتها الأفاق كادت تكون مع قرب عهدها وبقاء
آثارها وآثار أهلها الى الآن أسبغ في العموص بمدينة لائم البائدة التي ينقب
الباحثون في تاريخها عن دلائل لارضية وآثارها العاقلة ليموا على تاريخها العابر
بل انعموا في تاريخها وعموص صرف مؤرخين عن حاجات التاريخ ان أحدنا
لو أراد أن يعرف كيف كانت حاله قومه لاحكامية منذ قرن مضى لا يجد الى ذلك
سدا إلا هدهيم قرب عهده من العصور فذلك المديح والآفين هو لمع رأيك
المرح الذي يعرض له أخبار السلف التي تتعلق بمدىاتهم العابرة وأصول معيشتهم
وسميتهم وعقودهم وزيارتهم وأصول حكومتهم المتعلقة بالادارة والقضاء
و... ستة وخمسة أصول تعليم والمدرس والمصانع وغير ذلك مما يتعلق
بشؤون هذه الأمة وحدهم من حيث نسبة الى ذهبت في المعرب أيام الحروب
... في القرن ... من ... في ... والقيام على شؤون

الادارة والحرب ما لم يحطوا لهم في بال

اللهم انا لا نرى في التواريخ الاسلامية خبراً من هذا القبيل الا بطريق
العرض مستوراً في ثنايا الاخبار وربما ألمت بعض المؤرخين شئ من ذلك
كالخطيب في تاريخ بغداد والمسيودي في تاريخه الكبير الا اننا لسوء الحظ لم
نر من هذه التواريخ الا شذرات منقولة في تضاعيف الكتب والاصل مفقود
المين الا اجزاء من تاريخ الخطيب منقولة في بعض المكاتب لا تشي العليل
فاذا كان هذا شأن التاريخ الاسلامي في عصور الترقى والحضارة وذلك
شأن المؤرخين في اعمال تدوين المهم من اخبار التاريخ وتبسطهم في سرد اخبار
الحروب فلاحرم ان يطن الجاهل والمدون ان الامة الاسلامية انما وجدت
لاراعاح العالم بالحرب والقتال وان تنشوش الحقائق المنسججة في اخبار الفتح
فيصعب وقوف الناس على محرى السياسة والحرب يومئذ وبلغ نظامها في عصر
الخلافة الراشدين وأخصهم عمر بن الخطاب (رض) الذي يشهد ذلك القليل
الذي وصلنا من اخبار سياسته انه وضع للحرب والسياسة ضوابطاً لا تمت العاية من
الرأفة والعدل لو استقصيت ودوت في كتاب على حدة وعمل بها خلفاء
والسلاطين في كل عصر وأصافوا اليها ما تمس اليه حاجة المنة لثرى لدول
والزمان لما وجد لاعداء سبيلاً للقدح في الفتح الاسلامي وكذلك نوعي
المؤرخون أيضاً ذكر وتدوين لوسط المدينة في عصور الترقى الاسلامية
لكانت لهد الهدم ولا تسح عليه لامة ومهيجرك فيها - ث خد
لاسترحامها والتواثق من حمص استقلاله وصون حيتها نهوت

من خبر لدية ويرد

لما انتهى من كتابه من حروبهم من حروبهم من حروبهم

القادسية "وسلط على أنزومعدان ركب خيلا وجداً نحو ط الخريم فلم يجدوا
القادسية فجدوا من الفرس فأخذت السرايا للعارفة والأرهاب ووقف مكانه
موقف للدافع جاء لأشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) وبعث عبده
إلى أسيرة وعمرها أيا نواله بالحر فنادوا فاحسروه أن كسرى قد ولي زبهم بن
الفرج من الأرمينية وأمره بالمسكرة فكتب بذلك إلى عمر (رض) فكتب
إليه عمر

أما بعد لا يذكرك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به واستعن بالله وتوكل
عليه وابست إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم
توهيناً لهم وقتلاً^(١) عليهم واكتب إلي في كل يوم
وأما رستم فإنه جاء حتى عسكر بساباط بين المدائن والقادسية بمائة ألف مقاتل
أوزيدون كمي رواية البض وتقدم سعد إلى نفر من قادة المسلمين ذوي منظر
وأراء وعليهم مهابة فبعثهم إلى يزجر يدعونه إلى الإسلام أو الخزية وهم العمان
ابن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن جوية الكنداني وحنظلة بن الربيع التميمي
ومرات بن حيان العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرارمة بن الباش وعطار
ابن حاجب والاشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن
معدى كرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة نحر حوامن العسكر حتى قدموا
المدائن دعاة يزجر دفتوا وارسم حتى انتهوا إلى باب يزجر دفتوا ففسوا رثما جمع

(١) القادسية على حافة البادية وحافه سواد العراق لهذا اختارها الحليفة عمر
مقام حش سعد لقرها من الدادة وعدم اقدم الفرس على التوغل فيها فيما لو تقهر
أمامهم حسن النساء

(٢) قال في التاموس الملح الطفر والعسر

بردد جرحه دولته واستشار محمد بن الحبحاب فقال اجتمع رأيهم أن يلزم فادخلوا
عليه وجرى بينهم كلام طويل سيره معالي سيرة سعد بن وقاص (رضي)
ولما لم يجب بردد جرحه وطلب المسلمين أرسل سعد بن المغيرة بن شعبة إلى وسم وكان
رجلاً جاهلية ذا بصيرة وروائي الآثمة أي أن يجيب إلى الإسلام أو الجزية تبعاً لرأي
قومه ومشورتهم فأعلن الحرب على المسلمين وكانت بينه وبين المسلمين إلى أن
قتل جرحه شديداً انتهت بقتل جموع الفرس في القادسية وتقدم جيش المسلمين
إلى عاصمة الأكرسة كما ستري تفصيل الخبر في سيرة سعد بن وقاص إن شاء الله
وكان مقام المسلمين في القادسية منذ وصلوا إلى أن ظفروا بشهرين

لما فرغ سعد بن حرب القادسية أقام فيها بعد الفتح شهرين وكتب إلى عمر
فيما يفعل فكتب إليه عمر يأمره بالسير إلى المدائن فسار إلى المدائن لأيام بقين من
شوال سنة (١٥) وقيل (١٦) والتقى بجيش الفرس في مكان يدعى برس هزمه
فانضم إلى فالة القادسية في بابل فأرسل إليهم ربيعة بن الحويمة وقتلهم وهزمهم ثم
سار سعد إلى المدائن وهي نهر سير^(١) ودخلها بعد حصار شهرين وهرب منها
كسرى إلى حلوان فعم المسلمون من ذخائر كسرى وأموال الفرس في المدائن
مالا يدرهم دعاسعد الدهاقين إلى الإسلام أو الجزية ولهم الدمة فلم يبق غربي دجلة
إلى أرض العرب سوا دي الآ آمن واغتبط ملك الإسلام ثم بعد أن ملك
المسلمون إيوان كسرى حملوه مسجداً وأن سعداً ليصل فيه بالناس والتمثيل من
الحص قائمة فيه ثم أرسل سعد جيشاً من المسلمين بقيادة أسأحيه هاشم بن عتبة بن
أبي وقاص إلى حلوان وما سبداً فافتتحها وهر كسرى من حلوان إلى لري وقيل

(١) المدائن هي عاصمة الأكرسة وموقعها على دجلة على مائة ميل من حوض العرب

من بغداد وتسمى قديماً طيسيفون ويسمونها الآن طيسفون

الى اصفهان وكان ذلك سنة (١٦) وأقام سعد في المدائن الى سنة (١٧) وفتحت
جيوشه في غرضونها تكريت والموصل ثم تحول الى الكوفة بعد ان اختطها بأمر
عمر بن الخطاب (رض) كما سيأتي ذكره في محله ان شاء الله

﴿ مسح سواد العراق وترتيب الخزية والحراج ﴾

(كيف يكون الاستثمار)

ان من الاصول السديدة في الفتح والاستثمار ان يؤسس على مبدأ حفظ
الثروة المحلية لاهلها لتكون هذه الثروة مادة يتمتع بها الفاتح وأصلاً نمو نباته
ثروة الدولة وتقوم بدوامه مادة العمران وكلما تبسط أهل المملكة في العمران
وحد المستعمر من وسائل الكسب عند هم الم يجد فيه فيما لو نضب معين ثروتهم
واكتمشت عن العمل أيديهم وقل ان تراعى الدول العاتمة هذا الاصل السديد
والمرمى البعيد في الممالك المفتوحة بل معظم الفاتحين الى هذا المهد يتبرون البلاد
الى أخذت غنوة ملكاً حلالاً لهم بجور انتزاع الثروة من أهلها بطرق الاكراه
التدريجية ليستأثر بها أهل ملتهم ويستعنى منها وطنهم على زعمهم ولم يمهدي في هذا
المصدر دوله من لدول المتقدمة الاوربية تراعى حفظ الاصل في الثروة لأهله
في المستعمرات الافريقية والاسيوية الآدولة ككراواتها كانت أحسن الدول
قياماً على ذلك لأصل في مستعمراتها الكثيرة الشاسعة وأحصن وطأة على
الرعية مع أن دعوى التمدن العريضة تستدعي الرأفة والماية لسكان المستعمرات
من سائر لدول لاوردية وتستلزم عادة الاصول لاقتصادية في حكم البلاد
مفتوحة كما هي مريعة في ذلك لاوردية وهيئات هيئات فان علبة الشهوات
تجنى عن روح ذكره كل عام مسته عليه في ديار المدينة وايت حمله
كتب من مفرح يدين يرمون امتح لاسلامي وأهله بوصمة التجرب

الله ان اجعل يدي في يده (يعني انه لا يهرب) فأذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال : تو مني يا أمير المؤمنين : قال ومن أي الاجناد أنت : قال من جند مصر : قال فلعلك شريك بن سمي : قال نعم يا أمير المؤمنين قال لا جعلك نكالا لمن خلعتك . قال أو تقبل مني ما قبل الله من العباد : قال أو تفعل . قال نعم فكتب الى عمرو أن شريك جاءني تابا فقبلت منه

وأخرج في فتوح البلدان عن ابراهيم التيمي قال لما افتتح عمر السواد (يعني سواد العراق) قالوا له اتسمه بينا فانا فتحناه عنوة لسيوفنا فابني وقال لما لمس حاء بعدكم من المسلمين وأحاف أن قسمته إن تنفاسدوا بينكم في المياه قال فامر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الخزية وعلى أرضهم الطسوق (الخراخ) ولم يقسم بينهم

وأخرج عن يزيد بن حبيب قال . كتب عمر بن الخطاب الى سمعدن أني وفاض حين فتح السواد (أما بعد) فقد بلغني كتابك بذكر ان الناس سألوك ان تقسم بينهم ما فاء الله عليهم فادأناك كثنائي فاطرمأأ حلب عليه أهل العسكر بحيلهم وركابهم من مال او كراع فاقسمه بينهم بعد الحس واترك الارض والانهار لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين فانك إن قسمتها بين من حصر لم يكن لمن يبقى بعدهم شيء وفي كتاب الخرج لابن يوسف بحث طويل بهذا الصدد فليرجع اليه ولعل من حرص عمر رضي الله عنه على حقوق أهل العراق وخطط أرضهم ثم ن حدي خربت من كدلة صلب من عمر رصا يقتل^(١) وفيها حيلة فكتب الى بني موسى لاشعري راعبد لله سائى رصاعلى شاطىء دحلة يقتل فيها حيلة فان

١ بن موسى راعبد لله سائى رصاعلى شاطىء دحلة يقتل فيها حيلة فان

قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بالمدينة وقف على حذيفة بن
اليمان وعثمان بن حنيف فقال كيف فعلتما (يعني بالعراق) أخاف أن تكونا حملتما
الأرض ما لا تطيق فالألا فقال عمر اني سلمى الله لا أدع أراهل أهل العراق
لا يحتجن الى أحد عدي أبدا فما أنت عليه الأربعة الأصب وروى أبو يوسف
في الخراج ان عمر كان يحى الخراج ثم يحرح كل سنة عشرة من أهل الكوفة
وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات بالله انه من طيب ما فيه ظلم مسلم
ولا معاهد وهل بعد هذا العدل عدل تؤثر عن الملوك والخلفاء ويذكر عن الدول
لا والله. هكذا كان. باسمه الاستعارة الآن على عهد عمر بن الخطاب ذات أسس
على قاعده حفظ الثروة لحليها لاهلها لتكون اداة ينفع بها الفاتح واصلات تنمو غناؤه
ثروله الدولة واما اخذ عمر (رض) هذه القاعدة من القرآن الكريم الذي هو
اول كتاب الهى قرر هذه القاعدة وذلك ان عمر لما ألح عليه بعضهم بقسمة
الأرضين في العراق والشام أى الألقاها بينهم باوانتماع المسلمين بحر جبالهم
وقال كيف عن يأتى من المسلمين فيجدون لأرض قد حرت وقست. هذا
رأى وجمع الناس للشورى واحتج على من رأى قسمة لأرضين كتاب الكريم
كما ترى ذلك بمسوطا في كتاب خراج لابي يوسف وابن وهب وحدث حجة
لله تعالى في كتابه وتلى آيات اى صحت على النبى وتسميته وعلى مستحقيه من
المسلمين وهي : فداءه على رسوله) فى ذلك مدد كروى وروى
والمساكن وان السنين والمخاضين ولا بأس من مؤمن بعدة توريث
رسالة عمر له دو ولا حواء من سنة ١٠٠٠ م. لا من سنة ١٠٠٠ م.
لمدينه وردت ثروت رحيم ورسالة من رضى عن عمر بن الخطاب
مد مدني في عهد من كثر و لا بأس من رضى عن عمر بن الخطاب

نفسه طولا (يعني الفاحش) وينبع من مختلف من مقدم بغداد فاجتمع على ركة
وجمع خراجها ووافقه على ذلك الخالفون وتم الامر ان يفي الارضين بها اهلها
لتكون مادة يستمد منها اهلها والفاحشون مادة الحياة وهذا هو قانون الاستعمار
المادى واساسه المثلث

لما تمهد امر العراق لعمر بن الخطاب (رض) بعث عتبة بن غزوان
واليا على البصرة وولى سعد بن ابي وقاص الصلاة وامارة الحرب العامة على كل
ما غلب عليه من البلاد وجعل مقره الكوفة ولما غزله ولى عمار بن ياسر ثم
المغيرة بن شعبة ثم انا موسى الاشعري ثم عمر بن سرافة وغيرهم وولى على الخراج
اليمان بن مقرن على ماسقت دحلة وسويدا احاه على ماسقتي الفرات ثم ولى
عليها حذيفة بن اسيد وحارس عمرو ثم حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وهما
الذان مسح العراق كما تقدم

(عود الى خبر الفتح)

غزوة فارس من البحرين

كان العلاء بن الحضرمي أحد أبطال حروب الردة عاملا لعمر على البحرين
وهي من بلاد العرب مما يلي خليج فارس وكان يباري سعد بن ابي وقاص لصدع
صدعه القضاء بهما وطار عليه بالفصل في أيام حروبه في الردة فلما طهر سعد
بالمرس ودوح عاصمة ملكهم واشتعلت وحاء تأطم مما جاء به العلاء رأى العلاء
ان يباري سعدا ويؤثر أثرأ في الاعاجم ولعمت المباراة والمفاصة في الفتح
والجهاد لو تمكن دون ادن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كان لا يأدب
لخصوص حوشه في المحاررت لوصاً بهم لأوان الفرصة وانتظاراً للوقت المناسب
وأما العلاء فقد تسرع وبدد السبلهاجمة الفرس من جهة البحر فأحاطوه فخر

جيشا عنه ١٠ ألف مقاتل فيهم من الرؤساء الحارود بن المثنى والسوار بن محم
وعلى الطبع خلد بن المنذر بن ساوى فخطبهم في البحر الى فارس فخرجوا الى
اصطخر وعليها المرابطة وعليهم قائد اسمه الهريذ فباعهم ان قابلهم الفرس
حتى جالوا بينهم وبين ستمهم واجتمعت عليهم جموع فارس فقاتلوه قاتلا شديدا
وشجعهم خلد بخطبة فخطبهم فتراموا على الموت وقتل الحارود وسوار
فاستأبت ابناهما عبد الله بن السوار والمنذر بن الحارود فقاتلا حتى قتلا وجعل
خليد يومئذ يرتجز ويقول

يَا لَيْتِمِ اجْمَعُوا النِّزُولَ وكاد جيش عمر يروئ
وكل كلم يعلم ما أقول

فبرلوا واقتتل القوم وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ثم خرجوا يريدون البصرة
وقد عرفت سمهم فلم يحدوا الى الرجوع سبيلا وأحد الفرس عليهم الطريق
فلما أحسوا بالخطر عسكروا وامتنعوا ودافعوا العدو ومدافعة الانطال الصناديد
وكان لما بلغ عمر بن الخطاب تسيير العلاء لهذا الجيش أدرك به راسته
ما يصير اليه من الهلاك في تلك البلاد البائية فاشتد غصه على العلاء وكتب
اليه امره وأثقل الاشياء عليه وذلك ان يصم بمس معه الى سعد بن أبي
وقاص ويكون تحت امارته وكتب الى عتبة بن عروان والى البصرة بالخبر وأمره
ان يبدد الناس الى بصرتهم قبل ان يحتاحهم الفرس فبدد عتبة الناس وأحرقهم
بكتاب عمر فانتد عاصم بن عمرو وعمر خة بن هرثمة وحديفة بن محص
والاحم بن قيس وأمثالهم من قادة العرب وفرسهم فخرجوا في تبي عشر الفا
على العمال بمحور الحيل كي لا يصيب الركوب وعليهم أنوسرة من أني زهم أحد
بي مالاك وساحل (أي شى على الساحل) أنوسرة والمسالحي الا هو و هم

رده له حتى التقي بخلد بن عسكر وأخذت عليه الطريق وحصره ووجده
 باليوث البواسل فلم يصبر أهل اصطخر أهل فارس على المسلمين فاقبلوا عليهم
 من كل فج قاتلة وهم وأبو مسيرة وتوافقت المسلمين أمسداً لهم وتواصلت جنودهم
 فلم يتمكن القوم من حصرهم أو قطع المداخلة عنهم وقاتلهم المسلمون وغنموا منهم
 غنائم كثيرة وعادوا بذلك الجيش المحصور ببركة رأي عمر وأخذ الخطة اللازمة
 لسلامة جيش يريد التوغل في بلاد العدو وكان لاهل البصرة فضل عظيم بانقاذ
 جيش العلماء والظفر بالعرس

ولما رجع الجيش الى البصرة استأذن عتبة عمر بالمرح فاذن له فلما قصى حجه
 استغفاه فاني ان بعقيه وعزم عليه ان يرجع الى عمله فانصرف على غير رصاه
 فمات في بطن نخلة فدفن وبلغ عمر وفاته فاشي عليه بصله وولى مكانه أناسيرة بن
 رهم نقيه السنة ثم استعمل المعيرة بن شعبة في السنة الثانية فاستمر فيها الى ان حري
 يده وبين أبي بكر ما جرى مما سيأتي في محله ان شاء الله فمزله عمر واستعمل مكانه
 أناموسي الاشعري

— حبر الهرمران —

وفتح الاهواز وتستر والسوس وغيرها

كان الهرمران أحد البيوتات السبعة في أهل فارس وكان شهيداً قنادسية
 مع الفرس واهرم هريتمهم شاء الى الاهوار^(١) وتولى أمرها وأخذ يدير على

(١) الاهوار اسم ولاء وفعه بين ولاء البصرة وولاية فارس ونحن نحصى

هما ما كره في سائر موب في معجده وهو

لاهوار جمع هور في قوم جمع حور فهي على القول الاول محرفة عن حور
 وحور مصدح حر ارجل السحيرة حوراً اصله وهامة والحور في الارض
 سحرة حر ومع حر حرة فلهذا فلا يكون لاحد فيها حق فذلك الحور

أهل ميسان هلك منه عامل البصرة عتبة بن عروان فاستبد سيدا فاقبته عبيد بن
 مقرن وتبعه بن مسعود وأمرها أن تأتي على ميسان وتستقيم ميسان ووجه عتبة
 سلمى بن القين وحرملة بن مركبة وكان من المهاجرين فنزل على حدود دار
 ميسان وهناك قوم من العرب يصلحهم شواليم بن مالك فاقبته وأمنهم على
 المعاضدة وأن يشدوا بالهرمران وكان من رعايتهم غالب الوائلي وكليب بن
 وائل وتميم وتميم وبلغ ذلك الهرمران فسقط في يده فأنهزم فتبعه المسلمون
 وقتلوا من قومه ماشاوا حتى انتهى الهرمران إلى جسر سوق الأهواز فعبه
 وأقامها ونزل المسلمون بحياه فلما رأي ما لا طاقة له به طلب الصلح فكتبوا إلى
 عتبة بن عروان بذلك فاجاب عتبة إلى الصلح على الأهواز كلها ما حلاهرت يرى
 وماذر وماغلو وعليه من سوق الأهواز فانه لا يرده عليهم وحمل سلمى بن القين
 على ماذر مساتحة وأمرها إلى غالب وحرملة على هرت يرى وأمرها إلى كليب
 فكان على مسالح البصرة وكتب عتبة بذلك إلى عمرو وقدايه وقدامهم سلمى
 وحرملة وكانا من الصحابة وغالبا وكليسا وادفعهم بعض حوذه أهل البصرة
 وفيهم الاحنف بن قيس فأمرهم عمران يرفعوا حوائجهم وكلهم قال أما العامة
 فأت صاحبها ولم يبق الا حواص أنفسهم فطلبوا لانفسهم الا الاحنف بن
 قيس فانه تكلم فاعرب وأعرب عن حاجات البصرة فأحانه عمر اليها وقال
 هذا العلام سيد أهل البصرة ثم كتب إلى عتبة بن عروان فيه بان لسمع منه

وعلى المول الثاني الاحوار مواضع في خور سار - وموقع الاهوار بين البصرة
 وفارس وكورها أي اسمها سوق الاهوار ورأى مهرم وادع وعسكر مكرم وستر
 وحديسانور وسوس وشرق وشرق وشرق وكان حراجه ثلاثين ألف ألف
 (٣٠ مليون) درهم وكتب النرس سبعة عشر ألف ألف ألف وعصمه هذا
 القسم هرمدار سايور او سوق لاهوار

ويشرب برأيه ، وقيل بل احتبس عند في المدينة وسيأتى الكلام على هذا في سيرة الأحنف إن شاء الله

ثم إن عمر رد سلمى وحرمة وعالبا وكليبا إلى ما ذروته ترى فكانوا عدا فيه لكون إن كان

ثم وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب اختلاف في حدود الأرضين فحصر ذلك سلمى وحرمة لينظر فيما بينهم فوجدوا عالبا وكليبا محقين والهرمزان ممتلحا لابس وبنيهما فكر الهرمزان أيضا ومع ما قبله واستعان بالأكراد فكشف جده فكتب الأمراء إلى عتبة بذلك فكتب عتبة إلى عمر (رض) فامد بهم عمر مخزوم بن رهير السعدي وكانت له صحبة وأمره على الفئال وعلى ما علب عليه من البلاد فحاربهم وقاتل الهرمزان فهزمه ففر إلى رامهرمز وافتتح حرقوص سوق الأهوار وأقام بها واستتمت له بلاد سوق الأهوار إلى تسند ووضع الجزية وكتب بالفتح إلى عمر ثم دعت حرث بن معاوية في أثر الهرمزان بأمر عمر فأتته إلى قرية الشعروا وأعمرها الهرمزان فمال حزم إلى دوزق (وهي مدينة سرق) وفيها قوم لا يطيقون نعمها فاحذوها حرة صافية وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة وأبه دعا من هرب إلى الجراء والمعة فاحادوه فكتب عمر إليه وإلى حرقوص بن معاوية بن رهير لروم ما علب عليه وبالمقام حتى يأتيهما أمره وودكر الطبري في غصون هذا الخيران حزم بن معاوية استأذن عمر (رض) في عمراب البلاد فاذن له فشق الأهوار وعمر الموت وهكذا كان دأب هؤلاء الفاتحين الذين يرههم الأعداء بالحمية والتدمير والتجريب فاهم ما وطئوا أرضا إلا عمروها وأنصموا أهلها في الحكم والماترة والخور

وأما الهرمزان فمعه في روم وطلب الصلح فصولح على ما لم يغلب عليه

المسلمون من أرضه فاقام الهرمزان على صاحبه يحجي الى الامراء ويمتونه وان عار
عليه اكراد فارس منهوه وكان ذلك في سنة (١٧) وقيل في سنة (١٦) ثم كفر
(أي جحد) مرة أخرى وذلك ان كسرى يزدجرد حرّصه على العصيان وحرّض
أهل الاهوار عامة فانتهى ذلك الى الامراء فكتبوا الى عمر (رض) والى المسلمين
بالصرة فكتب عمر الى سعد أن أبعث الى الاهوار ثمانية آلاف من المشاة مع النعمان بن مقرن
وعجل وابعث سويد بن مقرن في نفر من وحوه المسلمين دكرهم له وكتب بمثل
ذلك الى أنى موسى الاشعري وكان عاملاً على البصرة بعد عتبة بن عزوان وأمره
ان يسرح الى الاهواز حذراً كثيفاً وفيهم نفر من سادة المسلمين دكرهم له
ومنهم البطل الشهير السراة بن مالك وعرفه بن هرثمة وحذيفة بن محصن
وأشاههم وان تكون اماراة الخيشين حيش الكوفة وحيش البصرة الى أنى سبرة
ان أنى زهم خرج النعمان في أهل الكوفة فاحذو وسط السواد حتى قطع دجلة
بحيال ميسان ثم أخذ البر الى الاهوار وانتهى الى نهري خارها ثم حارسوق
الاهوار وحلف حرّقوا صوامعهم وحرّسوا امراء الاهواز ثم سار الى رامهرمز
وبها الهرمزان ولم يسمع الهرمزان بمسير النعمان اليه ماددته الشدة ورجأت
بقتطعه وقد طمع الهرمزان في بصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل
أمسدهم تستر فالتقى النعمان والهرمزان بأربك فاقتلوا قتالاً شديداً انتهى
بانتصار المسلمين وانهرام الهرمزان الى تسير ثم توافى الامراء واجتمعوا على تسير
وكتب أنوسرة يستمد أمير المؤمنين فامدّهم أنى موسى والطاهران حدود
الفرس الي كانت حاءت مدداً لا يرمزان كانت كثيرة العدد لهدا حاصروهم
أشهر أو قتل البطل الصديد البراء بن مالك سائة مائة في عصون مدة الحصار
وقتل من ذلك مجزأة من نورو مثله كمن نورو من مثل ذلك كثير من

أنطال البصرة والكوفة وعند نهاية الحصار جاء رجل الى النعمان فاستأمنه على ان يذله على مدخل للمدينة فندب النعمان نفراً من الشجعان فدخلوا معه المدينة وأناموا من على الباب وفتحوه ودخلها الجنود فلما شعر بذلك الهرمزان فر الى القلعة واعتصم بها ثم طالب الامان على ان يزل منها على حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنزل فأوثقوه واقتسموا أفاع الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وقتل ليلئد جمع من المسلمين فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور قتلهما الهرمزان بنفسه

وخرج أنوسيرة في أثر الفل الى السوس وأحاط بها بجنده وكتب بذلك الى عمر وكتب عمر ردائي موسى الى البصرة وان يسير رز بن عبد الله بن كليب الى حندي سابور وأمر على حند البصرة المهترئ الاسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك

ثم ان أناسيرة أوفد الى المدينة وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فلما اقتربوا من المدينة ألبسوه حلة الملوكية وتاجه ودخلوا به المدينة ليراه المسلمون على هذه الصفة وانطلقوا الى المسجد يطلبون أمير المؤمنين فوجدوه نائماً في بيمة المسجد فتوسدوا رؤسهم فجلسوا دونه وليس في المسجد غيره فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هو ذا فقال أين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا ديوان فقال فيسمى ان يكون نائماً فقالوا بل نعمل عمل الانبياء وكثر الناس فاستيقظ عمر بالحلة فاستوي حاله ثم نظر الى الهرمزان فقال لهرمزان قالوا نعم فتأمل ما عليه وقال الحمد لله لدى دل بالاسلام هذه واشيائه يامشر المسلمين تمسكوا بهذه الدين واهتدوا بهدي بيته ولا تطروكم لساها باعراة ثم قال هيه يا هرمزان كيف

رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله . فقال يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فقلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا فقال عمر انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا

هذا هو القول الحق الذي لا مرأى فيه إذا محق الامر وذهب باستقلال الشعوب الا التفرق ومامهد للمسلمين سبيل النصر على الدول الاجتماع تلك القبائل المتفرقة على كلمة الاسلام وتمسكهم بعري الاحوة والوثام هذا على اعراقهم في البداوة ولعدمهم عن أسباب الحصار وحدثهم في سياسة الملك والله لو اسمرت عري اجتماعهم متوثقة وأمر دولتهم متسقة الى عهد الحصار الاسلامية التي اسبراح فيها المسلمون من غناء الفتح وأخذوا أنفسهم بالعلوم وتبسطوا في مباحي العمران لما تفرق اليهم الوهن ولم افترت منهم الهمة ولكن سلط عليهم أمرؤهم ففرقوا كلمتهم وأفسدوا عليهم أمرهم فتباعصوا تناقص الاعداء وتناصوا يارباه روابط الاحاء التي ربطت تلك القبائل البدوية لعراها ففتحت لهم ممالك الارص أقصاها وأدناها وبمذاها المسلمين لم يكونوا في عصر أحوح الى الوثام وأقفر للالثام منهم في هذا العصر الذي ملا فراغ الوجود عبراً تهر أعصاب الاموات وتثير في النفوس الحامدة بواعث الشهور بما هوآت ومع هذا فلا يرال أولياء أمورهم في تحادل وتناقص لا يودون احتمالاً ولا يقبلون نصحاء ولا تؤثر فيهم الرواحر ولا تعطهم العبر يفرقون بين الاح وأخيه والوطن وبنية تراحم على اسم الرياسة وتواطؤ مع الرمان على هذه الامة لاسلامية الى تمرقها الاعداء والغامخون وراحها على أرضها العربيون وطاردها في حماها المتعلبون وهي مستعركة في محران العلة مستسامة لا حكام القضاء استسلام الحان للعدو والقاهر لا يلتبس لها محر حامن هذا الصبي ولا تقتنا بمدرؤساءها لدين

فدفعوا بها الى هذا المكان السحيق وقالوا بعداً للقوم الجاهلين
ثم ان عمر رضى الله عنه قال للهرمزان ما عذرک وما حاجتک في انتقاضک
مرة بعد مرة فقال أحاف أن تقتلني قبل أن أحبرک قال لا تتخف ذلك فاستسقى
الهرمزان ماء فأثني له به في قدح غليظ فقال لومت عطشاً لم أستطع ان أشرب
في مثل هذا فأثني به في اياه يرضاه فأطهر الجرع وقال اني أحاف ان أقتل
وأنا أشرب الماء فقال عمر . لا بأس عليك حتى تشربه فاكهأ فقال عمر .
أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء عما
أردت ان أستأمن به فقال له عمر اني قاتلك قال قد آمنتى فقال كذبت
فقال أس صدق يا أمير المؤمنين قد آمنتته قال ويحك يا أس انا أو من قاتل محزاة
والبراء والله أتأثبي بمخرج أولاً عاقبك قال قلت له لا بأس عليك حتى تحبرني
وقلت لا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حصر مثل ذلك فاقبل على الهرمزان
وقال حدعتي والله ولا أنجدع الا لمسلم فاسلم الهرمزان وفرض له على العين
وانزل المدينة . وربما كان بعض الوفد الذي علمه هذه الحيلة شفقة عليه من
القتل والا فمانحاه يعلم من أخلاق العرب الوفاء الى هذا الحد والله أعلم
حشي عمر رضى الله عنه أن يكون سبب خروج الهرمزان على المسلمين عدة
مرار مع كونه عاهدهم ودخل في دمتهم ناشئاً عن سوء معاملة المسلمين لاهل
دمتهم في فارس والعراق فاستدعى الوفد الذي وفد عليه مع الهرمزان وسألهم
عن ذلك وقال لعل المسلمين يفضون الى اهل الدمة بأدى فقالوا لا ما علم الا وفاء
وحسن مآله قال فكيف هذا وما سبب عذرائه اهل فارس فلم يحد عهداً خدمهم
شيئاً ليشبهه ويصبره مما يقولون الا ما كان من الأحف من قيس فقال يا أمير
المؤمنين أنا حذرنا ما كنا نبتاع الانسياح في البلاد وأمرنا بالانقصار على ما

أيدينا وإن ملك فارس حي بين أظهرهم وأنهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم تأخذ شيئا بعد شي إلا بآبائهم وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا بهم حتى تأذن لافلسخ في بلادهم حتى نزله عن فارس ونحرجه من مملكته وعزّاهته فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويصربون جأشا . فقال عمر صدقتي والله وشرحت لي الأمر عن حقه ونظري حواليجهم وسرحهم . وقدم الكتاب على عمر واجتماع أهل نهاوند فتحرك في نفسه أن يآذن بالانسياح بعد أن كان متوقفا فيه لقلّة جيوش المسلمين بالنسبة لأهل فارس وعظيم قوتهم وصخامة سلطاهم

قدما أن أناسرة ذهب في أثر المهزمين من جود الهرمزان إلى السوس وحاصرها فسلمت له وقيل بل كان على حصارها ثوبوموسي الأشعري وكان يزدر دلت أحد قواده واسمه سياه في ثلثمائة مقاتل فيهم نحو سبعة من رجال من أشراف فارس وعظمائهم إلى السوس وأمره أن ينتخب من كل بلدة صرهما من أحبهم سياه إلى السوس وقد سلمت ودخلت في حورة المسلمين فتحول سياه ونزل بين رامهرمز وتستر وقد عظم عدده أمر المسلمين وعلم بفراسته إهم طافرون بالدولة الفارسية لاحتالة فدعا الرؤساء الذين كانوا معه وقال لهم قد علمتم أنا كما تحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والدؤس سيعلبون على هذه المملكة وتروث دواهم في أيوانات اصطحرو ومصانع الملوك ويشدون حيولهم لشجرها وقد علموا على مارائيم وإيس يلقون حديدًا ألقوه ولا يبرلون بحصن إلا فتحوه فاطر والافسكم

قالوا أبارأيك قال فإيكفي كل رجل منكم حشمة والمتقنين إليه فاني أرى أن ندخل في ديارهم . وأما أمرهم بأن يكرهوا الحد تلافيا لما عساه يحدث بهم

فما لو أسلم أشرافهم فلبى الرؤساء أمره ثم وحبوا أحدهم واسمه شيرويه إلى أبي موسى
 في عشرة من الاساورة فقدم عليه وقال له أنا قدر غبننا في ديككم فسلم على أن نقاتل
 معكم المعجم ولا نقاتل معكم العرب وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه ونزل
 حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم وتلقونا بأشراف العطاء (١) ويعقد لنا الأمير
 الذي هو فوقك بذلك فقال أبو موسى بل لكم مالنا وعليكم ما عليا با قالوا لا نرضى
 فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه أن أعطيهم ما سألوه ورأى منهم مرة
 تقصيرا في الحرب فلا مهم على ذلك فاعتذروا إليه بقله العطاء فكتب بذلك إلى عمر
 (رض) فكتب إليه أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذته
 العرب فعرض لمائة منهم في العين ولستم فيهم في العين وحماسة فقال الشاعر
 ولما رأى الماروق حسن بلائهم وكان بما يأتي من الأمر أبصرا
 فسئ لهم العين فرصا وقد رأى ثلاثين قرصك وحميرا
 وفي هذه الايات استحسان لما صعبه عمر رضي الله عنه بالحق القوم
 بأفضل العطاء تأليفا لقلوبهم وحذرا من أمر يأتي من قبلهم ولا جرم ان الانتفاع
 بناس كهؤلاء لا يموت ذلك الخليفة العظيم الذي أدهش بحسن سياسته يومئذ
 ملوك المرس والروم فرصى الله عنه وجراه عن هذه الأمة خير الجزاء

﴿ عمر هنري سابر ﴾

(وأمان عند امصاه جيش المسلمين)

روى الطبري ان أناسا من الماروق من السوس خرج في حده حتى برل على

(١) كذا في تاريخ الطبري ولعله بأسر العطاء أي اعلاء أو الاشراف من أهل

العضاء وعضاء هو في عرفنا الآل المرتب أو الماهية وسيأتي الكلام عليه في هذا
 الكتاب

جندى سابور وزر بن عبد الله بن كليب محاصرهم فأقاموا عليها ينادونهم
 ويراو حونهم القتال فلم يقبضهم يوماً الا وأبواب البلد تفتح ثم خرج الناس وخرج
 الاسواق وانبت أهلها خار المسلمون من ذلك وأرسلوا فسألوهم ان مالكم :
 قالوا رميتم اليانا بالامان قبلنا وقررنا لكم بالحزاء على ان تمنعونا فقال المسلمون
 ما فعلنا . فقال أهل حندي سابور ونحن ما كذبنا . فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا
 عمديدعى مكيفاً كان أصله منها هو الذى كتب لهم فقلوا انما هو عبد فقالوا
 انا لانعرف حركم من عبدكم قد جاءنا امان فحسن عليه فقبلناه ولم نبذل
 فان شتم فاعدروا فامسكوا عنهم وكتبوا بذلك الى عمر فكتب اليهم
 ان الله عظم الوفاء فلا تكونون اوفياء حتى تهوا مادتهم في شك أجزوهم
 وفوا لهم فوفوا لهم وانصرفوا عنهم

ولولم يعلم هذا العمد من احلاق أولئك الماتحين الساسية اهم يحيزون امانه
 وان احلاقهم الكريمة وهو سبهم الشريفة فوى كل فاتح محارب لما رعى لقومه
 بالامان واستنبر لهم من المعافل ولوا نصف جهله المتمصين من المؤرحين وتبعوا
 أحمار هذا الفتح ومحنوا عن سيرة أولئك الماتحين وأحلاقهم البارة بالاساسية
 لكفوا أنفسهم . وانه التهم على ثلب المسلمين ووصفهم بالهمجية والتحرش في
 أيام فتوحهم العظيمة ولكن ما الحيلة وانها لا نعى الانصار وان كان امضى الملوب
 الي في الصدور

(الاسباح في الاد فارس)

أشرنا فيما تقدم الى ما رآه الأحمق من مناس من لروم 'اسباح (١) لحوس
 الاسلامية في بلاد فارس تحلصاً من عصاية الملك واسمحصاعاً بالمرس وقد هي

عمر (رض) الى رأي الأحنف وأعترف فضله وصدقه فأعدّ لذلك المدة وقسم
الجيوش وأمر الأمراء من أهل الكوفة والبصرة فأمر أباه ووسى الأشعري
ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة أي آخرها فيكون هنالك حتى يبعث
اليه وبعث بألوية من ولّى مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل فقدم سهيل
بالألوية ودفع لواء حراسان الى الأحنف بن قيس . ولواء ازدشير خزره وسابور
الى مجاشيع بن مسعود السلمي . ولواء إصطخر الى عثمان بن العاص الثقفي .
ولواء فسّا ودارجرد الى سارية بن رزيم الكناني . ولواء كرمان مع سهيل بن
عدي . ولواء سجستان الى عاصم بن عمر ولواء مكران الى الحكم بن عمير التعلّلي
خروجوا سنة (١٧ هـ) فمكروا ليسيروا الى هذه الكور فلم يتيسر مسيرهم
حتى دخلت سنة (١٨) وأمدّهم عمر (رض) بمجاعة من جند الكوفة فأمدّ
سهيل بن عدي لعبد الله بن عبد الله بن عثمان وأمدّ الأحنف لعقمة بن البصر
ولعبد الله بن أبي عقيل وبرقي بن عامر وبان أم عزال وأمدّ عاصم بن عمرو
لعبد الله بن عمير الأشجعي وأمدّ الحكم بن عمير بشهاب بن الحارث المارئي
سارت هذه الجيوش كل جيش في وجهته وافتنحت في عصون خمس سنين
أعني الى هياه خلافة عمر (رض) المسم الأ عظم من بلاد فارس الشرقية والعربية
صلحاً وحرّاً وبلغت ولاية ادريجان تماماً وسجستان (من ولاية افعاستان)
ومكران (من ولاية لوخستان أي السند) شرقاً وبحر الهند وحليج فارس
حوماً وكردستان والخربرة عمراً وكات أعظم وفائع المسلمين في فارس بعد
انسياع لحش وفعة هماوندوا حس الفتوح فتح حراسان فامّ فتح خراسان فقد
ختلف فيه هل كان في خلافة عمر بن الخطاب أو خلافة عثمان رضي الله عنهم اهلهذا
روحى الكلام عليه الى سيرة الأحنف بن قيس واما فتح هماوند فقد كثر طرفاً

من خبره هنا لأهميته ولكثرة ما عاناه المسلمون في هذا الفتح من المشاق وما
لاقوه من شدة العدو وعدته فنقول نقلاً عما رواه الطبري في تاريخه

(خبر نهاوند)

كان الذي هيج أمر نهاوند كسرى يزدجرد فانه جمع اليه عطاء الفرس
وخوفهم من اجتماع الجيوش الاسلامية على فارس وأبذرهم بذهاب الملك اذا
لم ينهضوا نهضة رجل واحد لصدم المسلمين فأجمعوا رأيهم على اعداد الجيوش في
نهاوند وكتبوا الى البلاد خنجر والحدود الفارسية الى نهاوند وكانت عدتها ١٥٠٠٠٠
مقاتل فلما انتهى الخبر الى مودان حلوان كتب بذلك الى سعد بن أبي وقاص
وكتب هذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فجمع عمر الصحابة
واسدشارهم في الامر فمهم من أشار عليه بالهوص نفسه الى فارس ومنهم من
أشار عليه بالمقام وبترسخ جنود الشام ومنهم من رأى غير ذلك ومن رأى ان
يدهب الى حرب القوم بنفسه عثمان بن عفان (رض) فانه قام فقال (١) بعد ان تشهد
أرى يا أمير المؤمنين ان يكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب
الى أهل اليمن فيسيروا من بينهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين الى المصرين
الاصرة والكوفة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت بمن معك

(١) هكذا كانت العادة عند المسلمين اذا اجمعوا عند الخليفة للسوري يقوم
أحدهم عند اداء الرأي خطياً ونشير بما رادوا شبهه في هذا العصر حال محاسن الشورى
عند الأمم الأوربية ولكن شتان بين أهل سوري ههنا وبين أهل سوري في
المنار والعيان الى المحادلة ثم المارة والمتارعة ثم الضرب والادلاء ومن أهل
شوري وحتمهم واحده وأحالاتهم رسة وبينهم راية فلا رسة أحدهم رأي الآخر
ولا يطاول في الكلام على سواء بل سدي رأيهم مع لاد والبرر من كل جانب
والأفعله أن تقول ما نشاء

بالكثرة ولكننا كنا نقاتل بالنصر

فقال عمر . أجل والله اثنى شخصت من البلد لتنتقضن علي الارض من أطرافها واكنافها واثنى نظرت الي الاعاصم لا يفارقن الرصة وليمدنهم من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب فاذا اقتطعتن ومه اقتطعتن أصل العرب فأشيروا علي تركل أوله ذلك الشعر غدا واجعلوه عراقيا قالوا أنت أفضل رأيا وأحسن مقدرة وأنت أعلم باهل العراق فقال أما والله لا أولين أمرهم رجلا ليكوس لأول الأسنه اذا لقيها عداً فقل من يأمر المؤمنين فقال العمان من مقرن المرني فقالوا هولها

وكان العمان (١) يومئذ بالمدينة وقيل كان بالبصرة مع القواد الدين أمدهم عمر لما افتتح دأمرهم من وقيل بل كان علي خراج كسكر وكان كتب الي عمر يستعصيه من اماره الخراج ويطلب منه الحاقه بحيش من حيوش المسلمين وذلك لان اماره الحرب كانت أحب الي اقبال الصحابة من اماره الخراج لا اعتبارهم الثانية من دواعي الراحة والرفاهية اللتين لم تألفهما نفوسهم العاليه لميلها الي اكتساب الفصيلة والشرف من ساحات الحرب والقتال . واليك كتاب العمان الي أمير المؤمنين ومه ترى عما داشه لعيم كسكر وكيف كان يأف ذلك الدعيم أما بعد ان مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب الي حبه . ومسه تلون له وتمطره فأشدك الله أمأمرتني عن كسكر ولعثتني الي حيش من حيوش المسلمين

(١) هذا الطل الحالى هو العمان من مقرن من عائذ من سيحان ويتصل بسه بأذن طامحة المرني بسه الي مريه من ولد عمان من عمرو قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعائه من مريه وقيل هاجر ومعه سعة احوه له وكان معه لواء مريه يوم فتح مكة وحصر حرب القادسية وغيرها من حروب الفرس واسشهد بها ويد

فكتب اليه عمر أن أنت الناس نهاوند فاني قد وليتكم حربهم فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماء فاني قد كتبت الى أهل الكوفة ان يوافوك بها فاذا اجتمع لك جنودك فسر الى الفيرزان ومن تجمع اليه من الاعاجم من أهل فارس وغيرهم واستنصروا الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله

وكسب الى الكوفة بشخص الحيش الى نهاوند وعليهم حذيفة بن اليمان حتى يلتقي بالنعمان فتكون له اماراة الحيش وكسب الى سلمى بن القيس وحرمة بنت ربيعة وغيرهم من الاسراء الذين كانوا بالعراق المعجمي وفارس أن يشغلوا الفرس عن حيش نهاوند فقدم بعضهم الى تحوم أصهان وبعضهم الى تحوم فارس فقطعوا عن نهاوند امداد فارس ولما قدم حيش الكوفة على النعمان جاءه كتاب عمر أن ملك حد العرب ورحلهم في الجاهلية أدحلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب واستمع بهم وأشرب رأيهم وسل طليحة وعمر أو عمر أو لا تولهم شيئاً

وامى بالعمر بن عمرو بن معدى كرب الريدتي وعمرو بن أني سلمى العبدي وهما وطلحة بن حويلد الاسدي من رعماء العرب في حروب الردة لهذا أمره عمر باستشارتهم ومهادنة نأبرهم لانه رضى الله عنه كان لا يرى نأبر احد من رعماء الردة وان أدن لأهل الردة بالحهاد واستمرهم للفتح وكان أبو بكر رضى الله عنه لا يرى هذا ولاداك كما رأيت فيما مر من سيرته واما ساع لعمر (رض) ان يأذن لهم بمحصول الفتوح لاحاحه اليهم في إبان الفتح والحصول الاضمان من حاتم سبأ مد تسط المسلمين في البلاد وحصول العرب على ذلك الملك العراص بفصل الاسلام

تقدم النعمان وتقدم امامه عمرو بن أني سلمى وطلحة الأسدي

لاستكشاف حال العدو ونخاف عمرو والتوغل وررع ومضى طليحة على وجهه وكان
بطلا شجاعا حتى بلغ نهاوند وعاد فأخبر النعمان بأن ليس بينه وبين نهاوند شيء يحشاه
فتقدم النعمان حتى نزل على نهاوند وعلى جيوش العرس قائد اسمه الميرزاني وآخر
اسمه مهن حاذويه وواي النعمان امداد أهل المدينة فيهم المعيرة بن شعبة

وكذلك واي أهل نهاوند كل من عاب عن القادسية والايام قبلها من أهل
الشعور ونزلوا ونزل النعمان ولما أريد بناء فسطاط للنعمان بأدراشراف أهل
الكوفة فبنوا له فسطاطا (وهو السرادق) وهم أربعة عشر منهم حذيفة بن اليمان
وعقبة بن عمرو والمعيرة بن شعبة ونشير بن الخصاصة وحطلة الكاتب بن
الربيع وابن الهوزر وربيعة بن عامر وعامر بن مطر وحرير بن عبد الله الحميري
والأقرع بن عبد الله الحميري وحرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس
الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر فلم يربأ فسطاط بالعراق
كقوله وفي هذا دليل على حسن الرابطة التي حملها الاسلام بين اشراف العرب
وأشب النعمان القتال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب دهم في
ذلك سجال وفي يوم الجمعة لحق العرس الى حبادقهم وحصرهم المسلمون فاعاموا
عليهم ماشاء الله والاعاجم لا يخرجون الا اذ أرادوا الخروج فاشتد ذلك على
المسلمين وحاموا ان يطول عليهم الامر فجمع النعمان أهل الرأي والجدة للشورى
فاحتتموا وأبدى كل واحد منهم رأيه وكان من رأي طليحة الاسدي ان يبعث
النعمان جيلا تفاحي الأعداء في حبادقهم وتحاطبهم ثم تخرج بهم وتستطرد لهم
حتى يقاربوا الخس فيبادرهم القتال ويقطع عليهم خط الرجوع فانتهى النعمان في
رأي طليحة فأمر المعقاع بن عمرو وكان على المرحدة ففعل وأشب القتال مع
العمم فلما أحرحو الكص ومدال أحرما كهم شمه المهزم حتى قارب بهم من

جيش المسلمين وكان النعمان على مدينة فاحذروا على الصنفوف ونحو من المسلمين
على القتال وكانهم مسلمون مطعون ثم حل الناس وحل الناس وراء النعمان فقص
بحرهم انقضاض المعاب فاذنوا بالسوف قالوا شديدا وكانت وقعة لم يسمع بمثلا
قط وسال الدم في ارض المركة فراقى به الناس والدواب واصيب فرسان من
فرسان المسلمين في الرق وراق فرس النعمان في الدماء فصرعه وتناول الراية نعيم
ابن مقرن ثم دفعها الى حديفة وجاء المنيرة بن شعبة وقالوا اكتبوا مصاب أميركم كئلا
بين الناس واقتلوا الى الليل وتمت الهزيمة على الفرس هانكهاوا في الخنادق فقتلوا
ولم يفلت منهم الا الشريد ونحنا الفيرزان فاتبه نعيم بن مقرن وقد تم القمعاق قدماه
فاردكه عند ثنية همدان فتوقل الجبل فتوقل القمعاق في أثره وأخذوه ولما بلغ الفل
همذان حامت خيل المسلمين في آثارهم فنزلوا عليها انخرج اليهم خسرو وشنوم
فاستأنهم وضمن لهم همدان ودستى وان لا يؤتى المسلمون من قليم فأجابوهم
الى ذلك وآمنوهم فأقبل كل من كان هربا واطمأن الناس

وقتل في وقعة همدان من المسلمين ويقل ان ممن قتل يومئذ طليحة
الأسدي وعمر بن معدى كرب الريدتي ودحل المسلمون المدينة بعد هزيمة
الفرس واحتوا واماها وماحولها وحموا الاسلاب الى صاحب الافاص (١)
وهو السائب بن الافرع وحاءهم الهرد صاحب بيت النار مستأما ودلهم
على دحيرة لكسرى كانت عنده على شرط ان يعطوه الامان على نفسه وعلى من
شاء فاعطاه حديفة ذلك فأخرج له تلك الدحيرة في سعطين (٢) وهي حوهر ثمين

(١) امن المال والعائم (٢) قال في الفاموس السقط محرقة كالحواق أو الفعاه
قوله الحواق معرفة عن جوال التريكة وهو ما سميته الشامون الآن العذل أو الكيس
وما يسميه المصريون الركية

كان أخته ثورث الأمان فاجتمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر فقبض عليه السائب
فكان سبب الناس من سنة آلاف وسببهم إلى أجل القسرين ورفع سائقي من الأحسان
إلى السائب بن الأقرع فقبض السائب الأحسان فخرج به إلى عمر مع ذخيرة
كبرى وقدم الرسول بحبر الفتح وهو طريف بن منهم أخو بني ربيعة وكان
عمر متمسكاً ينتظر أخبارها ويدفعها جاءه الرسول وأخبره خبر الفتح واستشهاد
النعمان بكى حتى أخضلت لحية وترجم على النعمان وكان رضي الله عنه وقيق القلب
محباً للمسلمين جريصاً على حياة القواد يحزن حزناً شديداً إذا أصيب أحد منهم
ثم وصل السائب بالأحسان فوضعت في المسجد وأمر عمر نفرته أن أصحابه
منهم عبد الرحمن بن عوف بالمبيت فيه ودخل منزله فآتته السائب بالسقطين
وأخبره خبرهما وأن الناس رضواناً يكوماله فقال له عمر: يا مليكة والله ما دروا
هدا ولا أنت معهم فالجاء النجاء عودك على بذلك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما
على من أفاءهما الله عليه فأقبل راجعاً حتى انتهى إلى حذيفة فأقامه أمباءهما
فأصاب أربعة آلاف الف (أربعة آلاف)

هذه هي العمة التي قل أن تكون في شرف أصلاً عن ملك يكون له من
السلطة على الناس ما كان لذلك الخليفة العظيم ولقد صدق والله من قال لله مران
أن عمر ليس بذي ولكنك يعمل أعمال الأبداء وحقاً أن هذه الأخلاق أخلاق
الأبداء الذين استهانوا بالديار ومتاعها والآفات حرج على عمر رضي الله عنه لو قل
هدية حصهها المسلمون ورضي الجيش كله برفعها إليه وإن كانت من فيهم ومما
غنموه لسيوفهم لو لم يكن متعلقاً بأخلاق السوء المحمدية محلصاً لله في السر
والعلانية ليس له رغبة في غير الكفاف من العيش وسعادة المسلمين وعامهم
وراحتهم فرضى الله عن نفسه الطاهرة ما أشرفها وأسمها ومن الأمة نعم رثان

بردا خبر اهل انولاهوا وحمل عبد من سيدل سعادتها
 ثم اخرجني مني من اهل المدينة حمل ابرو او اوقد في رذيلة العبد لا يلقى
 منهم صغيرا الا مسح رأسه وبكى وقال: ان كل عمر كيدي وكان ما اوتيتا فأسر به
 الروم ايام حربهم مع القرس وأسروا المسلمون بعد فنيب الى حيث سبي
 ولما فتحها اورد عليه اهل الماهين ما بهر ذان وماء دينار وطلبوا من
 حذيفة الامان على ان يؤدوا الجزية فكتب لاهل كل ماء عهدا هذه صورته
 (عن الطبري)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان اهل ماء دينار
 اعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأرضيتهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم
 وبين شرائعهم ولهم المنة^(١) ما أدوا الجزية في كل سنة الى من وليهم من المسلمين
 على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته . وما أوشدوا ابن السبيل وأصلحوا
 الطرق وقرؤا (أضافوا) جلود المسلمين من مرتهم فأوى اليهم يوماً وليلة
 ونصحوها . فان عشوا وبتوا فدمت منهم بريئة . شهد القعقاع بن عمرو وتميم بن
 مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩

(١) قد مر معنا لفظ المنة في عهد اهل الدمة عدة مرار في هذا الكتاب ولم
 يذكر شئاً عنها ونقول هنا المنة محرقة هي الحماية والامساع بالعشيرة وكان المسلمون
 يشترطون على أنفسهم للدمي المنة أي انه يصير كواحد منهم يعونه من كل عاصب ومحارب
 ومن كل من أراد سوء ولهذا السب لم يكلف اهل الدمة بالدخول مع المسلمين
 في محاربة اعداء وطهم دفاعاً عن الحورة لحمل المسلمين ذلك دونه من عهد الصبح
 وهذه هي العلة في ان الدول الاسلامية لا تعمم احكام الحديدية ولا تأخذ من اهل الدمة
 عسكرياً لحراسه البلاد أو لا تجرب مع اعدائها من أي جنس كانوا وهي نعمه لا يرال
 يقدرها قدرها كثر من عملاء المسيحيين في المشرق وتمت واصلح حال الحكومات
 الاسلامية لندوم عليهم بدوامها سلطة الاسلام

وكانت تسيطر على هذا الكتاب ان الرب لا يمد يده في الادفار من وكثرت
 محاطتهم القوس والروم اتخذوا اصول الحصار وتوكلوا من سياسة الملك
 وعمر هو الوازم الحمر ان يحلوا اصلاح الطرق التي هي عون الاثم للبحارة
 والحربية اجاروا على اهل البلاد كما رأت في هذا الكتاب وكما جاني كتاب عياض
 ابن غم لا اهل الرها من الجزيرة وكان فتحها في سنة ١٨ في السنة التي فتحت بها
 نهاوند والماء وزعماء كانوا او الطرق في التثمنت والجراب تابعة لساير العمران في
 مملكتي القوس والروم يومئذ لما كانت عليه من التناهي في الظلم واغفال شؤون
 العمران فاشترطوا على اهل البلاد اصلاحها وانما قلنا انهم شعروا بهذه الحاجة لما
 اثمه وافي البلاد وكثرت محاطتهم لتلك الاثم لانهم نرى كتب العهد السابقة على
 ذلك البارئ شرطا كهذا الشرط وهو وجوب اصلاح الطرق وهذا يخرنا
 عن بدء انتظام الشؤون العمرانية في الدولة العربية لاسيما اذا اصفنا اليه انصراف
 همة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ السنة السادسة عشرة للهجرة
 الى تمصير الامصار في العراق وشق الاهر واصلاح الحسود كما رأت وسترى
 في هذا الكتاب

وكان الذي عقد صلح الماء مع المسلمين أحد أبناء البيوتات من آل قارن
 واسمه دينار وبه سمي الماء الواحد ماء دينار وكان سبب صلحه ان أحد ابطال
 المسلمين وهو سماك بن عبيد العسي أسره عقب فراره من وقعة نهاوند ثم من
 عليه بالاطلاق فعرف له هذا الجميل وطلب منه أن يقده الى الامير ليصلحه على
 بلده فقدمه الى حذيفة فكتب له حذيفة ذلك الكتاب وحمله على عمله فوفى
 للمسلمين بالمعهد وأحسن الحوار وكان محتلف الى الكوفة كلما كان عمله تاما للعامل
 الكوفة فاحترق اطلاق المسلمين أيام الفتح وعرف أحوالهم ووقف على سيرتهم

ولما كان من أهل الكوفة ما كان من الانشقاق والخروج على المال ومناذرة الخلفاء قدم عليهم دينار في خلافة معاوية فقام بالناس في الكوفة فقال
يا معشر أهل الكوفة أنتم أول ما صرتم بنا كتم خيار الناس فميرتم بذلك
زمان عمر وعثمان ثم تعيرتم وفشت فيكم خصال أربع: بحل وخب (أي خداع)
وغدر وضيق (الشك والردد) ولم يكن فيكم واحدة منهن فرمقتم فاذا ذلك في
مولدكم فعلتم من أين أتيتم فاذا الحث من قبل النبط والبخل من قبل فارس
والعذر من قبل حراسان والضيق من قبل الأهواز

واما أحسن ما أراد هذه الحكاية هنا للمهاجرين الملاءمة بما قام في فكرهم ومد
ولعت بالتاريخ من جهة تعيير أخلاق أهل العراق من العرب دون أهل الشام في
أيام الخلفاء علي ومعاوية رضى الله عنهم ما ومن بعدهما وأسست الكلام على هذا
في محله ان شاء الله

والى هنا وقف بالعلم عن النسط في تاريخ فتح بلاد المعجم اكتماء بما أحملناه
من خبر انسياح الحدود الإسلامية في تلك البلاد والاطراف التي لمعوا في خلافة
عمر رضى الله عنه واما توسعنا في بعض الأحبار دون البعض الآخر التماساً لبعض
الشوارد التاريخية التي لها مناسبة بما علقناه وسنعلقه عليها من الشروح
والاستباطات التاريخية والدينية والاجتماعية ولو أوردنا كل أحبار الفتح وعلقنا
عليها الشروح وتبعنا المناسبات لاحتما لكثافة أكثر من مجلدين في مسيرة
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفي هذا من المستقيمة ما رعاي بطيئنا
كثيراً في إيراد هذا التاريخ على أن المائدة التي قصدها ما حاصلة ان شاء الله وفي القليل
أحياناً ما يبعث عن الكثير وفيما يأتي من هذا الحرء غنية عما تركناه والله وليّ الوفيق

باب

﴿ فتح الجزيرة ﴾

الجزيرة هي الجزء الشمالي من الاراضي الواقعة بين الهرات ودجلة وأما
الجزء الجنوبي فانه العراق وكلاهما كما من منارل العرب، من بكروربية ومضر
وكان رحيل العرب الى هذه البلاد من أزمان منطاوله قيل إنها تمتد الى مائة
سبيل العرم حيث رحلت هذه القبائل ونزلت هذا القسم من الارض وقاعدة
الجزيرة هي الموصل وقد كان فتحها وفتح تكريت في سنة (١٦ هـ) على يد عبد
الله بن المظفر وربي بن الأفكل وكان بعثهما سعد بن أبي وقاص من العراق وقيل
بل كان فتح الموصل على يد عيص بن غنم^(١) لما فتح الجزيرة بن سنة ١٨
وسنة ٢٠ وتحرير الحران ناد كرماني فتوح الشام كيف أن هرقل ملك الروم هاجم
المسلمين في حمص لعداسنقرارهم في بلاد الشام وأن عمر كتب الى سعد بن أبي
وقاص بان يمد بأبي عبيدة في حمص بالقعقاع بن عمرو ويشغل حيوش الجزيرة عن
العداسنقرارهم في حمص بالقعقاع بن عمرو ويشغل حيوش الجزيرة عن
العداسنقرارهم في حمص بالقعقاع بن عمرو ويشغل حيوش الجزيرة عن
أبي عبيدة في حمص وقد طهر الروم وتفرقوا وحاصروا عياض لبعض مدن الجزيرة

(١) قد مر معنا كثيراً اسم هذا الفتح الكبير في هذا الكتاب لهذا رأينا هنا
مناسبة فتحه للحررة ان تذكر شيئاً من نسبه وسيرة وهو عيص بن غنم بن رهير
ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهب بن حنة بن الحارث بن مهران السري أوسع
وقيل أبو سعيد وابو عبيدة بن الحجاج بن عمه وذو قل معه اسم ومع حداء عرف
كما رأيت في هذا الكتاب وصار له فتح الجزيرة وولاية أبي عبيدة باسمه وتوفي سنة
عشرين وكان صالحاً فاضلاً شجاعاً سمواً لكرمه ردرك له كان يطعم
انه راده فداهد بحر طمحه وكل سلاماً من الله رضي الله عنه وارضاه

ثم لما بلغه شخوص عمر (رض) للجابية شخص لاسلام عليه هو وخاله وأبو عبيدة ومعظم الامراء فطلب أبو عبيدة من عمر رضي الله عنهما أن يعينه بعياض ففعل وأبقاه عنده ولما مات أبو عبيدة في طاعون عمواس سنة (١٨) استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوايته عمل أبي عبيدة وهو حمص وقسربن وأضاف اليه الجزيرة وأمره بالمسير الى فتحها فسار ومعه من القواد ميسرة بن مسروق العبسي وسعيد بن عامر بن حذيم الحمصي وصفوان بن المعطل السلمى ويقال وحالد بن الوليد والاصح أن حالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة

وقد تضاربت الروايات في زمن مسير عياض الى فتح الجزيرة وفي هل سار من قبل سعد وهو في العراق أم من قبل أبي عبيدة والصحيح الذي يستنتج من مجموع تلك الروايات هو ما ذكرناه

وكان فتح الجزيرة كله صلحاً ومنه ما كان لعدو قتال قليل وأهم الملاحم الى فتحت هي الرقة والرها (أوزفا) ونصيبين وحران وسيساط وسنجار وقرقسيا (وكان فتح هذه على يدي حبيب بن مسلمة الفهري) وسروح وحسر ومنح والموصل وآمد وغيرها وهكذا حتى بلغ عياض نادية الشام عرباً وأرمينيا وكردستان شرقاً ثم دخل الدرب^(١) فبلغ بدليس (نليس الآن) من كردستان وجارها الى حلاط وانتهى الى العين الحامضة ثم عاد فصم صاحب بدليس خراج حلاط ثم عاد الى الرقة والصرف منها الى حمص ومات سنة ٢٠ هـ على عمر مكانه سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث الا قليلا حتى مات فولى عمر عمير بن سعيد بن شيبان البصري أحد لآوس وفيل وهو عمير بن سعد بن عبيد وقتل أبا سعد

(١) قل في التوس بدرت باب اسكة لواسع والباب الاكبر وكل مدخل الى

لرواه هو هو بقصود قولهم درب أى دخل الدرب

يوم القادسية

فتح عمير عين الوردة ويقال لها رأس العين وهي مجتمع الميون التي يجري منها نهر الخابور ويصب في الفرات ثم سلك الخابور حتى أتى قرقيسيا وقد نقض أهلها ما فتحها وصالح أهلها على صلحهم الأول ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً ولم يلق فيها كيداً حتى بلغ النجف وألوسه وهيت فوجد سعد بن عمرو بن حرام الانصاري وقد دشه أمير الكوفة ليغزو ما فوق الابرار فلما اجتمع عمير وسعد صالح عمير أهل هيت وانصرف الى الرقة

وكان عياص بن غنم رضى الله عنه أعطى كتباً في الصلح لأهل الجريرة وقد تقدم معاني أو آخر باب فتح بلاد المعجم مناسبة الكلام على العمران في عصر عمر ان من تلك الكتب ما اشترط فيه على أهل الدمة اصلاح الطرق والجسور وهما نحن ننقل هنا كتاباً منها كتبه لأهل الرها وهو بنصه عن فتوح البلدان (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من عياص بن غنم لاسقف الرها انكم ان فتحتم لي باب المدسة على أن تؤدوا الى عن كل رجل ديناراً ومئتي قح فانتم آمنون على أنفسكم وأهالكم ومن تبعكم وعليكم ارشاد الصال وإصلاح الجسور والطرق ولصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيداً

باب

فتح مصر ورقة

كان عمرو بن العاص شديد التطلع الى مصر راعياً فتحها لانه حاءها مرة في الجاهلية ورأى من ثروة أهلها وسهره أمرها ما أضمه في فتحها فقدم عمر

ابن الخطاب الجابية في سنة (١٨) اختلى به و فاتحه بما في نفسه وهو ن عليه أمر مصر
ورغب اليه أن يوايه فتحها فتردد عمر رضي الله عنه في الأمر لأن جيوشه متفرقة
في الشام والحزيرة وفارس تكافح دوله الفرس والروم فسار إلى به عمرو حتى
استرضاه وأذن له بقصد هاجره معه أربعة آلاف مقاتل كلهم من عك وقال له سر
وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي إن شاء الله تعالى فإن أدركك كتابي
وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف
وإن أتت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره
فسار عمرو بن العاص ووافاه كتاب عمر يأمره فيه بالانصراف فلم يفتحه
حتى دخل أرض مصر وسيأتي الكلام على هدا في سيرة عمرو ثم تقدم عمرو حتى
بلغ الصر ماء فقاتله بها الروم نحو أس شهر فنهزمهم وتقدم إلى القواصر ولا يدافع إلا
دفاعاً حقيقاً ثم إلى ثلثين ثم إلى أم ديين ثم مصر وأطاع عليه الفتح فاستمد عمر فأمدّه
بأربعة آلاف ثم استمدّه مرة أخرى فأمدّه بأربعة آلاف آخرين وكسب إليه أني قد
أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الألف الرير من العوام والمقداد
ابن الأسود وعنادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم أن معك اثني عشر
ألفاً ولا تلب اثنا عشر ألفاً من قله

كاتب القنط في مصر يكرهون سيادة الروم ويودون التخلص منها ولو
لسيادته المسلمين فلما لمع عمرو مصر وظهر بجود الروم تواطأ على صلحه المقة وفس
مع قومه وصالحوه على شئ معلوم ومدان تم الصلح شخص عمرو وبخده إلى
الاسكندرية وكان فيها جمع كثيف من الروم حاصر هامة طويله ثم أهداه غنوة
وكتب بالسم إلى عمرو واستغرت قدمه في اللاد أحد في تعليم شؤونها وترتب
حراجه وترتب سب الراحة والأمان برأه لها ومارال واليا عليها حتى عرله

عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد رأينا ان نرجي تفصيل الكلام على فتح مصر وجغرافيتها وحالتها الاجتماعية على عهد ذلك الفاتح العظيم عمرو بن العاص الى سيرته التي نوفيها حقها من البيان ان شاء الله

لما استتب لعمر والامير بمصر سار الى بركة وتسمى قديماً انطابلس وهي واقعة بين مصر وطرابلس العرب ومن فرصها الشهيرة بنغازي مصالحة اهلها على الجزية وسار الى طرابلس الغرب ففتحها عنوة وكتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب . اما بعد انا قد بلغنا اطرابلس وبديها ودين افرقياء^(١) تسعة ايام فان رأى أمير المؤمنين ان نأخذ لنا في غزوها فعل فنهاه عمر فولى على بركة عقبة بن نافع الصهري وعاد ورماد كرمادك في سيرته بيان أطول ان شاء الله انتهى ما أردنا ان نأخذ من أخبار الفتح في خلافة عمر (رض)

باب

تعمية الجيوش وراعاة القواد

وديوان الحسن

وعندنا فيما سبق أن نورد فصلاً خاصاً في هذا الكتاب نبين فيه كيفية تعمية الجيوش على عهد عمر بن الخطاب وراعاة قواده وتقسيمهم في أساليب الحرب ووفاء بالوعداء فربما هذا الفصل لهذه العاية وليبيان أصول التحديد وديوان الجيش على عهده فبقول

(١) يريد نافرقياء تونس وهكذا كل يسمي لروما ثم سمها العرب بالاسم أصاً والطاهران احمرافين سمو الدار كاهم بالاسم بعد من قيل اسمها لكل اسم الحرة

اعلم أن العرب أمة حربية قل أن يثألها في ذلك العصر شعب من الشعوب في الشجاعة والاقدام والتعود على أساليب القتال لدأب أفرادها منذ نعومة الاطمار على الفروسية وتعلم فنون الحرب وأتلاهم للقتال وحبهم للمعارة التي تقتضيها حالتهم الاجتماعية وعوائدهم البدوية إلا أنه كانت تنقصهم الجامعة والعدة أسـ آلات الحرب فكانوا مع كونهم أمة واحدة من جنس واحد قبائل متفرقة الالهواء والمنازع يقاتل بعضهم بعضا ويثب بعضها على بعض ولم يكن عندهم من آلات الحرب والقتال وأنواع السلاح الا الرمح والسيف والدرع والسهم ولم يكن لعامتهم حط بالجيد من أنواع هذا السلاح امقرهم وربما كان أجودهم سلاحاً أهل اليمن لحصـب أرضهم وتقـدم بلادهم في الحضارة وعراقهم في الملك من عصور التبابعة ولذلك كان المرسى واقعة القادسية يشبهون سهام العرب بالمعارل لدقتها وسذاجة صنـها ولما جاء الاسلام جمع هذه الأمة على كلمته وصم قبائلها الى رايته فلم يلبثوا ان دت فيهم روح الاحتماع وشعروا بالحاجة الى الطاعة والالقياد والتكاتف والاتحاد وكان من ذلك ان حضدوا شوكة الدولتين فارس والروم لما دفعهم أبو بكر وعمر الى قتال الأثم وفتح الممالك وأطهروا في قتال حدود الدولتين من التمس في أساليب الحرب والتعود على الطعن والصر ب ما رأيت فيما تقدم من هذا الكتاب مما جعل النصر حليهم والقوة رائدـهم في كل مكان فمن ذلك أنهم كانوا لا يفتحون جـداً ولا يعمنون في داخل البلاد ما لم يحملوا وراءهم رداءً أي مدداً يحـي طهورهم وود من طريق الرجمة ولا يمكن العدو من أن يقطع على موادهم كما رأيت ذلك في وقعة اليرموك حيث كان رداءهم يزيد بن أبي سفيان وعنده سـير لجيش لي اضطجروا لقتال العلاء حيث قامت المسالـح من البصرة الى الالهوار يمد مصـها بعصا ويواصل بالمدد ذلك الجيش كي لا يقطع عليه الفرس

طريق الرجوع ويهلك مع جيش العلاء.

ومنهم من كانوا لا يحاصرون مدينة مالم يقطعوا عنها طرق المواصلات مع جيش العدو كما رأيت في فتوح دمشق حيث أرسل أبو عبيدة عشرة قواد ومعهم الجيوش فزولوا بين حبل ودمشق وأرسل ذا الكلاع بجيش فكان بين حصص ودمشق ولعث علقمة بن حكيم ومسروقاً فكانا بين فلسطين ودمشق ثم زحف هو وحالد بن يزيد بن أبي سفيان على دمشق وحاصرها حتى فتحها ثم سار منها إلى حبل.

ومنهم من كانوا يبدؤون العدو بالقتال في أطراف بلاده التي تلي البادية كي إذا أصابهم هزيمة تكون حزيمة العرب من وراءهم فلا يسع جيش العدو تتبع أثرهم واقتحام صحارى بلاده كما رأيت ذلك في عملهم باليرموك والقادسية وكانوا يجتهدون أن يحملوا هذه الوفائع الأولى كيرة عظيمة لتكون مقدمة للنصر وباعثاً على توهين شوكة العدو وإلقاء الرعب في قلوب جيوشه لهذا كانت وقعة القادسية واليرموك من أهم ما دون في تاريخ الحروب الإسلامية وكل ما كان بعدهما من النصر اعتمدت على كسر حدة الجيوش الرومية والفارسية وخصد شوكتهم واضعاف قوتهم في هاتين الواقعتين.

ومما راعتهم في إقامة خطوط الدفاع على طول البلاد إذا أراد مهاجمتها العدو كما صنع المثنى بن حارثة الشنماني في العراق حيث رتب المسالح من أوله إلى آخره بحيث ينظر بعضها إلى بعض ويمد بعضها ببعضاً ومنها ترقب الفرص واعتمادها كما صنع خالد بن قتيبة وسمي بالثاني والحيلة في الحرب توصلا للمع كما صنع ذلك عمرو بن العاص بدخوله بمسه على جيش لارطون بحجة أنه رسول من قبل المسامير ليقف من حال حياشه على ما لم يقف عليه بواسطة الرسل.

وكما صنع عادة بن الصامت في فتح اللاذقية باظهاره القبول عنها وحفره الاسراب
لاختفاء جنده فيها

ومنها اليقظة الدائمة لحركات العدو وسكناته والاستعداد لصد عاراته
كما كان ذلك لما حاول هرقل مهاجمة جيش المسلمين من جهة الجزيرة ووقف
المسلمون على خبره قبل أن يبدأ بشئ من ذلك فأدبرت عليه الجود من جهتين
من جهة الشام بقيادة خالد بن الوليد ومن جهة العراق بقيادة من ذكر
في محله من القواد حتى أوقفوه عن حركته ولم يتمكنوه من المهاجمة ولا الوصول
الى الجزيرة

ومنها توهينهم قوة العدو واشغال حيوشه بالحرب عن أن يمد بعضها بعضاً
عند الحاجة كما كان ذلك لما هاجم هرقل حمص واستنجد بأهل الجزيرة فاسرعت
القواد من العراق وشغلت أهل الجزيرة عن لصرة هرقل ريثما تمت هزيمته
وغلب عليه جيش أنى عبدة بن الحراح

ومنها براعتهم في سرعة اجتماع حيوشهم بعضها الى بعض عند وجود الخطر
الكبير ومطنة الخوف من علة العدو على حيوشهم اذا كانت متفرقة كما كان ذلك
في اجتماع الامراء على اليرموك بعد ان تفرقوا في أنحاء البلاد وإنما يسر لهم هذا
الاجتماع بمحافظتهم على حط الرجوع وعدم تمكن العدو من قطع طرق
المواصلات بين تلك الحيوش وبين الرّاء الذي هو جيش يزيد بن أبي سفيان
هذا وأشباهه من مكائد الحرب التي مر ذكرها في عصون أخبار الفتح كلها
تدل على براعة القواد المسلمين يومئذ وتقومهم في أساليب الحرب وأصول القيادة
على قواد جيوس لروم والفرس لاسيما الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان مع لعمده
عن مواقف الصال يصدر أو امره الى القواد في الاعمال الحربية وكيفية الهجوم

والدفاع على وجه يدل على انه من أعظم قواد الحيوش في العالم هذا فضلاً عما كان يوصي به القواد من الرفق وحسن المعاملة مع المملوكين وعدم التسايط بالأيذاء عليهم وبدوام اليقظة والسهو والرفق بحيوش المسلمين وعدم القائم في المهالك والترتب في الحرب والتصرف في أمور القتال الى غير ذلك مما صر بيان في هذا الكتاب ولا حاجة لاعادته هنا

وأما تسمية العرب للحيوش في إبان الفتح الذي مر ذكره في هذا الكتاب فقد بلغ الغاية في الترتب وحسن النظام والانتظام ونحن نذكر لك هنا ما لم يسبق معنا ذكره في هذا الكتاب من تعبتهم للحيوش في وفائهم الشهيرة وهي وقعة اليرموك ووقعة القادسية ومما تظاير لك مرتبهم في فنون الحرب ومكانهم من البصيرة في تسمية الحيوش التي تشتهر من كل الوجوه تسمية الحيوش في هذا العصر كالطلائع والمحررات (الكشاف) والميمنة والميسرة (الحماحين) والقلب والساقة والردء (المسدد) والرحل (المشاه) والركدان (الفرسان) وكان الغالب على العرب قبل الاسلام حب المبادرة والمهاجمة عند الالتقاء مع العدو وفصاروا في الاسلام يفصلون الرحف صفوة (كرادس) لقوله تعالى « ان الله يمحى الذين يقاتلون في سبيله صمًا كأنهم يدان مرصوص » وكان الامراء والقوادية اوتون في المرتب منهم الامير العام (المشير الآن) ويلييه حليسته (العراق الآن) ويلييهما امرء التعمية كأمير الميمنة واليسر والقلب وغيره (وهو الالوية الآن) ويلييهم حلة وهم (المير الايات الآن) ويلييهم مرء الكرادس (الصهوف) ويلييهم العراء ومرء لاعشار (الخاويش) ومسؤوله هم رؤساء امانته ومصلوا عن هذا فعد كان يكون مع الجيش اراد ليدى يرتاد الموضع مؤقفة يرول الجيش والتصي وأمير لاقباص في اي يسهى ايه حبه العذائم ونسمة التي والرحمان

والسكاتب والاطباء، لداوة الجرحي كما ترى ذلك كله مبسوطاً فيما يلي من ذكر تعبئة الجيوش في اليرموك والقادسية

روى الطبري في تاريخه أن خالد بن الوليد عتيّ جيش المسلمين يوم اليرموك تعبئة لم تعب العرب مثلاً فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص ومهاشُر حنبل بن حسنة وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وجعل على كل كردوس من هذه الكراديس قائداً فجعل القعقاع بن عمرو على كردوس من كراديس أهل العراق ومذعور بن عدي على كردوس وجعل غير هذين بضعة وثلاثين قائداً كل قائد على كردوس منهم عياض بن غنم القرشي وحبيب بن مسلمة القرشي وسهيل بن عمرو القرشي وعكرمة بن جهل القرشي وعدة مثلهم من فرس وأما من كان من غير قریش فمنهم ذو الكلاع الحميري والسمط بن الأسود الكندي وصرار بن الارور الاسدي وحارثة بن عبد الله الأشجعي واضراهم من صناديد العرب الدين نصرب صفحاً عن ذكر أسماءهم حملاً للاختصار وكان القاصي أبو الدرداء والقاص^(١) أبو سفيان بن حرب وكان على الطلائع قات أشيم الكماني وكان على الافاض عبد الله بن مسعود وكان القاري المقداد بن عمرو وكان من السنة أن تقرأ سورة الانفال عند القتال وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس ويحرض المسلمين على القتال

هكذا كانت تعبئة الجيش على اليرموك وأما على القادسية فرمما كانت أرقى من ذلك وأحسن نظاماً وترتيباً فقد ذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص قدّر

(١) في الساموس من من تأتي - قمه ولعله ها الذي يحمل أوامر الأمير إلى الصفوف ويأتاه بأحبارهم

الناس وعباهم بشراف كما أمره عمر (رض) فأمر أمراء الاجناد وعرف العرفاء على كل عشرة رجالا كما كانت العرافات أزمان النبي صلى الله عليه وسلم: قال الطبرى وكذلك كانت الى ان فرض العطاء وأمر على الرايات رجالاً من أهل الساقية وعشر الناس وأمر على الاعشار رجالاً من الناس ولهم وسائل في الاسلام ووتى الحرب رجالاً فولى على مقدماتها ومجنباتها وساققتها ومجرداتها وطلاتها ورجلها وركبائها فلم يحصل (أي من شراف) الابتعية فامراً أمراء التبعية فاستعمل زهرة ابن عبد الله بن قتادة بن الحوية من ملوك هجر فقدمه فحصل بالمقدمات من شراف حتى انتهى الى العذيب واستعمل على المينة عبد الله بن المعتم واستعمل على اليسرة شرحبيل بن السمط الكندي وكان غلاماً شاباً وكان قاتل أهل الردة معروف ذلك له (مر خبره في ذلك في سيرة أنى بكر) وحمل حليمة خالد بن عروة فطة وحمل عاصم بن عامر التميمي ثم العمرى على الساقية وسواد بن مالك التميمي على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المحردة وعلى الرحل حمال بن مالك الاسدي وعلى الركبان عبد الله بن دي السهميين الخثعمي فكان أمراء التبعية يلون الامير (أي بعده في المرتبة) والدين يلون أمراء التبعية أمراء الاعشار والدين يلون أمراء الاعشار أصحاب الرايات والدين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤس القبائل فال طبرى وبعث عمر الاطبة^(١) وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن ابن ربيعة الداهلي ذا النور وحمل اليه الاقباص وقسمه الى^(٢) وحمل داعيتهم^(٣) ورأى منهم سلمان الفارسي والترمذ هلال الهجري والكاتب ريان بن أنى سعيان

(١) جمع طب وهو جمع قلة ودان لان الاطباء يؤمّد قائلون مكبر يرسل مع الجيش ولو عدداً قليلاً لمداوة حرجى الحرب (٢) داعيتهم أي لى يدعو فى ديمهم وسلع العدو مطالبهم ورأىهم الذى رتاد لهم مواضع الدروب

وأنت ترى من هذا أن تسمية الجيش على عهد عمر بن الخطاب كانت واقية
بالفرض من كل الوجوه وما نحل أن تعبئة جيوش الدول المتقدمة يومئذ كالفرس
والروم كانت أرقى من تعبئة جيوش المسلمين وإنما كان الفرق بين الجيشين بالعدد
الحربية كما قدمنا مع ذلك فإن العرب لما خالطوا تلك الجيوش ورأوا ما عندها من
أدوات الحرب وعدتها كالأوهاق^(١) والمجانيق والسهلالم وغيرها من أدوات
الحصار وما شابهها نادروا إلى استعمالها في حروبهم معهم كما رأيت ذلك في
الكلام على حصار دمشق وبالطبع كما أنهم استعملوا أمثال هذه الآلات وقد
استعملوا أنصاف أنواع السلاح الجيد الذي كانوا يعمونه من هذه الجيوش ومن
ثم تكافأ المسلمون بالعوى الحربية يومئذ مع أعدائهم وإنما كانت تفضاهم جيوش
الفرس والروم بكثرة العدد وبفضلهم العرب بالشجاعة العربية التي فاقت حد
الوصف وأثقت العرب يومئذ في صلوب الأئمة كما رأيت ذلك في أخصار القمّح
يضاف إليه علم أمير المؤمنين عمر (رض) وبقظته وسهره الدائم على أمور المسلمين
وتعزيزه حانب الملك بسد الثغور وإعداد المراقبة وإقامة المسالح في الأطراف
إلى أنى من قبلها الخطر وأمره لأمال نادر أرزاق الجند ومواصلته بالاحار
وشحن الأماكن المحوطة بالحدود وإقامة الحرس على المناطير التي يوقدها البيران
لتحجّر عن الحدة التي يقبل منها العدو وبالحملة صرّفه العناية في كل ما يعود بالقوة
والعز على المسلمين ويرفع شأن الخلافة كما رأيت وتري ذلك في هذا الكتاب .
ونضاف إليه براءه القواد المسلمين وتفوقهم في أساليب الحرب واعتقاد المسلمين
بالميم الأحرى لدى كان يحب إليهم رت في ميادين الحرب وبيل الشهادة
من صفوف الأعداء وصبرهم على المسكاره وتحملهم لتطيف العس

ورضاهم بالكفاف من القوت واستخفافهم بجنود الاعداء قلو أو كثروا
واعتمادهم بالحصول على النصر الذي وعدهم الله اذ انصروا الحق وعدلوا
بين الناس

كل هذه من الاسباب التي رجحت جانب المسلمين على جانب الاعداء
ومهدت طرق الغلبة لجيوش العرب والدي وقر هذه الاسباب اعماها اجتماع
العرب بعد التفرق واتحادهم على كلمة الاسلام بعد التخاذل والانقسام كما عرفت
ذلك مما قاله عمر لله من ان وهو . انما غلبته وناى الجاهلية ما حتما عكم وتفرقنا .
وحسبك في مهاجمة الامة العربية لدولي العرس ولروم وإقداهم على التعلغل في
أحشاء المملكين القديمتين في آن واحد ومهاجمهم الي حامرت النفوس دليلا
لؤيد قول عمر بن الخطاب (رض) وشاهد آيشهد فصل الاسلام الذي جمع على
كلمته تلك القسائل المتفرقة الى ما كانت لحلم بالسيادة على الشعوب لولا ذلك
الاجتماع هذا وأما أصول الحنيدى عهد عمر (رض) وأعطيات الحمد وديوان
الحيش فالكلام عليه طويل وانما مختزئ عنه عما نأتى

الجهاد فرض على المسلمين يحتم عليهم حماية الدعوة والذب عن حورة
الاسلام الا انه من فروض الكفاية الى ادا قام بها البعض سقط عن الكل وعلى
هذه القاعدة بنى التحديدى الاسلام وكان أول كرو عمر بن مسعود ان الاس للجهاد
من أحاب كن حديا لخطى الهى والعمائم واستمر ذلك في ولده الى ما شاء الله
ولا يؤحد من هذا أن الحمد لله على هذا الوجه حة ارية بل هي باعتبار كوها فرصا
احمارية ولا طبيعة د محاب مسلمون عن هـ . المرض احبارهم عليه سند الحاجة
ركان أركر رضى الله عنه . اسرى من الناس في قس القى ويصرب في لمعانهم
للمارسهم ثلاثة أسهم سهوا لفرسه وسهله وثار حل - م ولا يفصل الخيل

بعضها على بعض وبقى الحال على ذلك صدراً من خلافة عمر (رض) أى الى سنة (١٥) حيث دون عمر الدواوين وفرض المطاء كما سترى في باب آثاره في الخلافة ولم يسوّ في قسمة النقيين الجند بل جعلهم على مراتب وطبقات باعتبار السابقة فقد روى ابن جرير الطبرى ان عمر لما فرض المطاء فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان ألقع أبو بكر عن أهل الردة ثلثة لاف ثلثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ومن ولى الايام قبل القادسية (أى الحروب الى كانت قبلها) كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام العيينة والعين وفرض لاهل البلاء (أى الدين عرف بالآؤهم في الحرب) البارع منهم العيينة وخمسمائة والعين وخمسمائة وفرض لمن بعد اليرموك والقادسية ألفاً ألفاً وكانت هذه الطبقات هى الاصل في ترتيب المطاء ومن جاء بعدهم من الطبقات ممن لم يشهد تلك المشاهد الكبيرة كان يلحق كل قوم منهم بأهل طبقة من تلك الطبقات يسود الروادى والرديف لعة التسع وقد فرض لهؤلاء الروادى على درحاتهم للمئتين منهم خمسمائة خمسمائة ثم للروادى الثلث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة وسوى كل طبقة في المطاء قوتهم وصعيمهم عربهم وعجمهم وفرض للروادى الربيع مائتين وخمسين مائتين وخمسين وفرض للنساء مثل ذلك أيضاً جعل للنساء الجند من الخمسمائة الى المائتين وجعل للصبيان مائة وعلى هذا الترتيب صبغت اعطيات الحدى ديوان الحيش وكان من أراد الالتحاق بالحيش بعد تدوين عمر (رض) الديوان يقيد في ديوانه على هذا الترتيب ثم كان على عهد عثمان رضى الله عنه ومن بعده يراد وينقص المطاء على مقتضى الظروف والاحوال كما سترى بعده وأما المعانم فقد صرب أحد عماله بالشام للفارس بسهمين وللراجل لسهم فأحاره

ويظهر مما تقدم ان عمر (رض) كان يسوى بين الجنود الاعاجم من الفرس والروم الدين بأخر اسلامهم وبين العرب كل منهم في طبقته باعتبار السابقة أيضاً بل ربما يميز بعضهم أحياناً بالعطاء نالها قلوبهم كما صنع ذلك مع سبياء الفارسي وقومه لما أسلم وأسلموا معه كما رأيت ذلك في خبر فتح تستر والسوس وكانت أصول اعطاء العطاء لاهله على ما في رواية ابن جرير الطبري هكذا يدفع العطاء الى أمراء الاسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادي العرب فيدفعونه الى العراء والقباء والاماء فيدفعونه الى أهله في دورهم ولما كلام آخر على تدوين الديوان والهيء وحكمه سيأتي في باب آثاره في الخلافة ان شاء الله



(علائق عمر مع الملوك)

كانت علائق عمر قبيل وفاته مع ملك الفرس حربية كما رأيت وتوفي رضى الله عنه وحيوشه تطارد يرد جردى بلاده وتدوح ملكه وأما علائقه مع ملك الروم فقد كانت سلمية واستقر بين دولتيهما الصلح بعد أنم عمر (رض) فتح الشام والجزيرة وحرث يده وبين ملك الروم المكاتات الودادية وذ كر مؤرحو العرب ان هذه المكاتات كانت مع هرقل ولكن لم يدكروا هل كانت مع هرقل الأول الذي اتزع منه عمر بلاد الشام أم مع اسه هرقل الثاني المعروف هرقل قسطنطين لان هرقل الاول توفي سنة (٦٤١م) الموافقة سنة (٥٢١هـ) وتولى الملك اسه المذكور في هذه السنة أى قبل وفاة عمر (رض) سنتين وسواء كان حصل التواد والمكاتاة مع هرقل الاول أو الثاني فقد بلغ من توقى عرى العلائق الحسية يومئذيين الفريقين نكات تردد بينهما الرسل بالمكاتبة

وان أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزوج عمر بن الخطاب أرسلت
 صرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة الى
 أمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقداً نفيساً من
 الجواهر فأخذ منها عمر ورده الى بيت المال هذا على ما في رواية نقلها في كبر العيال
 وأما الطبري فذكر ان أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع يزيد عمر ونص رواية
 الطبري تصرف واحتصار

فالواترك ملك الروم العزو وكاتب عمر وقاربه وسأله عن كلمة يجتمع فيها
 العلم كله. فكتب اليه أحب الناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لها تجتمع لك
 الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها. الى أن قال بعد ان
 أورد مكاتبات أخرى جرت بينهما. ولعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب الى
 ملكة الروم بطيب ومشارب واحفاش من احفاش النساء ودسه الى البريد فأبلغه
 لها وأخذ منه وحاءت امرأة هرقل وجمعت ساءها وقالت هذه هدية امرأة
 ملك العرب ونلت نيتهم وكاتبها وكافتها وأهدت لها وفيما أهدت لها عقد فاحر
 فلما انتهى به البريد الى عمر أمره بانه سأكوه ودعا الصلاة جامعة فاجتمعوا ف صلى بهم
 ركعتين وقال انه لا خير في أمر أرم من غير شوري ثم أحرهم الخبر وسألهم عن
 أمر العقد فكلمهم أشار بدفعه لأم كلثوم. فقال ولكن الرسول رسول المسلمين
 والبريد يريدهم فأمر برده الى بيت المال وزد على أم كلثوم منه بقدر نفقتها

وقد ذكر الطبري هذه الرواية في أخبار رسة (٢٨) في عصور الكلام على
 عروا منير في البحر فترك غرر البحر فترك ملك الروم غروه وكانه
 وسيله وهو دليل على رهبة ذلك الخليفة العظيم الى دت في قلوب الملوك برأى
 هرقل في مسامحة حير من ماراته ففعل وكان من العامين

— باب —

(أهم الامارات في عصره)

أهم الاحداث في خلافة عمر رضى الله عنه طاعون عمواس وعام الزهادة فاما طاعون عمواس فاختلف في سنة حدوثه هل كانت سنة ١٧ أو سنة ١٨ وروى الطبري انه طهر في العراق وصر واستقر بالشام وفك الناس فكاكاً دريما ومات به في الشام عدة من اعلام المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح ووماذ بن حبل ويزيد بن أبي سفيان ولما اشتدت على الناس وطأه خطب الناس عمرو بن العاص فقال . أيها الناس ان هذا الوح ادا وقع فاعايشتمل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال ثم حرح وخرح الناس فتهرقوا في الجبال ورفعه الله عنهم

وروى الطبري عن ابن عباس ان عمر حرج في تلك السنة عارياً وخرج معه المهاجرون والانصار فلما بلغ سرخ واهاه أمراء الجناد في الشام وأخبروه حبر الطاعون وأشاروا عليه بالرجوع فجمع الناس واستشارهم في الرجوع فنههم من أشار عليه به ومنهم من أشار عليه بالقدوم وكان ممن أشار عليه بالرجوع مهاجرة الفتح فأصبح وقد عزم على الرجوع فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفارأمن قدر الله قال نعم فرارأمن قدر الله الى قدر الله أرايت لو أن رجلاً هبط واديا له عدوتان (ضفتان) احدهما حصاة والاخرى جديبة أليس يرعى من رعى الحدة بقدر الله ويرعى من رعى الحصبة بقدر الله ثم قال لو عيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم حلاه ناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك اذا أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متحلفاً مع الناس لم يشهدهم بالامس فقال ما شأن الناس فأحبر الخبر فقال عدى من هذا علم فقال عمر فانت عبدنا الامس المصدق فماذا عندك قال

سمعت رسول الله يقول (أنا سقيم بهذا الرأب ساء ما يقدح في أطعموا إياهم من ثم
 به فلا يخرجوا من أرواكنهم) فقال عمر ففما هذا نصير لو أن الرأب فأنصرف بهم
 وأزال الطاعون وبلغ عمر ما أصاب الناس من كثرة الموت حتى كادت تصعب
 الموارث فقدم الشام ووزل الخابية وقسم الموارث وسدد الثغور واستعمل بدل
 من ما لو من المال كما سبى ذلك في الباب التالي وكانت هذه المرة هي المرة الرابعة
 التي قدم بها الشام ولم يأتيها بعد ذلك

وعلم أن طاعون عمواس كان عظيم الخطر على المسلمين وأنهم أكثر
 من عشرين ألفا وهو عدد يوازي نصفهم بالشام وربما يخوف من ذلك المسلمون
 يومئذوا يستشعروا الخطر من قبل الروم وفي الحقيقة لوثية الروم لهذا النص
 الذي أصاب جيش المسلمين في سورية يومئذ وهاجموا البلاد أصعب على
 الجيوش للراطة دقهم ولكن ربما كان اليأس تمكن من نفس هرقل فأقده
 عن مهاجمة المسلمين خصوصا إذا كان أهل البلاد راضين لسلطة المسلمين من راحي
 القلوب إلى سلطانهم الدادل وسيرتهم الطيبة الحسنة وبدون الاستعانة بهم
 لا يتيسر لهرقل مهاجمة البلاد لاسيما إذا أضفنا إلى هذا ملل القوم من الحرب
 واحلاهم إلى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم في كل مكان
 ودب الرعب من سطوتهم في قلب كل إنسان

وأما عام الرمادة فسمى بذلك لريح كانت تسمى ترابا كالرماد وأصاب الناس
 بالحجار محاجة شديدة وكان قحط عظيم أهلك الصرع والورع وعانى عمر (رص)
 بسبب ذلك الصب وآلى أن لا يأكل سمما ولا عسلا حتى يحبي الناس ويكونوا أيام

(١) اتحد المأخرون هذا الحدث ورجوع عمر إلى الحجار حجة على مشروعيه

سراد الخشب والحطب رحل إلى كل الرمن حتى فرغ من طبعه فبعث السويدي بها
 بمكة سنة ١٠٠٠ ووطب إلى ابن قاتل بها غلام نصر يارمين دارها ثم إلى عمر فقال
 يا أمير المؤمنين قد أرى الله يمرك وعظم أجرك فقدم السويدي ووطب من ابن وعكا
 من سمن النخلة إلى ابن قاتل ثم قال عمر تصدق بها قال أكره أن أكل أسرا فقال
 وقال كتب يعني شأن الرعية إذا لم يصيب ما أصابهم وكتب عمر إلى أسراء
 الأمصار يستغيثهم فبعث عمرو بن العاص الطعام إلى المدينة وبعث أمير الشام
 يارمها ثم راحلة عليها الطعام وقالوا أنه أبو عبيدة بن الجراح وهو خطأ لأن عام
 الرمادة كان بعد طاعون عمواس الذي توفي به أبو عبيدة بن الجراح ويدل ذلك على
 هذا إرسال عمرو بن العاص الطعام من مصر وإنما كان فتح مصر بعد الطاعون
 إذ كان عمرو بن العاص عام الطاعون بالشام ولما قدم عمر بن الخطاب لقسمه
 الموارث استأذنه بقصد مصر وأذن له وسار وكان ذلك سنة ١٧ أو سنة ١٨
 والذي دعا عمرو بن العاص لاختصار التبعة الموصلة بين النيل وبحر القلزم إنما هو
 عام الرمادة وقال بعضهم ومنهم ابن الأثير أن عمراً أصلح بحر القلزم وأرسل فيه
 الطعام وهو غير معروف وإنما أرسل الطعام في البر ثم استأذن عمر بحفر التربة
 ووصل بين النيل وبين بحر القلزم احتياطاً من مثل ذلك الحادث وتقريباً للمسافة
 بين المدينة وبين مصر وسنستقصي الخبر عن ذلك في سيرة عمرو بن العاص
 إن شاء الله تعالى

ولما اشتد الصيق على المسلمين استسقى عمر بالناس ودعا ودعا معه العباس
 رضي الله عنهما فمرحبا الله على الناس وأرسل عليهم من سماع رحمته السحاب
 النقال فسقت الأرض وألعت الهوس وانهرحت الأرملة ولحديث

لاستيفاء كلام طولي بن العلاء لا يحب الخوض فيه فليس جمع اليه من شأنه
في كتب الحديث

باب

﴿ التمهيد في التاريخ ﴾

(كتابة التاريخ الهجري)

لم يكن للعرب قبل الاسلام تاريخ يؤرخون به الا الحوادث الشهيرة عندهم
فانها كانت بمثابة التاريخ فكانوا يقولون حدث ذلك في عام الفيل مثلاً وولد فلان
بعد عام الفجار تكذا واهلم جراً واستمر ذلك في الاسلام الى مضي سنتين ونصف
من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى الى سنة ست عشرة من الهجرة وفيها
رأى عمر لروم وضع التاريخ لضبط الحوادث بعد اذ انتشر الاسلام وكثر الفتح
ومست الحاجة لضبط الشؤون والاعمال في الحكومة الاسلامية فجمع
الصحابه الكرام واستشارهم في ذلك وسألهم من أى يوم نكتب التاريخ فأشار
عليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه بان يجعل التاريخ من السنة التي هاجر بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ففعل

﴿ تدوين الدواوين وفرض العطاء ﴾

من الديهي ان حاجات الدولة تترقى وترقى العمران وامتداد السلطان رقة كانت
دولة الاسلام في خلافة أبي بكر وصدر آ من خلافة عمر في بادي الطهور
وسداجة البيعة وعدم اتساع السلطان ولم يكن لها من الدخل والخرج الا الصدقة
التي كانت تؤخذ من الاعياء وترد على الفقراء^(١) وأما المعام والى فكانت قليلة لم

(١) علمت من هذا الفصل وغيره حكم النبي في الاسلام ووجوه صرفه التي أناها

نخرج الخمسة التي سمتها المدينة الى صرف المنافع في رتب الشؤون الادارية
على اصول الدول التركية ومثل كمارين والروم وانما كانت السبلة مخصصة
الى الشؤون الحربية والصون العسكرية ولما توسع المسلمون في الفتح وانشروا

الكتاب الكريم وزيادة في الفائدة تشرح لك هذا حكم الصدقة ووجود الصرف التي
قررها للصدقة الاسلام ومنها تعلم ان الامة الاسلامية انما سجدت واعترفت وهوت
في صدر الاسلام بالعمل بهذا واشباهه من قواعد الاسلام التي ترمي كلها لمرص واحد
وهو سعادة المساكين الصدقة تؤخذ على السائمة من غنم وابل وهر يسبة معلومة
في كتب الشريعة لا محل لبسطها هنا وهي ليست كالتي من حق سائر المسلمين بل هي
والمشور التي تؤخذ من المسلمين لمن سمي الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله تعالى
(انما الصدقات للمفقر والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والعاملين
وفي سبيل الله وابن السبيل) قال ابو يوسف اما المؤلفة قلوبهم فقددهوا واما العاملون
عليها (يعني ولاة الصدقة) يعطيهم الامام ما يكفيهم من غير صرف ولا تقشير وبقية
الصدقة للمفقر والمساكين سهم وللعاملين وهم الدين لا يقدرون على قضاء ديونهم
سهم وفي اسماء السبيل المقتطع هم سهم يحملون به ويعاونون وفي الرقاب سهم في الرجل
يكون له الرجل المملوك أو اب مملوك أو أحم أو أحم أو أم أو أسة أو روحة أو حدة
أو عم أو عمة أو حال أو حالة وما أشبه هؤلاء فيعان في شراء هذا ويعان منه المكاتبون
وسهم في اصلاح طرق المسلمين في كلام طويل يرجع اليه من شاء في كتاب الحراج
وانما نقول هنا ان الامة الاسلامية لو عملت كالكتاب الكريم ولم يحد أولياء أمورها
عن هذا البهق القويم لما عرف فرد من أفرادها شقاء الحياة التي تعانيها الطبقة الدارلة
الآن وأي سريرة في العالم تقضي على الامة بقاء دس العاخرين عن وفاء ديونهم من
أفرادها وعاالة فقرائها ومواساتهم تقسم من مالها وأي سريرة في العالم تأخذ من الاعياء
قبلاً من مالهم لشترتيه الارقاء وتعاملهم أحراراً سعداء اللهم ليس غير هذه الشريعة
شرعة يحمل الناس في سعادة الحياة كلهم سواء وتريد المسلمين على التكافل والتصافر
والاحاء ولكن أصاعها أهلها خسرنا وكانوا من النادمين فانا لله وانا اليه راجعون

في الملك وكثرت مزارعها ونباتها وسقطت في مناحي العمران واستقرت على
من الخراج والطينة زيادة لا طاقة للحكومة وأمر الله بسقطها ولا يقل لهم
بشيء من ممتلكاتها وتوزع الاقطاعات (القرى) على أربابها المالكين الأصغر
وزيدوا على أصولهم وقدموا في قود حاسب دعاء عمر رضي الله عنه الصلابة
واستشارهم في كيفية تدوين الديوان فقال علي بن أبي طالب تقسم كل سنة
ما اجمع اليك من مال ولا عسك منه شيئاً وقال عمار أرى مالا كثيراً يجمع
الناس وإن لم يجدوا حتى يعرف من أخذ من لم يأخذ خشيت أن يستنصر الأجر
(ببسط أو تبين) : فقال له الوليد بن هشام بن العير قد جئت الشام فرايت
ملوكها قد دؤبوا دؤبوا أو جنداً واجنداً^(١) قدؤن دؤبوا أو جنداً جنداً فأجند
بقوله قد عاينته بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساء
قريش فأمرهم بتدوين الديوان ففعلوا والديوان هو دفتر أو مجتمع الصحف
والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل المطية كما في القاموس وتوسعوا بمسماه
بمد فاطلة وه على كل دفاتر الحكومة الادارية وغيرها ثم على المكان الذي يكون
فيه الديوان فسموه ديواناً

ولما كتبت الدواوين كتب ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية
واستمر كذلك الى عهد عبد الملك بن مروان في الشام والحجاج بن يوسف
عامله على العراق فقل عبد الملك في الشام الديوان الى العربية ونقله الحجاج في
العراق الى العربية وسببه كما نقل ذلك في فتوح البلدان ان عبد الملك بن مروان بلغه

(١) قال في القاموس الحد بالصم العسكر والاعوان والمدة وصف من الحلق
على حدة اه والعرب كانوا يسمون كل ناحية لها حد يقصون أروافهم به حداً ويقولون
حد قسرس وحد الاردن وغيرها وهي من ترتب عمر من الحطاب (رص) كما سترى

عن ابي عبد الله كذا في تاريخ الروم انهم اساءوا امر سليمان بن عبد الملك الذي كان الى العربية فساله
ان يخرج من خارج الارض ففعل ذلك وولاه الارض فلم يرضى السطرنجيني من ق
من عند ان عبد الملك بن مروان قدما لشرحوه كانه يخرجن على ذلك ففعل
وخرج من عنده كثيرا فاقبه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا العيشة من غير
هذه الصناعة فقد عطها الله عنكم

وكذلك فعل الحجاج في العراق الذي نقله الى العربية هو صالح بن عبد
الرحمن مولى بني عجم وكان يكتب بين يدي زاذان فروح الطاريسي كاتب الحجاج
ولما قصد نقل الديوان الى العربية بذل له مر دان شاه بن زاذان مائة الف درهم على
ان يظهر العجز عن نقل الديوان ويحسك عن ذلك فأتى ونقله والقصة طويلة مسترد
في سيرة الحجاج ان شاء الله

وانت لم ان قوام الدولة هو المال وروحها التي تختلج في جسمها فتدير حركته
هو الديوان ومع هذا فلما لم يكن العرب يومئذ في الدرجة التي تؤهلهم لادارة
شؤون الديوان على اصول الدول المترقية في الحضارة عهد الخلفاء بهذا العمل الى
الاعاجم من الفرس والروم ورضوا بكتابة الديوان بلغة الكتاب العربية عن لغتهم
مع ما في هذا من الذنن الطاهر وتريض أموال الدولة لتلاعب الكتاب وانما
دعاهم الى تسليم الدواوين الى الاعاجم وترتيبها على نحو ترتيب دولتي الفرس والروم
ضرورة التوسع في الفتح والترقي في مراقبي الحصار والخروج عن حالة البسداوة
الى حالة تسلم تقليد الاثم الراقية في وسائل العمران اذ لم يروا لهم ممدوحة عن هذا
الامر كما لم يروا ما نفع في الدين يمنعهم من مماراة الاثم في اصول الحصار والمدنية
واحد العلم البافع ولوعن شركي الفرس ومن البلاء ان الصق بعض البغهاء بعد
كل شيء من أمورنا الديوية بالدين وحره واعلى الأمة العمل بأي شيء نافع مادام

الخدم هو لم يأت بترتيب الخوض في النظمه من انشئ الدول الاوربية ان تكسح
 هذه الدول مما كانت النظمه اذ ظهرت عليه من الخطر ومثلها الخلال باليونان لمصر
 ونحو الروس للوقوف على القسط عليه وروح اهلالي الثورة الثورية من غير ما
 اكيد على نظام الجندية النمائية وقبول الاصلاحات الاوربية في البحرية
 والمسكرية والقضاء الخديفة البحرية وراى ان تولى من حياة الشخصية الخطر
 مع جنود البحرية غير من تولى من الملك طبعهم الدول الاوربية ومصير
 الدولة النمائية للزوال وهو شمر وعلو نفس وأقدام قل أن صدر مثله عن أحد من
 الملوك الا فيما ندر فمعهظمهم يحملون حياة الدولة والملك فداء عن حياتهم الشخصية
 ولا جرم فان لكثير من أفراد هذه الاسرة النمائية كثير من الايدي البيضاء
 على الامة وكل امرئ يذكركمعله وأجهل المؤرخين من يغتبط فضل الرجال
 لما سحت الفرصة لذلك الملك المقدام وأراد ابرار هذا العمل من القوة الى الفعل كان
 أول المقاومين له علماء الدين وفي مقدمتهم عطاء الله أفندي شيخ الاسلام في عصره
 خرضوا عليه العامة وأناروا عليه الصفات بحجة أنه يريد التشبه بالافرنج وما زالوا
 يكافونه مع البيجرية ويكافهم حتى تلبوا عليه وخلعوه ثم قتلوه وجرت بعد ذلك
 أمور يطول شرحها على عهد خلفه السلطان مصطفى والذي يليه السلطان محمود كان
 قصارها إهراق سيول من الدماء بعد ذلك السلطان محمود رحمه الله بما صرى عزيمته
 إرادته في الاصلاح وقصى على نظام البيجرية وأهلها شرقصاء وتالله ولم
 يفعل ذلك لما بقي لدولة آل عثمان باقية الى الآن اذ هي الآن على صحامة قوتها
 وترتيب حدها على النظام الجديد ومجاراته لأحسن جود الدول في فون الحرب
 قد غلست على أمرها وارتعت الدول الاوربية كثير من ممالكها الاوربية
 والافريقية فكيفها لو كانت على حالها القديم من ضعف الخديفة وفساد النظام

لا جرم أنها كانت ذهبت لا قدر الله مع الداهيين وأصبحت مثلاً في النارين ولو
مثل ساعته عطاء الله فدي هل بهذا أمر الدين ويريد نالشي المسلمين لا حابك
بالبراءة الى الله من ذنبه واستغفر الى ربه

على ان الدولة العثمانية حرسها الله قد قدت هذه القيود الثقيل وقبلى من
الاصلاح في أمورها السياسية وأمر الأمة المعاشية ما جعلها تدخل في مصاف
الدول الأوروبية وان كانت الأمة العثمانية لم تزل في دور الانحطاط وأما غير هامن
الدول الإسلامية كدوله مراکش مثلاً فاهلهم لم تزل الى الآن على ما كانت عليه منذ
مئات من السنين فليس لديهم انظام للهندية ولا للدائرة ولا للقضاء وليس عندها
مدارس تعلم الناشئين النون الحديثة والاصول الحربية وتكسب الأمة ملكات
العلم بحاجات العصر وترشد الدولة الى أسباب المصلحة والقوة والمال من هذا كله
هو زعم تحريم الدين لمثل هذه المصانع الدنيوية ومعاذ الله أن يكون الدين رائد
هالك الأمة والمال من ترى المسلمين ولو كشفت الأمة المرا كشية عن بصائرهما
حجاب العقلة وفامت دولتهما و احب الخدمة الصالحة فبذت عنها أو هام
الواهمين وتحرصات الحاهلين فأخذت محط من أصول المدينة النافعة لكانت
أحسن دول الاسلام حالاً وأعظم قوة لخلو بلادها من أهل الملل من غير
المسلمين الذين تعلمهم الدول الأوروبية في الممالك الأخرى ذريعة لمديدها الى
الشؤون الداخلية والتعرض للأذى للدول الإسلامية وتالله أن أمة يبلغ عددها
الثمانية ملايين كلهم من جنس واحد ودين واحد ولورقها الله سائساً عظيم المهر
عالي الهمة محباً للاصلاح يرتب شؤون دولته على نمط حديد ويصرف همته
في إعزاز شأن الملك لكانت أمة عريضة الجانب مبيعة الحباب وكان لها حبش
مظم يزيد عدده عن المصنف مليون يحمي دمارها ويرد العار عن ديارها ولو كن

أين من يسمع ويعقل ومن ينصف ويعمل
 هذا وأما فرض المطاء فإن عمر أمر بأن يحصى الناس بالديوان ويبدأ من ذلك
 بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن يليه من ذوي القرى ثم باهل السابقة
 والدين حصروا الفتوح على درجاتهم التي اختارها لهم عمر ثم بالفقراء والمساكين
 والنساء والأطفال كما هو مبين في مطايعه من كتب الأحاديث والتاريخ وقد
 أشربنا إليه في باب ديوان الجيش وقال قائل لعمر يومئذ أمير المؤمنين لو تركت
 في بيوت الأموال عتة لكون إن كان فقال كلمة ألقاها الشيطان على
 فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن يمدي بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله .
 طاعة لله ورسوله فهما عدتنا التي بها أفضينا إلى ماترون فإذا كان هذا المال ثمن
 دين أحدكم هلكتكم

على أن المطاء على ذلك الوجه لم يستمر إلا مدة الخلفاء الراشدين ثم لم تغير
 حال الدول وانتشر الاسلام وكثر المسلمون حصن الخلفاء المطاء من غير الخمس
 لطبقة الجند فقط على نسبة اختاروها لا على نسبة إلى كل شيء حصصوا لهذا قدراً
 مخصوصاً من التي يختلف باختلاف الدول واستأثروا بالباقي والخمس لانفاقه في
 وحوله المصالح العامة لأن المطاء كان يعطى للمسلمين باعتباره في أخذوه
 ليسوفهم إذا كانوا كلهم حدوداً محاربيين فاتحين ثم لما حصصت الخدية لطبقة
 مخصوصة من الناس تغير نظام العطاء أيضاً واصطر الدول بحكم الضرورة لافساد
 الأموال وادحارها في بيت المال لانفاقها على المصالح الأخرى التي تقوم بها
 الدول وتقتضيها أنه الملك هذا تقطع الطر عما حصص منها الإلحاق على ترف
 الدولة وشبهوات الملك لا بد هذا تابع بالطبع لحال الملوك من عفة وشره
 وامتسك ويدل

وأما الكلام على النبي الذي هو أصل المطاء وعلى حكمه وحكم الخمس وما هو
وحكم الجزاء أو الحزبة المستثناة من الخمس إلى غير ذلك مما يتعلق بهذا البحث
فبسط في كتب الفقه وكتب التفسير المطولة فليرجع إليه من أحب
وانما زيادة في الفائدة نقول هنا إن النبي هو كل ماصح عليه العمد ولم
وضع الحرب أوزارها وحكمه أن يرفع منه الخمس إلى الإمام ليقسمه بين أهله
الذين نص عليهم القرآن والباقي يوزع على الجند القاطنين بالبلاد والمرابطين في
النغور والقائمين على حراسة الدولة إلا الحرية فإياها استثناة من حكم الخمس أي
لا يرفع منها الخمس بل تعطى للجند القاطنين بحماية أهل الدمة وحراسة البلاد
واعلم أن الإسلام هو أول شريعة نصت على مصرف النبي أي وحوه
الصرف والاتفاق من أموال بيت المال ووضع ما يعرف الآن (بالبودجه)
ومعناها تقرير وجود المقاتل السنوية للحكومة فقد روى الطبري في تاريخه
عن ابن عباس قال لما فتحت القادسية ودمشق قال عمر للناس اجتمعوا
فاحصروني علمكم فيما آفأ الله على أهل القادسية وأهل الشام فاجتمع رأي عمر
وعلي على أن يأخذوا من قبل القرآن فقالوا (ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى)
يعني من الخمس (فله وللرسول) من الله الأمر وعلى الرسول القسم (ولدى
القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الآية ثم فسروا ذلك بالآية إلى تلها
(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الآية فأخذوا الأربعة الأحماس
على ما قسم عليه الخمس فيمن بدئ به ونبي وثلاث وأربعة أحماس لمن آفأ الله
عليه المعنى ثم استشهدوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى (اعلمتم من شيء قال الله
حمسه) فقسم الأحماس على ذلك واحتج على ذلك عمرو علي وعمل به المسلمون بعد
هذا ما ذكره الطبري وأما كان عمل المسلمين بذلك مدة الخلفاء الراشدين

وأما من يليهم إلى واسط الدولة العباسية فقد عملوا بهذا بما وصل إليه الامكان ثم لما توسع أمر الدول وتبسط الخلقاء في مناحي الحصار أخذ يتغير ذلك الترتيب كما علمت هذا مما تقدم وربما بدأ هذا التغير في عهد ولاية معاوية على الشام كما ستري في قصته مع أبي درفيما يلي من هذا الكتاب

ترتيب العمال

(وتقسيم الولايات)

لما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كانت الحرب قائمة في الشام وكان الامراء من علمنا مما تقدم في محله يحمل اماراة ما يفتح من الشام إلى أنى عبدة وجعل اماراة الحرب في كل جهة لأمر محصوص يحمل اماراة الحرب في دمشق ليزيد بن أبي سفيان و اماراة الأردن لشرحبيل بن حسنة و اماراة فلسطين لمروان العاص وقد مر تفصيل ذلك و ياباه إلا أن الامارة العامة كانت لاني عبده بالحجارة والصلح وكل ما يتعلق بامور الحرب السياسية كان منوطاً به ولما تم فتح اسام واستقرت فيها قدم المسلمين أنقيا عبدة أمير أعاماً على الشام وحمل مقره حصاً وأضاف إليه حمد قسرين ثم أصيب إلى هذا القسم جزء من الحرية لما فتحها عياض بن عمير وولى حمد قسرين بعد وفاة أنى عبدة ثم حمل دمشق حمداً وعليها يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية بعده ثم حمل الأردن كدناك حمداً وفلسطين حمداً وقسمه إلى قسمين أحدهما حاصرته ايلياء والآخرة حاصرته ارملة وقد مر الكلام على ذلك فلاحاجة للتفصيل والمراد من الحمد هو أنهم كانوا يسمون كل ناحية بأحمد يقتصون اراهم بها حمداً فدل أن من يولوا ولاية فسيه متهوون حمد قسرين ويسمون الولاية أيضاً كوره حمد ازر وروى اصرى و حمد سنة (١٧هـ) ن عمر لم جاء الشام في هذه السنة رت اشواتي واسون

(أى الجنود التى تنزرو فى الصيف والجنود التى تنزرو فى الشتاء) وسدّ فروج الشام ومسالحها^(١) وأخذ يدور بها واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كل كورة (أى على السواحل جميعها سواء كانت نالعة لكورة دمه شق أو غيرها) وجعل أمان عبيدة على حصص وحالدين الوليد تحت يديه على قسرين وعلى دمشق يزيد بن أبى سميان وعلى الأردن معاوية (بعد شرحبيل) وعلى فلسطين علقمة بن مجرّز وعلى الاهراء^(٢) عمرو بن عبسة وجعل على كل عمل عاملاً فقامت مسالّح مصر والشام والمراق على ذلك الترتيب الذى رتب به عمر (رض) الى عهد العباسيين

وذكر فى فتوح البلدان أن معاوية كتب الى عمر بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل فكتب اليه فى مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على ماطرها^(٣) واتخاذ المواقيد لها

(١) تقدم معنى المسالّح والمروح فى حبر فتوح سعد بن أبي وقاص

(٢) المحارون التى تحرق فيها الحبوب وغيرها من أموال النى

(٣) الماطر وتسمى لهذا العهد الماطير هى قبات مبنية على رؤس الجبال العالية

بين كل بلد وآخر بحيث يعارب بعضها من بعض ويشرف بعضها على بعض وكان مقام فيها حراس يوقدون النار عند ما يرون اقبال العدو من جهةهم فيوقد حراس المضار الذى يابهم كذلك وهكذا حتى يصل الخبر الى المدسة أو الثغر أو المساحة فى زمن فايل فيسرعون لامتداد الحية التى أقبل منها العدو ولم ترل آثارها قائمة الى الآن فى كسير من الحياء سوريه وقد شهدت نفسى الماطر القائمة على الحال من دسوق وحماة الى ما فوق ومعظم الموحود من بناها الى الآن هو من آثار الدول التركمية والكردية والحركية سيدها فى أيام الحروب الصليبية وعواها اعتناءً عظيمًا جداً

وكذلك كان تقسيم العراق وفارس فكان ذلك الوجه قسمين قسم تابع
 للبصرة وعليه عتبة بن غزوان ثم المغيرة بن شعبه ثم أبو موسى الأشعري وقسم
 تابع للكوفة وعليه سعد بن أبي وقاص ثم عمار بن ياسر ثم غيره وغيره وكانت عماله
 عامل هذا القسم أي قسم الكوفة كما في رواية ابن جرير الطبري تمتد ما بين الكوفة
 وحوار والموصل وما سبذان وقرقيسيا إلى البصرة ثم امتدت هذه العمالة حتى
 تجاوزت فارس العربية وكانت تقسم إلى أقسام عليها أعمال من قل عامل الكوفة
 وكانت مساحها وثورها مما يلي الجزيرة وأرمينا الموصل وقرقيسيا وثورها
 فيما يلي فارس تالعة لتقدم الجيوش في الفتح وتجاوزها حدود البلاد الإسلامية بالطبع
 وكان يتبع كل أمير حرب كاتب وقاص يقصي بين الناس كما رأيت في باب
 تعبئة الجيش وغيره ويتبعه أمير يسمى عامل الاقباض يحصي العاثم فاذا قمت
 البلاد وتقررت الجباية كان عامل الخراج وكان عامل الاقباض في حرب فارس
 السائب بن الأقرع وعامل الخراج الممان بن مقرن ثم غيره وغيره وقد مر بيان
 ذلك في غصون أخبار الفتح والحاجة للمزيد

وأنت ترى أن ذلك الترتيب هو عناية في إصابه المرض ولما بطر في تنظيم
 شؤون الدولة بالنسبة لذلك العصر وربما تخالفاً (رض) في نصه نحو فارس والروم
 ولعله بدئ سادحاً ثم ترقى بترقي المسلمين وتقدمهم في الفتح في خلافة عمر (رض)
 بحيث تم هذا الترتيب في سنة (١٧) كما رأيت

(صرب القود)

كانت العرب قبل الإسلام تتعامل بالمقود الفارسية والرومية من الدرهم
 والدينار واستمر ذلك إلى أن جاء الإسلام وصحى صدره من خلافة عمر وكان
 الشائع استعماله بينهم يومئذ الدرهم البعلية وهي درهم فارس وكان وزن هذا الدرهم

زنة مثقال من الذهب فلما كانت سنة (١٨٠ هـ) ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكاها بأعيانها غير أنه زاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله وجعلها في أواخر خلافته كل عشرة دراهم زنة سبعة مثاقيل كما ذكر ذلك المقر يزي في النقود الإسلامية إلا أن عمر (رض) لم يصرب الدينار وإنما ضربت الدنانير على عهد عبد الملك بن مروان. وأما نسبة الدرهم إلى الدينار فقد كانت تختلف باختلاف الزمان كما سنذكر ذلك في سيرة عبد الملك بن مروان إن شاء الله. وأما نسبة الدرهم والدينار إلى نقود هذا الوقت لا باعتبار الوزن بل باعتبار قيمة المقومات من كل شيء بالدرهم أو الدينار فذلك يحتاج أولاً إلى الوقوف على نسبة حقيقته لأحوال العمال بالدرهم في صدر الإسلام ليقاس عليها مثلها في هذا العصر وتعلم القيمة الاعتبارية يومئذ للدرهم وتقاس على مثلها في هذا العصر وكل ما قبل من هذا القيل إذا لم يثبت على ذلك التقدير الصحيح فحس ونحمين ليس من الحقيقة على شيء لأن الدرهم من المصدة في القيمة إلا أن درهما ساوي كل أربعين درهما باعتبار الوزن ديناراً والدارير أربعين مثقالاً و١٢ فرنكاً و١٦ فرنكاً وهذه القيمة درهما كانت في بعض بلاد أوروبا ولهذا المهدية أجرة عاملين أو ثلاثة في بعض بلاد المشرق قيمة أحرار أربعة عمال إلى الثمانية من ذوي المهن لا ما يسمونه العامة بل البسيط بالدرهم والدينار لا يصح أن يكون قيمتهما الاعتبارية في صدر الإسلام كقيمتيهما الآن بل أعلى ودرهما كان لدينار أحرار عشرين عاملاً أو أكثر والهرق اسمه لا يعلم الآن تحقيق عمر " من ذلك الوقت وعسانا سوف نقول له نقود عمر عقيمة مائة من هذا القبيل فبسطها عند الكلام على النقود في سيرة عمر في خلافة عبد الملك بن مروان إن شاء الله

(وضع البريد)

البريد اسم للمسافة التي بين كل محطة وأخرى من محطات البريد وهي أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً ثم أطلق على حامل الرسائل وتوسعوا به الآن فأطلقوه على أضيبار (أكياس) البريد وأصله على ما يقال من وضع العرب والدي رتبة دارا ملك الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد ثم استعمله الرومان وغيرهم من الأمم وربما أتى على شيء من تفصيل خبره في غير هذا المحل

ثم استعمل في الاسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد وهو منفصل عن سلطة الولاية مكلف بخلاص أعمال البريد ونقل أخبار الولاية والبلاد لدار الخلافة وإن يكتب المهم من هذه الأخبار للخليفة ليكون على علم من أحوال الرعية والولاية وقد كانت هذه الوظيفة تارة لصاحب البريد وتارة منفصلة عنه يسمى عاملها صاحب الأخبار واستقصى الكلام على هذا عند وصولنا إلى الكلام على دولة الخلفاء من بني أمية وبني العباس إن شاء الله

وروى المؤرخون أن أول من وضع البريد في الاسلام هو معاوية بن أبي سفيان ولعله هو أول من رتبته على أصول مروفة ووضع له الخيل وأقام له المحطات والآل البريد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل معاوية إذ قد جاء ذكره كثيراً في سيرته ومنه ما مر في فصل علاقته مع الملوك عند ما قال عن الرسول الذي أتى بالمقد هدية من امبراطورة الروم أنه يريد المسلمين وفي مناقب عمر الامام ابن الحوزي أن عمر لما أمد نصر بن حجاج عن المدينة إلى البصرة بسبب تغرل بعض النساء به قلق نصر للرحوع إلى المدينة وكتب عمر إلى عامله بالبصرة كتاباً فكثرت رسول عنده أياماً ثم نادى مناديه ألا إن يريد المسلمين يريدان يخرج من كانت له حاجة فليكتب وكتب نصر بن حجاج كتاباً ودسه في الكتب إلى أمير المؤمنين

فمن هذا الخبر وغيره يستدل على أنَّ أول واضع للبريد في الاسلام هو عمر
ابن الخطاب الا انه ربما لم يكن على الوحه الذي كان بعد ولم يبلغ من الاتقان مبلغه
في عصر الامويين والعباسيين وانما هو بدى ساذجا ثم ترقى بترقى الرمان
﴿ تمصير البصرة والكوفة ﴾

مصرت البصرة سنة (١٥٥ هـ) عن يد عتبة بن عروان بامر أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب وكان في مكانها محل يسمى الخريبة تقيم فيه مسالح كسرى لتمنع
العرب من العيث ومصرت الكوفة سنة (١٧ هـ) عن يد سعد بن أبي وقاص وكان
البناء أولاً بالقصب فذب الحريق في الكوفة والبصرة فارسل سعد الى عمر نفراً
يستأذونه في البيان باللبس (الطوب) فقال اعملوا ولا يزيد احدكم على ثلاثة أليات ولا
تطاولوا في البيان وكتب الى أهل البصرة بمثل ذلك فخططوا المباح (الشوارع)
على عرض عشرين ذراعاً وطول أربعين ذراعاً والازقة سبعة أذرع والقطائع
ستين ذراعاً ونوا المسجد الحامع في الوسط بحيث تنفرع الشوارع وكان أمرهم
عمر بتخطيط الشوارع على ذلك الوحه الا انه لما اردت السكك في المدينتين
أحلوا بذلك الاصل ولم يراعوا حاله التظيم فتقدموا في الساء في الشوارع
والساحات حتى اذرحمت الممارل وصاقت الشوارع واحتلت أصول التنظيم التي
وضعها لهم عمر رضي الله عنه وانما كان الباعث على ذلك عدم القوم عن أسباب
الحصارة وعدم مراعاتهم لاصول التأني في البيان لقرب عهدهم بالبداء وقد
عقد العلامة اس حلدون فصلاً بهذا الصدد في مقدمته الشهيرة أغما عن الكلام
فليرجع اليه من شاء

(التوسعة في المسجدين)

في سنة (١٧ هـ) حج عمر (رض) في انسحدا الحرام ووسع فيه وهدم على

قوم أبو ان يبيعوا دورهم ووضع اثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها واستأذنه أهل المياه التي على الطريق بين مكة والمدينة في ان يبنوا منارل في هذا الطريق فأذن لهم وشرط عليهم ان ابن السيل أحق بالظل والماء . وكذلك صنع بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هدمه ووسع فيه وأدخل دار العباس فيما زاد فيه (حملة مأثر)

ومن مآثره ان أقام دور الضيافات وأدر عليها الارزاق . عن ابن سعد قال اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر ولربيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة في الطريق ما يصلح من يقطع به وفي بعض الروايات انه فعل مثل ذلك أيضا بالطريق بين الشام والحجاز (ومنها) انه مريوم بحبه الشام على قوم من الحدميين فعرض لهم شيئا من بيت المال . معهم بذلك عن التكفف بين الناس (ومنها) أمره عمرو بن العاص بمصر بحفر الترع التي وصلت بين النيل وبين البحر الاحمر في عام الرمادة واستمرت كذلك الى عهد الفاطميين ثم ردمت كما ستري تفصيل الخبر عنها في سيرة عمرو بن العاص (ومنها) ما تقدم ذكره من حفر الترع واقامة الحسور في العراق العربي والعراق العجمي (ومنها) ما تقدم ذكره أيضا من وضع الديوان واقامة الكتاب له وفرض العطاء للعساكر والمجاهدين وتقسيم الجيوش وترتيبها كما استراه مفصلا في سيرة سعد اس أني وفاض رضى الله عنه وغير ذلك من الآثار الخلية التي تمكن من إيجادها ذاك الخليفة العظيم مع اشتغاله بالفتوح وانصراف همته لتوسيع نطاق سلطانه الاسلام حراة الله عن هذه الأمة حبرا الحراء وربما أتى على احوال آخر من آثاره عدد كراؤاثل في غير هذا الباب ان شاء الله

❦ باب ❦

(أفئدة ومواقف)

❦ سياسته وعدله ❦

كانت العرب على جانب من خشونة الطباع وجهاء الخلق والاعتزاز بالعشيرة والأنفة عن الخضوع لحكم السلطان يعلمه من وقف على تاريخ هذه الامة ولما جاء الاسلام هذب أخلاق فريق منهم وهم الصحابة لمعاشرتهم للسبى عليه الصلاة والسلام ووقفهم على حقائق الدين وإشراب قلوبهم حب الايمان والعريق الآخر الدين لم يتمكن من قلوبهم لاسلام اقرب عهدهم منه بقى في نفوسهم شئ من آثار الحاهلية لا يسترعه الا تمادى الزمان لهذا لم يسع أنانكر الصديق رضى الله عنه الآن ياملهم بالقوة المزوجة بالرفق كما رأيت ذلك في سيرته وأجباره معهم أيام الردة ولما استخلف عمر رضى الله عنه وحد أن لا مناص له من أن يحذو في معاملة لهم بالشدة عند الحاجة حدوا أنى بكر خوف التروع الى الثورة والحروح عن حدود الاسلام وقيود الاحوة والرحوع الى العريقة والشقاق والعصية المصرة وقد كان رضى الله عنه شديداً نطمه فساس أولئك الافوام عزيد الشدة والارهاب لما كان يتوقعه من حصول الهب والدسائس ولولم يقابل شدته اعراقة في العدل وكرمه في بدل المال وحكمته في وضع الدواب في محله والعقاب في محله لما استقام له أمر الخلافة كما انه لو لم يستعمل مع العرب تلك السياسة لما استقام أمر المسلمين ولخيف من حصول متركة ترى تسكش لها أعصاب الاسلام كما حصل ذلك عند وفاته رضى الله عنه الا انه لم يأت عن تلك الهب من الصرد

ما يوازي الضرر الذي كان يتأتى عنها فيما لو حصل ذلك في أوائل خلافة عمر (رض) وإنما خف ضرر تلك الفتن بسد الاناسلام كان ملائكا كناف الارض والعرب كلهم تفرقوا في أنحاء البلاد واشتعلوا بامور الفتح وذاقوا ذلة الملك والسلطان وأسسوا ذلك الملك العريض الذي استحال ان تدك أساسه عواصف المتن في خلافة عثمان وعلى ومعاوية رضى الله عنهم وإنما كان الفصل في هذا العمر بن الخطاب الذي أخذ على الأمة سبيل النزوع الى الحاهلية الأولى ودفعها الى غمار الفتح وشغلها بمحاربة الأئمة عن محاربة نفسها ورباها على الخسوع لأولى الامر فيما لا يكون به حيف على البعوس ولا مساس بالدين ولا حجر على الحرية ولا تمييز بين الطبقات وهذا منتهى ما توصف به رجال السياسة من الفصل والدهاء والعلم بسياسة الأئمة وإحكام أمور الدول وحسب عمر انه كان كالشمس المشرقة على الآفاق لا تحفى عليه حافية من أمور الرعية ولا تهوته ظلم فينتصف منه أو مطالوم فيصمه حتى قيل ان علمه بمن بأى من عماله كان كعلمه بمن كان عسده لانه جعل عليهم عيوناً حيثما كانوا ينقلون اليه أخبارهم في معاملة الرعية حتى كانت أعمار الخبثات كلها عسده نأثيه بها الردصاح مساء^(١) وباويع العامل الذي تدرمه منه مائة أذى لاحد من

(١) هكذا حال الدول عسده ماسداً في سلم الصعود ومتى اسنت الى الهبوط اقامت عسدها هذه القاعدة رأساً على عقب فحصل الامراء العيون على الرعية لاعلى العمال يكونوا عسدها ولا تولى الرعية كهاى الحال الآن في ممالك الاسلام حيب لا يستطيع أحد ان يسكوا سلم العمال وسوء الاحوال حتى أوعد الولاد في اضم وساموا الناس سوء العذاب وحرروا العمال رايتسر أمر الدول لامية في سق وحرر واحد الملك وقوى عاها اءو وواو ح من سسرمه ناد تسكوى من حد احصه س ابحال نرجه في طابا اسسده راو في من ارصو سسجد لاء لاءو بية لاء سس ساسه على الممالك الاسلامية ترمى لاء من حصه محرر س سشروا سسكوما

الرعية أويهنفو هموة في شأن من الشؤون فانه لا يلبث أن يأتيه نذير عمر بال عزل أو التأنيب من حيث لا يشمر فلهذا مآلات رهبة القلوب وحافه العمال وتقادله الناس واستكانت لديه النفوس الماتية

أخرج ابن الحوزي في المناقب عن عمر بن مرة قال لقي رجلا من قريش عمر فقال لن لنا فقد ملئت قلوبنا مهابة . فقال . أفي ذلك ظلم . قال لا . قال فزادني الله في صدوركم مهابة . وأخرج عن عبد الله بن جبير انه سمع عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يحدث قال . مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبه .

وأخرج ابن جرير في تاريخه عن زيد بن أسلم عن أبيه أن نهر أم المؤمنين كلوا عبد الرحمن بن عوف فقالوا كلم عمر بن الخطاب فانه قد أحشانا حتى والله مانسطيع أن نديم اليه أنصارا قال فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر فقال أوقد قالوا ذلك هو الله لقد كنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ولقد أشددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك . وإيم الله لأننا أشد منهم فرقا (حوقا) مهمهم . وأخرج ابن عساکر هذا الحديث من طريق آخر وراد عليه قول عمر فإني المرح وقام يكي بحر ردائه يقول عبد الرحمن بيده أف لهم بمدك والظاهر ان عمر رضي الله عنه إنما استعمل مع العرب هذه الشدة لامله باحلاقهم الخافية

وتلصق بهم عار المحطاط الى دركات الصعة والدل واستسلامهم اعقيدة الرضا بالقضاء والصر على الصيم وومحصرهم لاء وأصبحوا يساقون بعض الاستعما كايود واصلد شاهي مرة أحراء لاء . لاء . كلام من هذا السيل علمت مه مرها في نظر العالم سمع من لاء وكسب لاء في صرهم الى هذا الحد فانا لله وانا اليه راجعون

وانهم ان تطاهر لهم بالايين فقد فتح لهم باب الادلال والتعجرف المعروف فيهم
يدلك على هذا ما رواه الحافظ ابن عساكر عن الاصمعي قال - كلم الناس عبد
الرحمن بن عوف ان يكلم عمر بن الخطاب في ان يلين لهم فانه قد أحافهم حتى أحاف
الانكار في خدورهن : فكلمه عبد الرحمن فالتفت عمر اليه فقال يا عبد الرحمن اني
لا أجد لهم الا ذلك والله لو انهم يعلمون ما لهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة
لاخذوا نوني من عاتقي والدي راد عمر هيبه في النفوس انه كان لا يراعى في الحق
كبيراً ولا يميل الى شريفاً ولا أميراً الا فيما يقضى به الضرورة السياسية وهذا فيما
لا يمس به حق من حقوق الرعية ومن هذا القبيل حكاية المشهورة مع حيلة بن
الايهم ملك عسان فانه لما أسلم ووفد على عمر بن الخطاب بأهله الملك وحشمه ليقاه
عمر بالترحيب وبما هو يطوف يوماً وطىء على إداره أعراني ممن بي فزاره
فصر به على وجهه فشكاه الاعرابي الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر حيلة وقال له
أما ان ترضيه وأما ان يصرك كما صرته فكبر ذاك على حيلة وقال ألا تفرقون
بين الملك والسوقة قال لا قد جمع بينكما الاسلام فاستم له الى القدر ثم أخذ
قومه وفرّ بهم ليلاً ولحق بالاميراطور هرقل بالقسطنطينية فارسل عمر من
يسترضيه فأبى الرجوع وهذه مرتبة من انصاف الرعية وافادتهم حتي من
الملوك لم يعلمها أحد غير عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن بدائع أخباره في
انصاف افراد الرعية من الولاة ما نقله في حرس المحاصرة عن أسس قال أتى
رحل من أهل مصر الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائد بك من
الظلم قال عدت معاداً قال ساقب اس عمرو بن العاص فسقته فحمل يصري
بالسوط ويقول أنا اس الا كرمير فمكتب عمر لي عمرو أمره بالتقدم عليه
ويقدم بانه عليه فقدم فقل عمر أين المصري حد السوط فاصرب فحمل

يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الاكرمين ثم قال للمصري ضمه على صلعة عمرو قال يا امير المؤمنين انما ابنه الذي ضربني وقد اشتفت منه فقال عمر لعمرو مدمكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً قال يا امير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني (يعني) المصري

هذا منتهى الانصاف للرعية والعدل بين طبقات الامة وبمثله علم الناس ان لا كبير فوق الحق ولا أمير الا دون الشريعة حتى نفسه رضى الله عنه فقد كان ينصف غيره منها ولا يمتتر بنفسه امام الحق والعدل الا كواحد من الناس فقد جاء في كنز العمال عن الشعبي قال كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة فقال عمر اجعل بي وببيك رجلاً . فحمل اريد من ثاب فأتياه فقال عمر أتيك اتحكم يساوي بينه وتؤتي الحكم . فلما دحلا عليه وسع له ريد عن صدر فرفشه فقال ههنا يا امير المؤمنين . فقال له عمر هذا أول جور حرت في حكمك ولكن اجلس مع حصصى فجلس بين يديه فادعى أي وأذكر عمر فقال زيد لا بي أعف لا امير المؤمنين من اليمين وما كنت لاسأله الا حد غيره خلف عمر ثم أقام لا يدرك زيد القصاص حتى يكون عمر ورجل من عرص الناس عنده سواء (وفيه) عن عبد الله بن عكيم قال قال عمر بن الخطاب . انه لا حلم أحب الى الله تعالى من حلم امام ورفقه ولا حلم أنص الى الله تعالى من حلم امام وخرقه ومن يعمل بالمعروف فيما بين طريه تأثيه العافية ومن يصف الناس من نفسه يعطى الظفر في أمره والدل في الضاعة أقرب الى البر من العذر بالمعصية وحلا هذا فقد كان رضى الله عنه حريص على ان لا يشكى منه ويرشد الى كل ما فيه راحة الناس وسلامة الامة وتلك طرق الخطأ أو جور حتى لمع به الامر ان كان كلما اجتمع اليه الناس من لامة ر أوجعته من كبار اصحابه يسأله عن سيرته من الناس ويستطلع

طلع ضائرتهم من حجة سياسته في الرعية ولا يأنى قبول النصيحة (ومن) ذلك ما جاء في كنز العمال عن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب قال في مجلس وحوله المهاجرون والانصار . ارايتم لو ترخصت في بعض الامور ما كنتم فاعلين وسكتوا فقال ذلك مرتين اولانا . فقال بشير بن سعد لو فعلت ذلك هو ما كنتم تقويم القدح } وهو السهم المموح قبل ان يراش ويصل (فقال عمر . اتم اذن اتم اذن) استحسنوا القولهم . وفي المواقب عن عبد الحبار بن عبد لواحد التموحي قال قال عمر (رص) وهو على المبرأ تستدكم الله لا يعلم رحل مني عيباً الا عابه فقال رحل نعم يا امير المؤمنين تدليل من الهريش وتجمع بين الادمين ولا يسمع ذلك الناس قال فادال بين بردين ولا جمع بين آدميين حتى اتى الله . وقوله يدل بين بردين أى يلدس ثم يصاوي بحيله ويلاس غيره (ودكر) بعض المؤرخين انه خطب يوماً فقال . ايها الناس من رأى منكم في اعوا حاحا فليقومه فقام رحل فقال . والله لو وحدنا فيك اعوا حاحا لقومناه لسيوفنا . فقال عمر . الحمد لله الذي اوحى في المسلمين من يقوم اعوا حاح عمر لسيوفه

الانبياء لم تألف على سبيل هذه الخطة وهي ان صحت فربما يكون من قبيل الخبر الاول لا خطبة . وانت ترى من هذه الاحمار الى آية درجة بلغت حرية الصائروا حب العدل بالمسلمين يومئذ ومهاتلم اهم انما سادوا بقول الحق وتعتق الحرية واستقلال الصائرا لا بالدل والجموع والتقييد بقيود العبودية الى ما تقيد بها قوم الاصرتهم بالهلاك وسودت عليهم لائم كما سودت العرس الان على ما ي مايو من المسامين التحدوار وضاء اولياء من دون الله فمدمواهم الى هوة لدمار و همروا من آتار ما كرم العظم لدار .

وفي كنز العمال عن سمع بن سهاب العمدي قال في سر من الخطب التي بها

الرعية إنَّ لعليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير وأنه ليس شيء أحبَّ إلى الله تعالى وأعم نفعاً من حلم إمام ورقيقه وليس شيء أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه

(ومن سياسته) في تقويم أخلاق الناس وحملهم على المحجة الواضحة في الأعمال وأنَّ لهم ما تكنه السرائر ما جاء في كثر العمال أيضاً من حديث عتبة بن مسعود قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول . أنَّ ناساً كانوا يؤثِّدون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنَّ الوحي قد انقطع وإمّا نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم من أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس لنا من سريره شيء الله يحاسبه في سريره . ومن أظهر لنا شرّاً لم نأمنه ولم نصدق له وإنَّ قال إنَّ سريره حسنة . وإمّا يعرض بهذا بالمناقض تبئرها لهم إلى أنه مراقب لأعمالهم

ومع أنه كان يأخذ الناس بهذه الطريقة ويحملهم على الاستقامة في الأعمال فإنه كان يحذرهم من خيانة السرائر ونبههم عن التردد في الأمور ويرشدهم إلى الجمع بين العزيمة والنية سوقاً لهم إلى الاستقامة في العمل والحزم في الرأي فقد أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه عن عمر بن الخطاب قال قال عمر بن الخطاب الهوة في العمل إنَّ لا تؤخر عمل اليوم لعد . والامانة أن لا تحالف سريرةً عاليةً واتقوا الله عروحل فاعمال التقوى بالتوقي ومن يتق الله يقه .

وهكذا رضى الله عنه كان في رعيته كالوالد الرؤف يواليهم بالنصائح ويرشدهم إلى سبيل الخير والسعادة ويأمرهم بالتقوى والمدل والتألف والاحتماء ونبههم عن التحرب والتفرق وخصوصاً قريشاً فإنه كان لا ينام لهم على أمر ولا يدعهم ساعة من نصيحة لا بهم قدوة الناس وأئمة العرب

أخرج الطبري عن ابن عباس أنَّ عمر قال لباس من قرش بلعي اسمك

تخذون مجالس لا يجالس اثنان معا حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان حتى تحوميت المجالس وأتم الله أن هذا السريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ولكأنني بمن يأتي بعدكم يقول هذا رأى فلان . قد قسموا الاسلام أقساماً . أبيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فانه أدوم لأتقتكم وأهيب لكم الناس اللهم ملوني وملائهم وأحسست من نفسي واحسوا مني ولا ادري بأيا يكون الكون وقد اعلم ان لهم قبلاً منهم فاقبضي اليك .

ومن جميل سياسته انه كان يعلم من نفسه الشدة فلا يرضى لعماله ان يكونوا مثله لهذا عزل خالد بن الوليد عن الامارة وجعل بدله انا عبيدة بن الجراح وكان عماله جميعهم ممن عرفوا باللين والاناة كأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعتبة ابن غرवान وحديقة بن ليثان وعثمان بن حنيف وأضرابهم الأعمش القواد وربما كانوا على شيء من الشدة وذلك يكون في مثابهم بالطمع ومع شدته رضى الله عنه وتمدكان يوصى عماله بالرفق والعدل والاناة وعدم الايعال في العقوبة وبلغ به كرهه للايعال في العقوبة ان أرسل مرة الى أبي موسى الاشعري وقد اشتد في العقوبة على بعضهم بهدده بالعقاب اذا عاد الى مثلها

حاء في كبر المال عن ابن عمر قال كنت مع عمر في حبح (أو عمرة) فاذا نحن راكبا قال عمر أرى هذا يطلبنا خاء الرجل فكي قال ما شأنك ان كنت عارماً أعماك وان كنت حائفاً أمماك الا ان يكون . قلت نفساً فمقلها وان كنت كرهت حوار قوم حولك عنهم قال اني شررت لهم وأنا حديسى تيم وان أنا موسى حديسى وحلقى وسود وحمى وطاف في الناس وقال لا يحالسوه ولا تؤاكلوه فحدثت نفسي باحدى الاث اما ان تحمد سيماً فاصرب به أنا . موسى . واما ان آتيك فتحولني الى الشام فاهم لا يعرفونى . واما ان الحق

بالعدو فأكل معهم واشرب . فبكى عمر . قال . ايسرنى انك فعلت وان لم تركذا وكذا وانى كنت لا شرب الناس لها فى الحاملية وانها ليست كالزنا . وكتب الى ابي موسى ماصورته

سلام عليك أما بعد فان فلان بن فلان التبعي أخسرنى نكذا وكذا وأثم الله انى ان عدت لا سودن وجهك ولا طوفن بك فى الداس فان أردت ان تعلم حق ما أقول فعد . فأمر الناس ان يجالسوه ويؤاكلوه فان تاب فاقبلوا شهادته . وحمله عمر (أى أركبه) واعطاه مائتى درهم

ومن حميل سياسته اهتمامه بأهل الذمة الذين دخلوا فى عهد المسلمين وسلطانهم من الشعوب غير المسلمين ووصايا الأعمال بالحرص على راحتهم وتحبب ظلمهم وأذاهم وبلغ اهتمامهم ان كان ادعابت عنه أحبارهم أو لعله أقل شئ عنهم يستدعى دوى امانة من المسلمين الذين أقاموا فى بلادهم ويسألهم عن أحوالهم ويستقصى سيرة العمال معهم ومن ذلك ما رواه الطبرى فى تاريخه ان عمر (رض) كتب الى أمير البصرة ان يبعث له جماعة من دوى الراى والصيرة فارسل اليه وقد آوهم الاحمف بن قيس فسألهم عن أهل الذمة وهل يشكون ظلماً أو حيفاً فاحابوهم بالسلب ولم يطمئن اموالهم حتى استوت من الاحمف وكان يثق بصدقه ثم صرفهم

ومن أحمال ما أثر عنه من الرفق بأهل الذمة ما حافى كره المال ان عمر رتب شيوخ من أهل الذمة يستل على أبواب المساجد فقال ما تصمناك كما أخذ امك الحربة فى شيدك ثم صعدك فى كرك ثم أحرى عليه من مائت المال . اصلحه

ومن حسن سياسته تقدمه فى مواده ان لا يمسكوا لحديق العروا كبر من أرامة أشهر وسماه به كان يظوف له . مدة على عادة وسمع امرأته من وراءها تقول

تطاول هذا الليل واسود جابه وأزفنى أن لا خليل ألاعبه
فلولا حذر الله لأشئ مثله لرحل من هذا السرير جوائبه
فكتب عمر الى عماله ان لا ينيب أحد بالعزو ونعم الراى

ومن سياسته توقيفه الحدود عند الصرورة الداعية لذلك فقد أخرج ابن
أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال كتب عمر بن الخطاب ألا لا يخلدن
أمير حيش ولا سرية أحداً الخد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان ان
يلحق بالكمار

ومن سياسته انه كان يحبس عن العمل كثيراً من كبار الصحابة منهم من
كان لا يستعمله خوفاً على دينه من ان يدسه بالولاية فقد أخرج ابن سعد
عن عمر ان س عد الله قال قال أنى تن كتب لعمر بن الخطاب مالك لا تستعملنى
قال اكره ان تدس دينك

ومهم من لا يستعمله حسية ان يحمله على رقاب الداس أو حشية ان تحدته
بفسه بالامارة اذ انه من مراقبته وهو لاهم سواهم لما كان يترسه فيهم من
المطلع الى الامارة في مروح الذهب للمسدودى عن عبد الله بن عباس أن عمر
أرسل اليه فقال يا بن عباس ان عامل حمص هلك وكان من أهل الخير وأهل
الخير قليل وقد رجوت ان يكون مهم رنى عسى ملك نبي ثم أرداه ملك وأعيانى
ذلك فمارأيتك في العمل قال ان أعمل حيي تحببني بالذى فى نفسك . قال
وما تريد الى ذلك قال أريد دفان كل نبي أحياه على عسى حشيت منه عليها
الذى حشيت ون كنت بريئاً من مشه عامت بي ست من أهله قتلت عمك
هناك فاني أمارأت وطنت شه عايته بمال يزعس نى حشيت ن
يأنى على لدى هرا ب و بن عنك تره هرايه رله هرايه يكدون غيركم

انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعمل الناس وتركم : قال (اى ابن عباس) والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك : قال (اى عمر) والله ما أدري أضنّ بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشي أن تباعدوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك فسا رأيتك قال (اى ابن عباس) أراني لا أعمل لك قال ولم . قلت ان عملت لك وفي نفسك ما فيها ألم أرح قذى في عينك قال . فأشعر علي . قلت اتي أرى ان تستعمل صحيحاً بك صحيحاً لك

ومن سياسته تقدمه الى المال بان لا يأذنوا لاحد من جلود المسلمين ان يزرع أو يزارع في البلاد المفتوحة وان لا يقطعوا أرضاً لاحد منهم البتة وذلك لامور الامر الأول كي لا يزارح المسلمون أهل الدمه والعهدى أرضهم وبضيقوا عليهم في معيشتهم والامر الثاني كي لا يألف الحمد الاعمال في الارض في إبان الفتح فتتمل بوسمهم الى الراحة من عناء الحرب والأمة حربية لم يأن لها اطراح لأمه القتال واعتزال الحرب والاخلاد الى الراحة والترف والامر الثالث كي تسقى الارض في بد أهلها مادة تستمد منها الدولة ما يقوم بشؤونها العسكرية والادارية ولا يحتكرها المقتطعون من جنده فتعدم مادة القوة عن الدولة الاسلامية فيما بعد ولا تحدد من المال ما يكفي لمن يقوم من الجند بحراسة البلاد وقدمر الشاهد على سياسته هذه في غير ما محل من هذا الكتاب ومنه ما كتبه الى عمال العراق وعمره من العاص في مصر كما رأيت ذلك في فصل (كيف يكون الاستعمار) وأجابه في سياسته طويلة نكتفي منها بما تقدم دلالة على الناق

﴿ نظرة في بعض الاحبار المتعلقة بأهل الدمة ﴾

قد رأيت في هذا الباب وفي باب احلاء عمر لاهل محران وسترى في باب احبارهم وقواله كيف كانت سياسة عمر مع أهل الدمة وكيف كان شديد الحرص

على راحتهم حالاً للمال على انصافهم وعدم ايذائهم ومن كان هذا شأنه مع القوم
 فيستحيل على العقل التصديق بما يناقض سيرته هذه معهم وقد اورد بعض
 ارباب السير وثقة الحديث خرين عن عمري تعلقان بأهل الذمة احدهما امره
 لعله في العراق يحتم رهاب اهل الذمة من الفرس بالرصاص والثاني تقدمه الى
 العمال ان لا يحدث النصاري في امصار المسلمين (اي الى مصر) المسلمون خاصة
 كالبحرة والكوفة) بيعة ولا يرفوا صليبا على ان هذين الخبرين وما شاههما قد
 وهن روايتاهما الحديث وحماطه وقالوا إلهام وضوعة وقد اورد الامام
 الشوكاني في نيل الاوطار الحديث الثاني عن البيهقي وعن الحافظ الحراني باختلاف
 بينهما باللفظ وقال عن الاول في اساده ضعف وعن الثاني في اساده حش وهو
 ضعيف ويريد بحش احد المطعون بهم في رواية الحديث .

فلا بدري ما هو الماعث لقرب الوضاعين على وضع امثال هذه الاحاديث
 أهو الجهل بمقاصد الاسلام الذي جاء للتأليف بين القلوب والتعارف بين
 الشعوب (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثي وحملناكم شموما وقبائل
 لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ام ذلك شيء دس في الاحار وتافله الرواة
 مع العقلة عن مقاصد الشرع

ليس لعجيب على الكدابين أو المماقين أو الخاهلين ان يدسوا ماشاؤا في
 الاخبار انما العجيب ان يقلبها بعض المؤرخين والعلماء الأعلام على علائها كما
 نقل اس الحوري وهو امام معروف الخبر الثاني في ممايب عمر دون التنبه على
 ضعفه واما جرتلاء الشيع وبث روح التفرق والسي المسلمين اصول التائب
 والنجاب حتى بين أعينهم 'نشار امال هذه الاحداث والأخبار كتب
 الخاصة مع علمهم بان منها الكاد ومها صعيص السند وى دعاهم لى نقلا توهم

انها قربى يتقرب بها الى الدين او يتعصب بها له مع ان التعصب للدين هو التمسك
 به والذود عن حوضه واعراض جانبه وحانب اهله نارشارهم الى ان السيادة على
 الامم اعماهى بمساقمهم فى مضمار الحياة الاجتماعية لا بايذاء العيرى دينه وحرية
 والله تعالى يقول (لكم دينكم ولي دين) ولواراد الاسلام ايداء الدى فى حرية
 الدينية والشخصية لامرنا كراه اهل الكتاب على الاسلام كما امرنا باكره
 مشركى العرب . ومن ثم فلو فرض ورود امثال تلك الاحبار سواء عن عمر
 (رض) او عن غيره فلا ينبغى لها ان تحمل على ما يناقض اصول الدين بل تحمل على
 الضرورة السياسية التي ربما تدعو اليها سياسة الفتح كما يدل عليه تخصيص امر
 عمر لوصح الخبر عنه بمصر مخصوص ادلا بدلك فالح من اطهار الشدة فى نادى
 الامر بما يشبه ما يسمونه الآن الادارة العرفية او العسكرية رثما تئنت قدمه فى
 البلاد وتسكن الى حكمه نفوس المملوء من هذا من جهة ومن جهة ثانية فرما كان
 لجدة العرب فى الدين وعدم تمسك عامتهم به لقرب عهدهم به دخل فى مثل ذلك
 السياسة الى يراد بها المحافظة على عقائد العرب يومئذ من ان يتطرق اليها اهل
 حوارهم من الكتائب شئ من الافساد لعرب عهدهم بالوثنية واغراقهم فى الجهل
 كما كان لهذه السياسة دخل فى اجلاء اهل نجران ومن هذا القليل الخبر الذى
 نحن بصدد الكلام عليه وهو خبر تقدم عمر الى عماله بعدم احدث المصارى بيعاً
 فى الامصار الى مصرها المسامون هذا على مرص صحته وهو لم يصح كما رأيت وعلى
 هذا القصد يدعى ان يحمل كل ما جاء من الاحداث والاخبار الى من هذا
 القليل لا على قصد ايجاد المعرر المسلمين واهل الكتاب لاسيما والمحدور الذى
 كان يدور فى خلد الصحابة ويحشده اى صلى الله عليه وسلم على العرب يومئذ كان
 قد زال برز ال سانه ولا يحمل هذه الاحبار على غير هذا الحمل الذى بسطناه

الآجَاهِل بمقاصد الاسلام غير عالم بان الدين الذي يأمر أهله بمعاشره أهل الذمة بالمعروف ومما ملتهم بالانصاف وعدم ايدائهم في حال من الاحوال لهم ماله المسلمين وعليهم ما عليهم لا ينافض نفسه ويأتي بما يخالف عدله ولا يكن العقلاء الذين يصمون الا وروم وضع النقد والمحاكمة قليل وآفة الدلم عليهم بما يوافق الهوى لا الحق والسلام

في أخباره مع عماله

روصايه لهم

كان رضى الله عنه شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم وأخبارهم وبلغ به ذلك أن أقام عليهم العيون يوافونه بأخبارهم وحمل أحد الصحابة وهو من أهل التقى والصدق واسمه محمد بن مسلمة فاصاً أى محققاً لأخبارهم ومقتضاً لآثارهم فادشكا أحد من الرعية أحد أئمة العمال أرسل محمد أئمة كور يقتص الخبر ويحقق الشكوى تحفة تلعنياً لا في السري لا تؤخذ العامل بوشاية واش أو سعاية ممتريه يذهب ويجمع اليه الناس في المسحور وبما طاف عليهم في أحيائهم يسألهم عن علمهم بسيرة الأمير وأسباب الشكوى منه ومن ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه عند الخبر عن إرسال الحيوش الى مهاودي أخبار سنة (٢١) قال ونزل بسعد (أى ابن أبى وقاص) أقوام وأئمة واعليه فيما بين تراسل القوم واحتماهم الى نهاوند ولم يسألهم مادهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر فقال عمران الدليل على ما عندكم من السر هو صدمكم في هذا الامر وقد استعدتكم من استعد وأنتم الله لا يمنع ذلك من الظرف في الدكم وروا (امى الفرس) كم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد الامام والاعاجم في الاجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب القتل الذي يمض آثار

من شكي زمان عمر^(١) فقدم محمد على سعد ليطوف به على أهل الكوفة
والبعوث تصرب على أهل الامصار الى نهاود فطوف به على مساجد أهل
الكوفة لا يترص للمسئلة عنه في السر وليست المسئلة في السر من شأنهم اذ
ذاك . وكان لا يقف على مسجد فيستلهم عن سعد الا قالوا لا نعلم الا خير اولا
نشتهي به دلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه الا من مالا الحراح بن سنان
وأصحابه فانهم كانوا يسكتون ولا يقولون سوءا الى ان قال الطبري وخرج محمد به
(أى لسعد) وهم الى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فسأله عمر عن أوجه
الشكوى فأكرها ولم يسمعهم إثباتها مردهم عمر وخشى اذا التقى سعدا على الكوفة
أن يكون بينهم وبينه أمر فعزله احتياطا وسأله من حليفته على الكوفة ومال له
عبد الله بن عبد الله بن عثان فأقره

ومنه تعلم كيف كان رضى الله عنه مراقبا لعماله كثير التحقيق عن أخبارهم
لا يتعجل في أمرهم اذا جاءه شكايه على أحد منهم بل يتثبت الخبر بنفسه ويحققه
بمواجهته فان ثبت عاينه شئ مما يدعيه الشاكي عزله وله بهذا الصدد أخبار كثيرة
مع عماله ربما نأتى على شئ منها في سيرة أشهر المشهورين من رجاله ان شاء
الله تعالى

وكان رضى الله عنه لا يحب أن يفرق عماله في المعاملة بين الحر والعبد ولا بين
القوي والضعيف أخرج بن جرير الطبري عن الاسود بن يزيد قال كان الوفد
اذا قدموا على عمر (رض) سألهم عن أميرهم فيقولون حيرا فيقول هل يعود
مرصاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صميعة
بالضعيف وهل يجلس على بابها فان قالوا لا عزله

وكان رضى الله عنه لا ينفعل عن أن يرسل الاوامر الى عماله تبعاً في أن
يعدلوا ولا يظلموا ولا يأخذوا بالظنة ولا يبنوا أو يندروا ومن ذاك انه لما وفد
عليه الاحنف بن قيس وسأله عن حال الدمة في ولاية البصرة وصرفه كما تقدم
الخبر عن ذلك في الفصل السابق كتب معه كتاباً الى عتبة بن عروان أمير البصرة
يوصيه فيه بأهل الدمة هذه صورته (عن تاريخ الطبرى)

أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون
مكم أو يعي فانكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم
اليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا به الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً
ولعله مرة أن حرقوا صاعاً من له على الاواريل جبل الاهوار والناس
يختلفون اليه والحمل كؤود يشق على من رآه فكتب اليه ما صورته نقلا عن
تاريخ الطبرى في حوادث سنة (١٧)

(أمانند) بلعى أنك نزلت من لا كؤوداً لا تؤنى فيه إلا على مشقة
فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على ما هذوقم في أمرك على رجل يدرك الآخرة
وتصف لك الدنيا ولا تدركك مبرة ولا عجله فتكدر دياك وتذهب
آخرتك

هذه لعمرى الرافة بالرعية وهذامتهى الحماة وعاية الحرص على راحة
الناس فاللهم أن حليمة لا يعمل حتى عن أمثال هذه الحريثات الخليفة لا يحله الرمان
ولا يوهن له سلطان ولا يمحى ذكره عن صفحات الحماة فرضى الله عنه وأرضاه
ومن وصاياه للعمال ما أخرجه الطبرى عن أنى عمران الحويي قال كتب
عمر الى أنى موسى تلم يرل للناس وحوه يرفعون حوائجهم أنا كرم من ممالك من
وحوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من العدل ان مصف في الحكم وفي نفسه

ومراد به هذه الوصية أن يكرم أئمة موسى وجوه الناس ليألفوه ويرفعوا
إليه حوائج المسلمين وأموال الضعفاء كي يكون عارفاً بحاجات الرعية من كل
الطبقات فينصف هذا في الحكم وذلك في القسم ولا يفوت عدله فرداً من أفراد
الرعية الذين لا يصلون إليه

وأخرج عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال يا أيها الناس اني
والله ما أُرسل عملاً إلا اليكم ليضربوا أبشاركم ولا يأخذوا أموالكم ولكي
أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم (ويرويه ونقصوا بينكم بالحق
ويحكموا بيسكم بالعدل) فن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعوه إلى فوالذي نفس
عمر بيده لا أقصته منه ^(١) فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرايت ان
كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأذّب بعض رعيته أنك لتقصه منه
قال إى والذي نفس عمر بيده إذا لأقصه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين
قتلواهم ولا تحمروهم فتقتلواهم ولا تمنعواهم حقوقهم فتكفروهم ولا تترلوهم
العياض فتصيموهم

وعن أبي رباحة قال كتب عمر بن الخطاب إلى الهمال اجملوا الناس
عندكم في الحق سواء قريهم كعبيدكم وكمعبيدكم كقريهم إياكم والرشا والحكم
بالهوى وان تأخذوا الناس عند العصب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار
ورى الطبرى أن عمر كان يقول في عماله اللهم اني لم أتعهم ليصروا
أشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوى ومع كل هذا التشديد على العمال
فانه رضى الله عنه كان دائماً قلفاً على الرعية حائماً من ان يحار عليهم بأمر لا يصله

(١) معنى تمكن حصه من الاتصاف به أو تقتص له منه

خبره لهذا عزم قُبيل قتله ان يسافر ويطوف على المال حميمهم ليجث عن أمور
الرعية ويقصي حاجاتهم . فقد أخرج الطبري عن الحسن قال : قال عمر بن
الخطاب اثن عشت ان شاء الله لا سيرن في الرعية حولاً فاني أعلم ان للناس حوائج
تقطع دوني أما عملهم ولا يرفعونها الي وأما هم فلا يصلون الي فأسير الى الشام
فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها
شهرين ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين
ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين والله نعم الحول هذا . ونحن نقول نعم الخليفة
هذا ولا والله لا يخله خليفة في المسلمين ولا يدانيه ملك من ملوك الارض أجمعين
هكذا كان قلقه على الرعية وتطلعه الى أخبار العمال مع تحريره في انتحابهم
أهل الامانة والتقى والكفاءة لولاية أمور الرعية حتى كان أكثر عماله ناهجين في
العدل منهجه سالكين في الرهد والوزع والعمه طريقه فمن عماله سلمان الفارسي
وكان عامله على المدائن وكان على جانب من الرهد والتقى والصلاح عظيم فكان
يلبس الصوف ويرك الحمار بهر دعتة بعير إكاف ويأكل حبر الشعير فلما احتضر
بالمدائن قال له سمع من أي وقاص يا أبا عبد الله أد كرك الله عندهمك اذا هممت
وعند لسالك اذا حكمت . وسيدك اذا قسمت . جعل سلمان يسكي فقال له يا أبا
عبد الله ما يسكنك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة
عقمة لا يقطمها إلا المحزون وأرى هذه الاسودة (جمع سواد وهو المال الكثير)
حولى فطروا فلم يحدوا في البيت الادواة وركوه ومطهرة
وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان طاهر اللباس وعليه الصوف
الحافي فعدل على ذلك وقيل له انك نا شام وأمير المؤمنين وحولنا لاعداء معير من
رئك وأصلح من شارتك فقال ما كنت بالدي ترك ما كنت عليه في عصر

رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان عامله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم فشكاه أهل حمص اليه
وسأله عزله : فقال عمر اللهم لا تقل فراستي فيهم . ماذا تشكون منه . قالوا
لا يخرج الينا حتى يرتفع الهار ولا يجيب أحد أليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا
فقال عمر علي به فلما جمع بينه وبينهم فقال ما تنعمون منه . قالوا لا يخرج الينا
حتى يرتفع الهار . فقال ما تقول يا سعيد . فقال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي
خادم فأعجب عجبى ثم أحلس حتى يحتدر ثم أحضر خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم .
قال وماذا تنعمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره أن أذكر هذا
أنى حملت الليل كله لربي وحملت الهار لهم . قال وماذا تنعمون منه . قالوا له
يوم في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لي خادم فأعسل ثوبي ثم أجمعه فأوسي .
فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم
خيرآ . ثم إن عمر بعث اليه ثألف دينار وقال أستعن بها . فقالت له امرأته قد
أعما بالله عن خدمتك فقال لها ألا بدفعها لي . من يأيسا وأحوج ما كآ اليه قالت بلى
فصرها صرراً ثم دفعها لي من يشق به وقال اطلق هذه الى فلان وهذه الى يتيمنى
فلان ومسكين آل فلان حتى بى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال انقضي هذه
ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تمتع بذلك المال فتشترى لنا منه حادماً
فقال سيأتيك أحوج ما تكون اليه

هكذا كان معظم عمال عمر رضى الله عنه فكيف لا يكون عصره أسعد
المصوّر على المسلمين وأعطاهم ركة على الرعية ولا حرم الخليفة الصالح لا يحمار
من العمال إلا الصلحاء العدول والناس على دين ملوكهم والعمال يسلكون
طرائق سلوكهم فان كان الملوك ظالمين ظلم العمال وان كانوا عادلين عدلوا

وكان رضي الله عنه يكره احتجاب العمال عن الرعية ويسالغ في حب طهورهم للناس فان بلغه أن عاملاً احتجب عن الرعية نكل به أشد تنكيل فقد روى الطبري أن سعد بن أبي وقاص لما سبي دار الإمارة في الكوفة وكانت الأسواق قريفة منه وعواؤه ثم منع سعداً الحديث ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد سكن عبي الصويت وبلغ عمر ذلك وإن الناس يسمون الدار قصر سعد فدعا محمد بن مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال أعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على نذئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى خطباً ثم أتى به إلى القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأحرق الحرق فقال . هذا رسول أرسل لهد الشان ولعث ليطار من هو لما عرفه أرسل إليه رسولاً بأن أدخل فأني نخرج إليه سعد فأراد على الدحول والبرول فأني وعرض عليه بقة فلم يأخذ ودنع كتاب عمر إلى سعد وفيه

لعمري إنك بيت قصراً اتخذته حصاً ويسمى قصر سعد وحملت بينك وبين الناس نائاً فليس تقصرك وإسكه قصر الحمال أرسل منه منزلاً مما لي بيوت الأموال وأعلقه ولا تجعل على القصر نائاً تمنع الناس عن دخوله وتفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا محاسنك ومحرك من دارك إذا حرحت

خلف له سعد ما قال الذي قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى إذا دأب من المدينة فبني راده فسلع بلحاء السحر فقدم على عمر فسأله فأخبره بحركته فقال له هلا فملت من سعد فقال لو أردت ذلك كتب لي به وأذن لي فيه فقال عمر إن أكل الرجل رأياً من أدلى بكر عده عهد من صده عمل بخبره وفل به ولي بكل

وأخبره محمد بن سعد وفوله فصدق سعداً وفل هو أصرق ممن روى

عليه وألقني

جاء في كنز العمال عن حاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا لمث
عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا
أبوابكم دون حوائج الناس. إن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم
يشيخهم فإذا أراد أن يرجع قال اني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعشارهم
ولا على أبشارهم (١) ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولا لكي تهتكم لتقيموا
بهم الصلاة وتقسوا فيهم فيهم وتحكموا بينهم بالعدل فان أشكل عليكم شيء
فارفعوه اليّ ألا فلا تصربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها (٢) فتفتنوها ولا
تعتلوا عليهم بافتحروا وهاجود القرآن (وفي رواية) وأقول من الرواية

وكان إذا بلده عن أحد من عماله أمر يخل بالمرؤة عمر له في الحال في المقاب
لأبي الفرج بن الجوري عن سعد قال . كان عمر بن الخطاب يستعمل العمان
ابن بصلّة على ميسان وكان يقول الشعر فقال .

ألا هل أتى الحساء آت حليلها ميسان أشتى في راح وحتم
وآيات يقول في حتامها

لعل أمير المؤمنين يسؤه تادماً بالحوسق المهتم
فلما بلغ عمر قوله قال . نعم والله انه ليسؤني من لقيه فليحذره اني قد عمرته
فقدم عليه رجل من قومه فاحذر له فقد عمره والله ما أحب شيئاً مما
قلت ولكن كنت أراءعاً أو حدث فصلا من قول فقلت فيه الشعر فقال
عمر والله لا تعمل لي على عمل ما تقيب . وفي روايه عن عثمان الخرمي عن أبيه قال

(١) كناية عن أحسانهم وأموالهم (٢) قال في الفاموس حمزة بن محمد راحمه والقوم

عن لا مرتحموا في اقل والحق حادهم في أرض العدو والملاهي المراد

لما بلغ عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب الى النعمان بن نضلة () بسم الله الرحمن الرحيم () حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير . أما بعد فقد بلغني قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه . تادمنا لجوسق المتهدم

وايم الله انه ليسوءني وعمره

ومن عجيب سياسته مع العمال انه كان يحصى اموالهم قبل العمل وما راد بعده يصادهم على كله او بعضه ومن هذا ما رواه الطبري ان عمر استعمل عتبة بن أبي سفيان على كسابة فقدم المدينة بمال فقال له ما هذا يا عتبة قال مال خرجت به معي وتجرت فيه . قال ومالك تخرج المال منك في هذا الوحه فصيره في بيت المال .

وروى ان حالدا لما أدرب هو وعياص الى بلاد الروم اتحمه من العراق رحال منهم الاشعث بن قيس فوصله لعشرة آلاف درهم فبلغ ذلك عمر فكتب الى أبي عبيدة أن يحصى مال حالدا ويصادره على النصف فدعاه وتلا عليه أمر أمير المؤمنين وصادره على نصف ماله حتى الحمير أحد منها واحداً وترك له الآخر وكان حالداً بن الوليد أميراً على قسرين من قبل أبي عبيدة لا من قبل عمر وهي رواية أخرى للطبري أن عمر كان لا يحفى عليه شيء في عمله فكتب اليه من العراق بجروح من حرج من السام وبجائرة من أحير فدعا البريد وكتب معه الى أبي عبيدة أن يقيم حالداً ويعقله لعمامته ويرع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين أثار الا شئت أم ماله ثم من أصابها (بمعنى من المعتم) فان رعم انهما من أصابة أصابها فقد أقر بحياته وان رعم انهما من ماله فقد اسرف واعمره على كل حال وأصم ابنيث عمله . فكتب ابو عبيده الى حالدا فقدم عليه ثم جمع الناس وحسب لهم على المير ومقام البريد فقال أم مالك أجرت بعشرة آلاف من أصابة فم يحبه حتى كثر عليه

وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً فقام بلال (مولى رسول الله) صلى الله عليه وسلم إليه فقال إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته فمقله لعامة وقال ما تقول أمن مالاك أم من أصابة قال لا بل من مالى فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال (نسمع ونطيع لولا تنا ونفهم ونخدمهم والينا) وأقام خالد متحيراً لا يعلم أم مزل هو أم غير مزل وأبو عبيدة لا يحبره كرامة له وكأن عمر لما أبطأ عليه الخبر علم بالدى كان فكتب إلى خالد بالقدوم عليه فعتب خالد على أبي عبيدة لأنه لم يعلمه بأمر عمر من قبل فقال أبو عبيدة إني والله ما كنت لأرو عليك ما وجدت لذلك بداً وقد عدلت أن ذلك يرو عليك . ثم إن خالد أرجع إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك في أمرى غير محمل^(١) يا عمر فقال عمر من أين هذا الثرى . قال من الانفال والسهمان ما راد على الستين ألفاً لك فهو عمر عروصه^(٢) فخرحت إليه عشرون ألفاً فأدخلها بيت المال ثم قال يا خالد والله إنك عليّ لكريم وإنك إليّ لحبيب ولن تمانى بعد اليوم على شيء . ثم إن عمر كتب إلى الامصاراني لم أعزل خالد عن سحطة ولا حياة ولكن الناس فتوا به فحمت أن يوكلوا إليه ويقتلوا به فأحمت أن يعلموا أن الله هو الصانع وإن لا يكونوا تعرض^(٣) فتنة . ويقال إنه عوصه عما أحدهم منه وكتب إلى الناس وهكذا أيضاً شاطر سعد بن أبي وقاص على ماله وشاطر أبا هريرة ولما أتى أن يشاطره ضربه وصادر غيرهم أيضاً وردة أموالهم ليت المال . وهذا أمر لا يحب من صدوره عن عمر (رض) على شهرته بالعدل لأنه لا بد أن يكون له في هذا رأي سيدي ومرمي بعيد ولعل الخامل

له على ذلك هو لانه كان يرى أن هذا المال حق المسلمين فينبغي له أن يكون لامة المسلمين حتى لا يتكاثر به الاغنياء ويتعالموا به على الفقراء ويدلنا على هذا ما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه عن السائب بن يزيد قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول والله الذي لا اله الا هو (قالها ثلاثا) ما من أحد الا له في هذا المال حق أعطيته أو منعه وما أحد أحق به من أحد الا عبد مملوك وما أنا فيه الا كأحدكم ولكنا على مسارل ما من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرحل وبلاؤه في الاسلام والرحل وقدمه في الاسلام والرحل وعساؤه (كمايته) في الاسلام والرحل وحاجته والله لئن بقيت لياتين الراعي بحبل صماء حظه من هذا المال وهو مكانه

وأخرج عن حبيب بن أبي وائل قال . قال عمر بن الخطاب لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاحذت فضول أموال الاغنياء وقسمتها على فقراء المهاجرين

ولا يحى على من له الملم بأصول المداهب الاشتراكية القائمة في هذا العصر في أوروبا وأن من الاعراض الى ترمي اليها جبل الاموال حقاً يشترك فيه الناس من كل الطبقات والاسلام قد قرر قاعدة الاشتراك لأن بين مذهب الاشتراكيين ومذهب المسلمين فرق في ان المسلمين يعتبرون هذا الحق في ثمرة رأس المال وهي النصول وان الاشتراكيين يعتبرونه في رأس المال نفسه وهو خطأ أدغم اليه الافراط والعلو كما شرحنا ذلك في كما ساق تسيه الاوهام . والله لو علم اولئك الناس أن الاسلام قرر قاعدة الاشتراك على أصول الحق والعدل التي لا تصادم نوااميس الاحتماع وان أهله ماتوا لا يعرفون شيئاً من هذه القاعدة ولا غيرها من القواعد الى تضمن سعادتهم الاجتماعية وحياتهم المالية

لأخذتهم الحيرة من هذا الامر وربما تنبه قادتهم وزعمائهم الى قبول الاسلام وجعله أساسا للسعادة التي ينشدونها للانام واكتفوا في بث دعوتهم مؤنة المقاومة التي يلاقونها من أهل الجدل والنصام ﴿كلمة في الحرية والطاعة﴾

(أوالحكومة العسكرية والحكومة القانونية) ﴿

أخذت على نفسي أن لا أعفل في هذا الكتاب خبراً يمر على القارئ من الاحبار التاريخية المهمة ما لم أرد فيه بيان مهيد لاسيما فيما يرجع للاخلاق ويمثل صورة الفضائل والرزائل ويفرق بين السعادة والشقاء ومما يسمى ان لا يفوتنا النظر فيه حادث خالد بن الوليد الذي هو أهم حادث في تاريخ الحرية العربية في الاسلام وكيف لا يكون كذلك وهو يمثل نتائج الحرية والعدل في صورة من الكمال تترلر لها أقدام الظلم وتحشع امامها قوى الكون النشوى الهابطة من أعلى عليين والصاعدة من أسفل سافلين ألا وهي الطاعة للرئس والخضوع للقانون الحرية فصيلة معاهات تلخص الانسان من الاسر وتخلصه من صيق الحجر وحوار تصرفه في كل حق من حقوق الاساية الى سوعها العقل وقضت بها أصول الاجتماع والتعاون بحيث يكون الانسان مالكا لارادته لا هيمنة تتحرك بارادة سواه مالكا لثمره عمله لاحق لا خربح ما به مالكا لأمنه لا سلطان لا حرى سلبه منه ومتى فقد الشخص واحدة من هذه الثلاث سلب منه معنى الحرية وصار كالحيوان تنفأ كل سواه ويشقى ليسعد غيره ويسمى ليموت هو ويحيا من عداه رعايتهم الحرية هذا المعنى هي الانطلاق عن كل قيد مادام ليس لارادته النفس على ما يلم من حالها من قيد وايس الامر كذلك اذ كان التهييط بالحرية طرفا راد له كذلك الافراط فيها أيضا وفي كلا الطرفين رجوع للهيمنة

وفقد له ضيعة الحرية وانما هناك وسط ترجع اليه وقيد تنقيده بل قيدان وهما القيد المسمي والقيد الخارجي فاما القيد النفسى فهو اما الزجر الدينى وإمالة ضيعة الداتية والقيد الخارجي هو الوارع وليس في كلا القيدين معنى للعبودية أو منع للحرية واما هو إمساك للنفس عن الاندفاع مع تيار الهوى والشهوة الذي يلحق الانسان بالهائم في مطاوعة الارادة للزجر المسمي مطاوعة له صيغة ووقوف عند حد الانسانية وفي مطاوعتها الوارع مطاوعة للشرع وخصوع للقانون

الانسان ميل لطبعة للسعادة اذا ارشد اليها وحث عليها والشرائع اعماهي شرعة السعادة البشرية وقوام الحياة الاجتماعية فالوارع الذي يرع الناس بالشريعة لا يحاول بما يرع به قهر النفوس ولا حرجا على الارادة بل يماشى الارادة ويساعد النفوس على ميل السعادة لهذا فطاعة الوارع من مستلزمات السعادة لا يأنها العقل ولا يهضمها حق من حقوق الحرية مادامت طاعته يراد بها طاعة القانون الذي هو اصل في السعادة لا طاعة الوارع نفسه من حيث كونه أمراً هواده وشهواته لا مأموراً آمن القانون ومهيماً عليه

ادانقرر هذا فاعلم ان الأمة العربية كانت في جاهليتها على حاب من الاعراق في الحرية يكاد يكون إفراطاً فيها كما لعلم ذلك كل مطلع على تاريخ هذه الأمة لان حب الحرية خلق تأصل في نفوسها منذ نشأت في فضاء النوادي الماسع مطلقة عن كل حرج . ومن هذا الافراط ساء اسموه العصية ذلك لانهم كانوا أشماتاً في التحرر والى دلوون وقذائل لاتهمهم حامة الحس وليس بمة وارع انهم هم الى كلمة واحدة وكانوا يفرعون عند الحاجة الى العصية من تحت العسيرة نواحدة صد الأحرى دفاعاً عن لحورة وصد أعماراً وأجلد معهم ومع في هذا الامر من صمد الطام الاجتماعي وفيه رائحة القنوة فيها كانوا به واعين وعله

حريصين لانه نتيجة معالاتهم في الحرية وحبهم للانطلاق عن كل قيد . ولما جاء الاسلام ببيانه وبسط عليهم جناح حنانه وجمعهم على كلمته وضم شتيتهم الى رايته كان من مبادئه الاولى في النصيح والارشاد تحذيرهم من التفرق وتعليمهم لأصول الطاعة وأمرهم بالحضوع الى الوارع ليكونوا ايداً واحدة وقوة واحدة ومن ذلك قوله تعالى في الكتاب الكريم « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » واما أرادهم على الطاعة لأولي الامر لانها طاعة للشرع الذي فيه سعادتهم بردهم في الحرية الى حد الوسط بلا شطط عليهم في التقيد ولا ارسال لهم منه ولا حمل لهم على طاعة الوازع لنفسه بل لما يرعهم به من الشرع العادل يدللك على هذا قول أول خليفة في الاسلام وهو أبو بكر (رض) في احدى خطبه التي مر ذكرها في الجزء الأول « أطيعوني ما أطعت الله (في تنهيداً وامره) فيكم فاداء عصيته فلا طاعة لي عليكم » وقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) أعيوني على نفسي بالامر بالمعروف وإحصاري الصيحة وأعيوني على أنفسكم بالطاعة وقوله أنه لم يلع حق ذي حق « يعني نفسه » أن يطاع في معصية الله وكثير من أمثال هذا الكلام مما مر في باب خطبه وغيرها من هذا الكتاب واد كانت الداوة أصلاً في سلامة المطرقة وببولها للحيير وقد رأى القوم ان هناك نظاماً يصم أشتات الافكار الى وجهة واحدة ويقوم بحراسة الحقوق قياماً يعني عن العصية مع استثناء ما للهوه من الاصول الديمقراطية في حالتهم الاجتماعية لم تأف هو سبهم السامية من مثل تلك الطاعة وحصعو الحكم الاسلام واجتمعوا على الرضى بسيادة الخلفاء ومن ثم تعلم ان دولة المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين كان قيامها بالتعاون لا بالقوة وحمايتها بالسرية لا بالسيف وبعمارة وضح . كانت دوله فابوية ستند الى السرعة الآلهى لتقوم لادولة عسكريه

تستند الى القوة الجبرية لتدق وتخل وشتان بين دولة تستند الى القانون الذي هو سيف لا يفل حده وبين دولة تستند على قوة القهر التي لا تلبث أن تبي أو تفل وتهوي بالذلة الى حضيض الاضمحلال وتذاجلها بالانحلال

لما علمت الامة العربية يومئذ ان الطاعة على ذلك الوجه ركن من أركان الحرية لا سبب لسلطانهم وان ليس فيها سلب لارادتهم ولا قهر لثبوسهم ولا حيف عليهم ولا هضم لحقوقهم وان ليس للوارع فوق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر يراد به الاشتطاط عليهم والاستثثار بالامر دونهم راضت لاولياء الامر نفوسهم العاتية ولات اخلافتهم الجافية فألهم واطاعتهم في الحق ومعاونتهم على المعروف واليك الدليل

حالد بن الوليد من سادات قريش وابن عم عمر من الخطاب وفي مرتته في الشرف الذي انتهى الى الرهط من قرش فوصله في الاسلام كما رأيت في صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وحلا هذا فانه كان محبوباً من المسلمين كبير الحياء عند الناس له من قلوب الجند مكانة ليست لسواه اذا أمر طاعوا وادأشار قبلوا حاء أمراً من المؤمنين بالشخص الى حيث يقيم أبو عبيدة فامثل وسئل فردد وهابه أبو عبيدة وهو ابن عمه وأميره أن يأمر به أمر الخليفة فقام اليه مولى (عبد) من موالى رسول الله (صل) فبرع عمامته عن رأسه وعقلها وسأله ما سأله حتى أحاب فأعاده فقلسوه الى رأسه وعمه بيده وقال سمع وطيع لولا سأل (يعنى عمر) وبعهم موالياً^(١) « يعنى حالداً » هذا كله على ما لاس ومسهب من عامة المسلمين ما الذي أسكت مثل هذا الامر الخليل في مثل هذا الموقف فلم يات بصريح نفسه ولم يصره أحد من المسلمين هذا على ما عرف به من عواليه

وإياء الضيم

أسكته أمر أن الأول علمه أنه لا يطاوع بسكوته وخضوعه هو أمير المؤمنين بل يطاوع وجدانه ويطيع قانونه ودينه والامر الثاني علمه بأنه فيما صنع غير مسلوب الارادة بقوة عمر (رض) ولا ملوب له على أمره بل هو حر في أن يناقشه الحساب ويسأله عن سبب اصنع ويتصرف لنفسه منه اذا اشتط عليه او جار وقد كان ذلك كما رأيت وأنصفه عمر (رض) ولولا أن يعلم خالد أن له سلطاناً في نفسه ياقش به عمر وارادة لا يعلبه عليهم الا الحق لاستحال على عمر ان يعامل معه تلك السدة لما يعرفه في القوم من حب الحرية واستقلال الارادة وعزة العوس وحسبك دليلاً على هذا ان أمير المؤمنين عمر (رض) لم يسعه بعد أن عامل خالد بتلك المعاملة الا أن يعتذر عما أصعب للناس ويحجر بالسب على ملأ المسلمين دفعا لسبه الصمائر وإعلانا لسلامة حريتهم من مساس القوة والحجر وذلك انه قام يوماً فخطب فيهم خطبة في شأن العطاء رواها ابن الحوري في المناقب قال في آخرها

واني اعتذر اليكم من خالد بن الوليد فاني أمرته أن يحبس هذا المال على صفة المهاجرين فأعطاه البأس ود الشرف ود اللسان فزعه وأمرت أبا عبيدة بن الجراح

فقام أبو عمرو بن حفص بن المعيرة (بن عم خالد) فقال والله ما اعتذرت يا عمر واقدرت عاملاً استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعمدت سيفاً سله رسول الله « صل » ووصعت أمره رسول الله « صل » وقطعت رحماً وحسدت من العم

قال عمر (رض) ألك تريب لمر به حداب السن فغضب في ابن عمك .

ثم نزل ولم يزد على ان ردة عليه رداً جميلاً

وهذا نهاية ما يقال في اطلاق الحرية للرعية يناقشون بها عن أنفسهم ويكونون الايدي عن حقوقهم ومع وصول العرب الى هذا الحد من الجرأة في الرد على مثل عمر بن الخطاب ومناشئته الحساب فانهم كانوا أطوع له من مناهلهم باهم انما يطيعون بطاعه الله والرسول في الشرع الذي كان عمر مندهم مذهباً مهيماً عليه ولو كانت الحكومة ثمة - حكومة عسكرية - لكان خالد اول من لجأ الى القوة وصرب بحيوشه وحه الدولة وناسب خليفة المسلمين العداوة وتوب على الخلافة ومعاذ الله ان يحدث حال نفسه بنبي من ذلك مادام لا أمر يومئذ للقوة وإنما كان الأمر الناهي عدسات المسلمين هو التسرع والوجدان لا القوة ولا الرئاسة ولقد بلغ بعريق من المسلمين في دولة الخلفاء الراشدين غلوهم في الخسوع والوجدان والشرع دون الوازع وهم الحرورية وغيرهم من فرق الخوارج ان قالوا العلي رضي الله عنه - لهم المشور « لا حكم الا الله » وتعالوا في هذا القول حتى أنكروا الروم الخلافة وساءلوا وادماء آلاف من الناس في سبيل أبيهم مقدم الساذ حتى أفضى الأمر الى قتلهم كما استرى بعد

ادانهم هذا علماً ان حكومة الخلفاء الراشدين قامت على دعامة الشريعة لا القوة وكانت حكومة دستورية لا عسكرية وان الحرية لا رمت من لوازم الطاعة وسبب ميثاق يتوصل به الى السعادة وشده عرى الصلح والاتفاق بين الحاكم والمحكوم لهذا كانت دولة الخلفاء الراشدين من أعظم لدول قياماً على الحق والحرية والعدل وبلغ المسلمون على عهدهم مبلغاً من القوة والعز والكرامة وفلح حوتس الدول ما عهد منهم في تاريخ دوله قباهم ولا ندمهم قط ومدحتهم العرب بالاعامه وابدعوا في أطراف السلطنة وقوا على قلوبهم في الممالك وصعقت

عصيتهم عن مقاومة أعداء الحرية من المتوثبين على الخلافة والدولة في دولتهم من الأمم الأخرى الذين اتقوا الاستعباد وفطروا على حب الاستبداد المحطات دول الاسلام عن مقامها وأخذت بالتقهقر في سيرها وانقطعت صلة لاتفاق بينها وبين رعيتهما فأصبحت ورعيتها على طري نقيض تريد على الخضوع لهوى الامراء وشهواتهم ويريدونها على العدل والاستقامة واتباع الشرع والقانون وهذا خطب عظيم اذا طال أمره والعياذ بالله في أمة دمرها تدميراً لا يرال يصرب الامراء عقلاً هاجمها هلاً هاء فصلاً هاء بساً هاء حتى يهي الريقان كما فئيت أمة الرومان واليونان وعرب المسلمين هذا اذا أبقي الاستبداد لا واداً له أمة أفئدة تهوي الى الحرية ونفوساً تطلب النزوع الى الحياه الطيبة والرقى الى مرتبة الانسانية وأما اذا لمع الاستبداد من عامة الأمة مبله فأصابها الفالح العام الذي يصيب الأمم في أواخر عمرها فذهب تقواها ويميت أعصاءها عن الحركة وعقولها عن الادراك فدمارها يكون يد غيرها لا يدها والمال الى هذا أشنع والموت يد المتعاس أفطع وحسك دليلاً على هذا ما يقاسيه المسلمون من صروب القهر والسفاه من بعض الدول الاوربية الى آل اليه بذلك السب ملك المسلمين وتسلطت على أقوام كثيرين منهم ولو كان ثمة قوم لهم قلوب يعقرونها وآذان يسمعونها فاداد كروا يد كروا لما جمعوا الهد الاستعبادوا وكانوا أئداد الأمم الاوربية في مصمار المافسة الحونة ولكن بالحركة الفؤاد قوم ما واد والعربون و واد

(حصه الناس على الكسب)

الانسان متى تاضع ساعا على العمل وينادل مع أحبه العوض والعوض
ما هو ثمرة العمل فكل يعمل الآحر لئلا يله العوض ورب صنعة تتعاون عليها جمع

من الناس كل فرد منهم يشتغل بفرع منها فاذا ترك أحدهم نصيبه من العمل بذلك الفرع خسر الكل لهذا كان أس الحياة الاجتماعية العمل وأصلها الكسب وليس في الوجود شرع ينهى عن الكسب بل كل الشرائع تأمر به ولو مع الرفق في الطلب والاسلام من الشرائع التي حثت السعي للرزق وأمرت بالكسب الا انه تأمر بالرفق في الطلب والتوكل على الله مع السعي ليكون الرحاء بالكسب أقوى والقناعة لجروثة اليأس أقطع والعريضة على السعي أمضى واد كان عمر رضي الله عنه أعلم الصحابة بالدين وأقربهم فيه وخشي أن يلاسن نفوس العامة شي من طواهر الآيات التي أمرت بالتوكل والقصد ورأى بعضهم حمل معنى التوكل على حمل الرهد وترك السعي جعل فأبه حض الناس على السعي وحثهم على العمل والكسب ومن ذلك ما جاء في كنز العمال عن معاوية بن قرة قال لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن وهال ما أتم فقالوا متوكلون فقال كدتم ما أتم متوكلون إنما المتوكل رحل ألقى حبه في الارض وتوكل على الله وفي المناقب لابي الصرح بن الحواري عن محمد بن سيرين عن أبيه قال شهدت مع عمر بن الخطاب المرب فأتني علي ومعي دريئة لي فقال ما هدامك فقلت دريئة لي أقوم في هذا السوق فاشترى وأبيع فقال ياه مشر قريش لا يعلسكم هدا وأساهاه على التجارة فامهلت الامارة

وفيه عن حوالب اليمعي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما معشر القراء ارفعوا رؤسكم فقد وصح الطريق واسمعوا الخراب ولا تكونوا عيالاً على المسلمين وفيه عن الحسن قال قال عمر رضي الله عنه من نحر في سبى الناس هراتهم لصب فيه شتاً فليتحول الى غيره

وفيه عن الأكيذه العارض قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن
 الهيثم طامع وشك أن يحتاج أحدكم إلى ماله
 وفي كثر المال عن عمر قال : ولا يمد مالي يوع صرايم عالة على الناس
 وفي المناف عن بكر بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 من سأل الناس
 وفيه عن ذكره قال : قال عمر إذا اشتري أحدكم جملاً فليشتريه عظاماً
 فإن أخطأه خبره لم يخطئه سوقه

وفيه عن محمد بن عاصم قال : بلغني أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى فتى
 فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا سقط من عينه
 وفي المقد قال عمر بن الخطاب لا يقعد أحدكم عن طلب الرق ويقول
 اللهم ادرقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وإن الله تعالى إنما يرقق الناس
 لبعضهم من بعض ولا قول الله جل وعلا (فادأ قُصِدَتِ الصلاه فانثروا في
 الارص وابتعوا من فضل الله وادكروا الله كثيرا لعلكم تفلحوا)
 وفيه قال عمر بن الخطاب يا مشر القراء التمسوا الرق ولا تكونوا عالة
 على الناس

وفيه قال عمر بن الخطاب حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه

﴿ مهربه عنه التمتع ﴾

(وتحذيره من الانتداع)

الاسلام دين اليسر ودين العطرة يأمر بالاعتدال في كل الاعمال حتى
 العادة ويهي عن التمتع الماشي عن التوسع والانتداع ولم يكن العرب على
 صلاحتهم في الدين يعرفون هذا التمتع الذي استدعه الاعام بعد لدم توسمهم في

التأويل وهو أنهم عند ظهور الشريعة عليها لما انتشر الاسلام في أنحاء الارض ونعم
سائر الشعوب في دولة الخلافة الاموية والباسطية وكثير الاعاجم من
الابتداع وغلو النطع والتشدد بما ليس من الدين كان بعضهم العرب على ذلك
وعزأونهم وتباعدون عن دينهم فقد ذكر ان عبد الله بن عبد القادر قد عن
الاصمعي قال : قدم أبو مريم الاعرابي من البادية فقال له رجل بالبادية
أتوضئون بالبادية قال والله يا بني لقد كنا نوضأ فكمينا التوضئة الواحدة
ثلاثة أيام والادوية حتى دخلت علينا هذه الحجرة (وهي الموالى من الاعاجم)
فجعلت تلين استاهها بالماء كما تلاق الدواة

وانما أراد بقوله فكيفنا التوضئة الواحدة الخ الاعرابي بانهم على تطوع
الاعاجم لانهم (أي العرب) كانوا حقيقة يفعلون ذلك بالوضوء معاذ الله أن
يكونوا في هذه المرتبة من التهاون بالفرائض وهم أساءوا ولثك الدين نشر واهذا
الدين وعلى عهدهم أنزل القرآن ، ومن هذا تعلم أن التطوع أمر لا يريد به الدين وانما
كان مشؤوه الابتداع والتوسع ومن هذا القبيل توسعهم في حديث السواك وهو
(لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك) ومع أن الحديث يتضمن الندب
والاستحباب فقد كاد بعضهم ينزله منزلة الواجب وكتبوا فصولاً وأبواباً
مخصوصة في فوائده واستعماله وجمعه الى آخر ما قالوه في شأنه مما لم يكن مشؤوه الا
التطوع حتى فيما ليس من الدين

كان من الصحابة يهرولوا بالمادة وانقطعوا الى التجهد لكن بما لا يجرح
عماماته الكتاب ورأوه من دينهم عليه الصلاة والسلام خشى عمر أن يسري الى
العامية حب الانقطاع الى العادة والتطوع في الدين فيشأن ذلك تمطيل لوظائف
الاحتماع الدنيوية وتوسع في التأويل وتخروء على الابتداع فعمل به الناس عن

التنطع ويحذروهم من الابتداع ومن نهيه عن التنطع ما أخرجه أبو الفرج بن الجودي عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال . نظر عمر الى شاب قد انكس رأسه فقال له يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب فس أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فانما أظهر للناس نقاً على نقاك

وأخرج عن أبي عمر والشيباني قال . خسر عمر من الخطاب رجل يصوم الدهر فجعل يصربه بمخفقتة وجعل يقول كل نادر كل يادهر

وعن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال عجّلوا الفطر ولا سطّعوا تنطع أهل العراق

وعنه عن أنه قال كنت جالساً عند عمر (رض) اذ جاءه ركب من أهل الشام فطفق يسأله عن حالهم فقال . هل تمحل أهل الشام الافطار . قال نعم . قال ان يرالوا انخير ما فعلوا ذلك ولم ينطروا النجوم اسطاراً أهل العراق وعن محمد بن سيرين ان عمر بن الخطاب حرج من الحلاء يقر القرآن فقال له أنور سم يا أمير المؤمنين أنقر القرآن وأب غير طاهر . فقال له . مسلة (هكذا) أمرك بهذا

وأما تحذره من الابتداع فقد أخرج الامام أبو الفرج أنصاعاً عن عاص بن ربيعة قال . رأيت عمر ينظر الى الحجر فقال أما والله لو لا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ما بينك ثم قلبه

وعن عبد الله بن سرحيس قال . كان الاصلع (يعني عمر) اذا اسلم الحجر قال اني لاعلم انك حجر لا اصبر ولا سمع ولو لا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ما بينك

وعن دافع قال كان الناس أنون الشجرة التي باع رسول الله صلى الله عليه

وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت وهذا الاثر يوافق ما تقدمناه في فصل (لاوثنية في الاسلام)

وليت عمر يأتي في هذا العصر بدورته وسيقه وينظر الى مصير صار اليه المسلمون من تقديس الاحجار والاشجار واذا كانت تلك شجرة واحدة ووبوع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدنا لآر عدد لا يحصى من الاشجار كالخيز في مصر والمس والريتون في الشام وهي من الاشجار التي كانت تعتبر مقدسة عند الوثنيين القدماء فهدس عوام المسلمين بعضها محجة ان هددون تحتها فلان الصالح وبك لمسه اعلان التيسخ الى غير ذلك من الاعداد التي يتحلونها لعقوبتهم الفاصرة عن مرتبة الوحيد الذي وضع الله فيها ملأى نكر وعمر فانا لله وإنا اليه راجعون وأخرج عن عمرو بن ميمون عن أسه قال أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راحل فقال يا امير المؤمنين اننا لما وجدنا المدائن أصبت كما أنافه كلامه محب قال أمين كتاب الله قل لا مدعانا لدرجة فجعل يصربه بها ويقول (الر تلك آيات الكتاب المبين انما أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) الى قوله ته الى وان كنت من قبله من العافلين ثم قال انما أهلك من كان قبلكم اثمهم أقبلوا على كذب عالمهم وأساقصهم وتركوا التوراه والا بحيل حتى درسوا وذهب ما فيها من العلم اه

(اوده وتأوده)

(أوده مع رسول الله)

تقدم معاني باب صحبه كلام على أوده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه له وقيامه دائما بين يديه يعنى عن الاسباب في هذا الباب ووجهه أوده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاسه في حبه ته سادهم عن حقيقة ميره و س في ذلك اليوم (من قال ان محمدا قد مات علوب ربه ليس في هدا) والعصمة رواية مر مرة في

هذا الكتاب مخصصها

أنهم مع نفسه

عن أنس قال دخلت حائطاً (بستاناً) فسمعت عمر يقول ويبي ويبنه جدار
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين محمّج والله لتتقين الله ابن الخطاب أولي عذبتك الله
وقال السيوطي قال عبد الرحمن بن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذت بنة من
الارض فقال ياليتني كنت هذه التينة ياليتني لم أك شيئاً ليت أمي لم تلدني وعن
سفيان بن عيينة قال قال عمر بن الخطاب أحب الناس الي من رفع الي عيوني
وأحرج الطبري عن سلمان أن عمر قال له أملك أنا أم حليقة فقال له سلمان إن جيت
من أرض المسلمين درهما أو قل أو أكثر ثم وصعته في غير حقه فأنت ملك غير
خليفة فكى عمر ولست ما كان وأتو بكر يهر بان من صفات الملوك ويقومان
بحقوق الخلافة خوف الاسام بسمة الملوك الحداير التي أناها الاسلام وتبهي
عها شريعة محمد عليه الصلاة والسلام

(تأنيبه لنفسه)

كان عمر رضي الله عنه شديداً على الناس سريع العقوبة يتناول المسيء بالدرّة
الى قيل فيها «لدرّة عمر أهيب من سيفكم» ومع هذا فقد كان سريع الابابة
رقيق القلب لا يلبث أن يعاقب حتى يدم لطهارة وحاداه وسلامة قصده
خرج الحافظ عمر لدين الحرري في أسد العانة عن أبي غية يحمي من عبد
الملك بن سلامة من صبح التميمي قال قال الأحنف بن قيس كنت مع عمر
ابن الخطاب وأميه رحل فقال تأمير المؤمنين اطلق معي فاعدني على فلان فاهود
طامعي ورفع عمر الدرّة ثقيف رأسه فقال تدعون أمير المؤمنين وهو معرض
نكم حتى اد اشعل في أمر من أمور المسلمين اتسموه اعدني اعدني قال فأنصرف

الرجل وهو يتدمر قال « اي عمر » عليّ الرجل « اي ردوه عليّ » فألقى اليه المحففة . وقال امثل « اي اقتص بمثل الضربة » فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال ليس هكذا اما ان تدعها لله ارادة ما عده او تدعها لي فاعلم ذلك . قال ادعها لله . قال « اي الاحف » فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحس معه فصلى ركعتين وجلس فقال « يحاطب نفسه » يا ابن الخطاب كت وصيماً فرمك الله وكت ضالاً فهدك الله وكت دليلاً فأعرك الله ثم حملك على رقاب الناس فاء لك رحل يستعديك فصربت ما تقول لربك غداً اذا أتيتك قال جعل يعاتب نفسه في ذلك . معانة حتى طسا انه خير أهل الارض

وأخرج ابن جرير في تاريخه عن إياس بن سلمة عن أبيه قال مرّ عمر بن الخطاب « رض » في السوق ومعه الدرّة فحقيها حمةً فأصاب طرف ثوبه فقال أميط عن الطريق فإمّا كان في العام المقبل لقيني فقال يا سلمة تريد الحاح . فقلت نعم فأخذ يدي فاطلقني الى منزله فأعطاني ستمائة درهم وقال استعن بها على ححك واعلم أنّها المحففة التي حققتك . قلت يا أمير المؤمنين ما ذكرت لها قال واما مانسيتها

هذه هي الفصيحة وذلك هو الوجدان الحساس الذي جعل ذلك الحليمة العظيم يطلب العموم شخص عن حقيقة أصابت ثوبه لم يقصد بها أداء وإنما قصد تديبه الى كشف الادي عن طريق الناس والله أعلم بما عانى من القلق ربما أن أو ان الحاح ووحديلاً لا استرضاء ذلك المسلم عنه وطلب الصبح معه مع انه حليمة المسلمين الذي أبط به العقاب فعاقب بمعروف ولم يتجاوز في مس طرف النوب بديته حد التسمية الى إمطة الصرع عن طريق فإين هذا لانصاف ورحمة من جبروت الخلفاء والسلاطين الذين سطروا بقوة بعد على الناس وتحكموا فيهم

تحكم المالك في العبيد لا رحمة تشفع ولا جاه ينفع ولا فضيلة تمنع وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب ينتقلون

(تأديبه للمسلمين)

بلغ رافة عمر بالمسلمين وحملهم على الطريق الواضحة وتأديبهم بأداب النبوة
ان كان إذا أراد تنبيههم الى أمر نافع وصرهم عن أمر صار يتقدم الى أهله بذلك
التنبيه ليكونوا قدوة للناس وأسوة المسلمين في التأديب ومن ذلك ما أخرجه ابن
حرير في تاريخه عن سالم وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر قال كان عمر إذا صعد
المدر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان
الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا
اضهت عليه العقوبة لمكانه مني

وروى عن عكرمة بن خالد قال دخل ابن عمر بن الخطاب عليه وقد ترحل
ولبت ثياباً حساً فأصر به عمر بالدرة حتى أدبها فعات له حصصاً لم يضربته قال رأيته
قد أعجبت نفسه فأحدث ان أصمرها اليه

ومن أحماره في التأديب التي تدل على عظيم رحمته وحنانه وشدة عقوبته
لملاط القلوب ما جاء في كبر المال عن أنى عثمان النهدي قال استعمل عمر من
الخطاط رجلاً من بني أسد على عمل فناء بأحد عهده فأتى عمر ببعض ولده فقبله
وقال الاسدي أقبل هذا يا أمير المؤمنين والله ما قبلت ولداً قط قال عمر
فانت والله بالناس أقل رحمة هات هذا لا تعمل لي عملاً أبداً فرد عهده

حورى هذا العام بالانزل والامداد بتأعس العمل « الموطف » لكلمة
فالها لعد (رص) أحسن منها عمر لملاطه فؤاده خشي إن هو بداليه بالعمل ان
كون مطاعاً لمص على الرعية فعزله وهل كان الامراء والسلاطين من بعده

نصري يصرون به أو سمع يسمعون به فيعلموا أن عمر بن الخطاب الذي أُرهب
أبناء الحرية وصناديد العرب وسادات قریش واستخضع لحكمه الفرس والروم
الصائفة منهم وأهل الكتاب فكانوا كلهم بالسمع والطاعة له سواء اعلموا
بمثل هذه السياسة وكان بهم رؤفا كرامة الوالد بالبنين وعليهم عذوبا كمطف
المرضع على الطفل

أحل كان منهم من علم ذلك وعمل به وهم الخيرة الطنون الذين ساسوا
وعمر وأوحاء غيرهم خربوا ودسروا فكاوا أصواع من العذاب انقصت على
المسلمين فقضت على ماشيده غيرهم بالدمار وشوشت نظام الملك وقتلت العقول
وجردت سيوف الاستبداد على الأمة فأعدمتهارشدتها وأفسدت أخلاقها
ودهبت علومها وطمست من اشراؤها وأفقدتها عرها وشممها وأذلها دلائها نحن
أولاء نشاهد نتائجها الآن بالعيان حيب نطم ومهان من كل انسان وليس فينا روح
تذب ولا ناثم هب بل كاذمات يحسبنا عالم المتمدن من الرواة قلوبا متفرقة
وأهواؤا ناشتة وهو سباحمدة الاعس السعاسف وحطاما فاصرة الاعس أما كن
الفساد وشأسا كله شأن من رضي بالذل والعس في الجهل واستسلم للقضاء حي
ساعة الصاء قلت

ومن يَمَ عن شؤونِ كلِّها خطر فليس يخطئ من سعيه للناس
ومن نأديه لاسراف قراس وفهردامه وسهم مع ما عرفوا هم الكبرياء
والسيادة مارواه اس الحورى عن الحسن فال حصر باب عمر (رض) سبيل بن
عمر و اس الحرب س هتاء وأوسه مان س حرب في هر من قرلس من لك
الرؤوس . وصيب ولال وللك الموالى الدس سهدو بدرأ خرح در عمر و دن
لهم (أى للموالى) وترك أوئلك . فقال أو سعيان لما أَر كالوم قط أذن

لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابنا لا يلتفت إلينا فقال سهيل بن عمرو وكان رجلاً عاقلاً
أيها القوم أي والله أرى الذي في وجوهكم أن كنتم غضباً فاعضوا على أنفسكم
دعي القوم ودعيتهم فأسرعوا وأطأتم فكيف كنتم إذا دعوا على أنفسكم يوم القيامة
وترككم وكان هذا شأنه رضي الله عنه مع كبار قريش الذين تأخر إسلامهم
إلى ما بعد الفتح أخرج أبو الفرج أيباعن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي حاطب عن
أبيه قال قدمنا مكة فاقبل أهل مكة يسمعون . يأمر المؤمنين أبو سفيان حبس
مسيل الماء علينا لهدم منازلنا فقبل عمر ومعه الدرة فاذا أنوسنيان قد صب
أحجاراً فقال ارفع هذا فرفعته ثم قال وهذا وهذا حتى رفع أحجاراً كثيرة حمسة
أوستة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أناسه
بطن مكة فيطيعه ومن علم ما هي سلطة أبي سفيان بمكة وكيف كان تحكم قريش
في رقاب الناس علم فضل الإسلام في تأسيسه قاعدة لمساواة وعدله بين الناس
ومحوه آثار التفاضل بالنسب ؟ ومن أحباره في التأديب مانقله في العقد
المريد أن عمر (رض) قال لرحل من سيد قومه ك قال أما قال كذبت لو
كنت كذلك لم تقله

﴿ أدبه مع المسلمين وتواضعه لهم ﴾

إذا أردت أن تعلم أدب الرجال العظام الذين رفع الله همومهم لآل الكبرياء
وسودهم على الأمم لا بالمطرسة والتحرر وحبهم إلى الناس لا بالخيلاء فاسمع
ما أحرمه الطبري في تاريخه عن الحسن قال قال عمر إذا كنت في مرله تسمعي
وتعجز الناس هو لله ما لك لي بمرله حتى أكون أسوه للناس

هذا الحديث العظيم الذي دوح بك فارس والروم وأرهبت سطوته الأمم

وامتد طل سلطانه الى حدود الهند شرقا وأفريقيا الشمالية غربا ومنحه الله هذا الملك العريض والسلطان العظيم لا يرضى لنفسه منزلة فوق منزله الناس حتى من أدنى رعاياه أن هذا هو العدل الذي ليس فوقه عدل ولا جرم فبمثل ذلك عظم قدره وشاع ذكره وملا الأذهان خبره حتى عده المؤرخون من أعظم رجال الاسلام وحتى اننا لم نخبر به على ملوك الارض فرضى الله عنه وأرضاه

ومن توأصه ما أخرجه الطبري عن ابن أبي سليمان عن أبيه قال قدمت المدينة فدخلت دار آمن دورها فاذا عمر بن الخطاب (رض) عليه أزار قطري يدهن ابل الصدقة بالقطران

وأحرج عن رهير بن سالم أن كعب الأخبار قال نزلت على رجل يقال له مالك وكان حاراً لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدحول على أمير المؤمنين فقال ليس عليه باب ولا حجاب يصلي الصلاة ثم يقعد ميكلمه الناس

وفي المناقب عن الحسن (رض) قال كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء فقال له الرجل اتق الله فقال رجل من القوم أقول لا مير المؤمنين اتق الله فقال له عمر دعه فليقله الي نعم ما قال لا حير فيكم اذ لم تقولوها ولا حير فيما اذ لم تقبلها

وليس قول عمر هذا من قبيل التواضع فقط بل هو من قبيل العلم بوجوب المصيبة على المسلمين وبوجوب اتصاح الامام مهم ورضاه نصحتهم وتذكيرهم له بالتمتعوى والعدل وذكر أرباب السير أن عمر (رض) كان أيام الامادية شديد التطلع الى أخبار حيوس المسلمين كثير الاهتمام بأمرهم فكان يخرج كل يوم حارح المدينة يرقب الاخبار وتتسمها ثم رجع الى أهله فله المية الشير سألته من أين فاحبره فقال يا عبد الله حدى قال هرم الله العدو وعمر يحب معه

وليس تخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فاذا الناس
يسلمون عليه بأمر المؤمنين فقال الرجل : فها أخبرني رحمتك الله أنك أمير
المؤمنين وجعل عمر يقول لا عليك يا أحي

وذكروا أن عمر لما قدم الشام عرصت له محاضرة فنزل عن بعيره وحلج
نعليه فامسكهما بيده فخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة (رض) قد صنعت
صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض (يأيها أهل الشام) فصك عمر في صدره وقال أوأه
لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة انكم كنتم أدل الناس وأحق الناس وأقل الناس
فأعزكم الله بالاسلام فبهما تطلبوا العزة تغير الله يدلكم الله

وروى الطبري أن عمر لما قدم الشام في أيام الطاعون اتخذ إليه طريقاً
حتى إذا نامها تنحى عن الطريق واتبعه علامه فبرل فمال ثم عاد فركب بعيره
علامه وعلى رحله فرو ومقلوب وأعطي غلامه مركبه فلما بلغاه أوائل الناس
قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم نعمي نفسه وذهبوا هم إلى أمامهم فخاروه
حتى انتهى هو إلى أيلة فزلهما وقيل للمتلين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها
فرجعوا إليه (وذلك لأنه لما قال لهم أمامكم وعني نفسه لم يعرفوه ووطنوا أنه
يشير إلى أن الأمير غيره وقد تقدمه إلى الامام)

وروى عن مولى لعثمان بن عفان (رض) قال كنت ردياً لعثمان بن عفان
حتى أتني على حظيره الصدقة في يوم شديد الحر شديد السموم فادار رجل عليه ازار
ورداء قد لف رأسه رداء يطرد الابل يدحلبها الخطرة حظيرة إلى الصدقة فقال
عثمان من برى هذا قال فاتهميا إليه فاداهو عمر بن الخطاب فقال هذا والله
الأموي الاموي

وفي كرامات عن أنصف بن عميرة أن الاحمق بن قيس قدم على عمر بن

الخطاب في وفده من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو محتجز^(١) بعبادة يهيا^(٢) بعير آمن إبل الصدقة فقال يا أخف ضع ثيابك وهلم فأعس أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والارملة والمسكين فقال رجل يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فإلا تأمر عبد آمن عبدا الصدقة يكفيك هذا فقال عمر يا ابن فلانة وأى عبده هو أعبد مني ومن الأحب هذا انه من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يحب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدته من الصيحة وأداء الأمانة في الإدارة .

تالله ان هذا الخلق لملو لصاحبه عن وصف الواصفين ومرتبة لا يبلغها أحد من الخلفاء والسلاطين ومن بعد نفسه عدداً للرعية اذا ملكها واحداً لها اذا أمرته عليها ويقوم على خدمتها قيام التابع على خدمة المتبوع في جزئيات أمورها وكليات سياستها الحديرة ان يقال هدا لك كريم لا ملك عظيم وحقيق بمثله الافتحار وعليه البكاء والى مثله الحنين ولا مثل لعمر جباراً على الظالمين رحياً للمستضعفين قوفاً على الحق كريم على الناس باراً بالرعية يتعب المستريح ويسر لتسام ويحجوع لشمع ويفتقر لستعي فسأل الله له الرحمة والرضوان كما سأل له لافسها العافية من الظلم والسلاطة من عاقبة الحوران عجب السؤال

﴿اهتمامه بأمر الرعية﴾

(وعسسه بالليل)

كان عمر رضي الله عنه من حرصه على راحة الرعية يتعمدهم بنفسه ويهتم بشؤونهم أكثر من اهتمامه بشؤون يتبوع ذلك به ان كان لا ينام عنهم بالليل كما

كان لا ينفصل عنهم ساعة من نهار فليله ونهاره في خدمة الرعية سواء اذ كان أكثر لياليه يعس بالمدينة بنفسه ويرتاد منازل المسلمين ويتقداحوهم شأن الامراء الذين يعرفون انهم بما فوض اليهم من أمر الهيمنة على القانوف خدام للرعية مسؤولون عن راحة الامة وسعادتها لان الرعية خدام لهم عبيد لشهواتهم

روى الطبري في تاريخه عن بكر بن عبد الله المزني قال جاء عمر بن الخطاب الى باب عبد الرحمن بن عوف فصر به فخاءت المرأة ففتحته ثم قالت له لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس محاسي فلم يدخل حتى حلت ثم قالت أدخل فدخل ثم قال هل من شيء فأنته بطعام فأكل وعبد الرحمن قائم يصلي فقال له تحو رأياها الرجل فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال رُفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فاطلق فلنحرسهم فاطلقا فأتيا السوق فمعدا على نشز (مرتفع) من الارض يتحدثان فرفع لهما صبايح فقال عمر المأنة عن المصاييح بعد اليوم فاطلقا فاداهم قوم على شراب لهم فقال اطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه فقال يا فلان كست وأصحابك البارحة على شراب قال وما علمك يا أمير المؤمنين قال شيء شهدته قال أولم يهلك الله عن التجسس قال فتجاوز عنه

قال بكر بن عبد الله وانما نهى عمر عن المصاييح لان الفأرة تأخذ القليلة فترميها في سقف البيت فيحترق وكان اذ ذاك سقف البيت من الخريد وأحرج عن ريد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة حتى اذا كنا بصرار اذا نار نورت (تنقد) فقال يا أسلم اني أرى هؤلاء ركبا قصرهم الليل والبرد اطلقنا فخرجنا هرول حتى دونا منهم فادا امرأة معها صبيان لها وقد رمى نصوصة على النار وصباياها يتصاغون (يتصايحون) فقال

عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام : قال أأدبو قالت ادن بجيرا أودع . فمدنا فقال ما مال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأني شيء في هذه القدر قالت ما أسكتهم به حتى يناموا . الله بيننا وبين عمر . قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويعمل عنا فأقبل عليّ (أي على أسلم) فقال انطلق بنا خرجا نهروا حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال أحمله عليّ فقلت أنا أحمله عنك قال أحمله عليّ سرتين أو ثلاثا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك ، فقال في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك حملته عليه وانطلق وانطلقت معه نهروا حتى انتهينا إليها فالتقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فحمل يقول لها ذري عليّ وأنا أحرك لك وحمل ينفخ تحت العدر وكان ذا الحية عظيمة فحملت أنظر إلى الدخان من حلق لحيته حتى أنصح وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابعني شيئا فأنته بصحمة فأفرغها فيها ثم حمل يقول اطعمهم وأنا أسطح لك فلم يرل حتى شبعوا ثم حلّى عندها فصل ذلك وقام وقت معه فحملت تقول جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين . فيقول قولي خيرا أنك إذا حثت أمير المؤمنين وحدثني ههناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها ورض مرض السمع فحملت أقول إن لك شأنا غير هذا وهو لا يكافئ حتى رأيت الصبية يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل عليّ فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأنكاهم فأحسنت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم .

وفي مناقب عمر الامام في المرح من الخورى عن أسلم من أنك فان
 يساعمر يس المدينة ادمر رحمة من رحاب ناداهو بيت من شعر لم يكن

بالامس فدانامنه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعداً قد نامنه فسلم عليه ثم قال من الرجل فقال رجل من اهل البادية جئت الى امير المؤمنين اصيب من فضله : فقال ما هذا الصوت الذي اسمعه في البيت قال انطلق يرحمك الله لحاجتك قال على ذلك ما هو قال امرأة تمخض قال هل عندها احد قال لا قال (اي انس) فانطلق حتى اتى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي رضي الله عنهما هل لك في احري ساقه الله اليك قالت وما هو قال امرأة عربية تمخض ليس عندها احد قالت نعم ان شئت قال فخذني معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيشي برمة وشحم وجبوب قال خأت به فقال لها انطقي وحمل البرمة ومشيت حاملة حتى انتهت الى البيت فقال لها ادخلي الى المرأة وحاء حتى قعد الى الرجل فقال له اوقدي باراً ففعل فأوقدت تحت البرمة حتى أضحها وولدت المرأة فقالت امرأته يا امير المؤمنين بشر صاحبك بسلام فلما سمع (أي الرجل) يا امير المؤمنين كأنها به جعل يتحنى عنه فقال له مكانك كما أنت تحمل البرمة فوصعها على الباب ثم قال (أي لام كلثوم) أشبعيها ففعلت ثم أخرحت البرمة فوصعتها على الباب فقام عمر رضى الله عنه فاحدها فوصعها بين يدي الرجل فقال كل ويحك فأك قد سهرت من الليل ففعل ثم قال (اي عمر) لامرأته اخرجي وقال لا رجل اذا كان عد فاتنا بأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل فأحارده وأعطاه

لله أي نفس طاهرة بارة هذه النفس وأي حاتم حاص من شوائب التصنع هذا الحاتم وأي حليقة عظيم بعد عمر يحمل نفسه مثل هذا الماء ونصع نفسه في هذه المرتبة من التواضع والرحمة ويأخذ نفسه بهذا الأدب والاهتمام بأفراد الرعية وهو يحسح الى التجرد عن شهوات الملك وعظمة السلطان والتبرل عن مرتبة التسلط والكبرياء الى منزله المساوي بأفراد الرعية وهيئات هيئات

فان الجبروت ملكة في نفوس الملوك لا يحبوها الا الرغبة في الله كربة
عمر او الرهبة من الشعب كربة ملوك الافرنجة من رعيته لهذا العهد

﴿ ورعه وزهده ﴾

تقدم معناني سيرة بني بكر (رض) ان طريقة الصباية في الزهد هي
العمة عن القصول والقناعة بالكفاف وان ليس منهم الا من كان له سبيل
للا تراق وعمل اليد سواء كان في التجارة والصناعة وقد كان عمر كما في رواية النخعي
تأخراً وانما هو كأبي بكر رضي الله عنهما ترك التجاره لما ولي امر المسلمين واقتنع
من بيت المال بالكفاف وقال اصحاب السيران عمر (رض) لما كتب نفسه في
المطاء اقام نفسه مقام الاجير وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه وابن الجوزي
في المناقب عن نافع عن ابن عمر قال جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى اليه فتح
القادسية ودمشق فقال اني كنت امراء باحرأ وقد شملت موني، أمرهم هذا فمادا
ترون انه يحل لي من هذا المال فكثر القوم وعلي رضي الله عنه ساكت فقال
يا علي ما تقول قال ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الامر
غيره فقال القول ما قال علي بن ابي طالب

واحرع اسلم قال فام رحل الى عمر بن الخطاب (رض) فقال ما يحل
لك من هذا المال فقال ما أسلحي وأصلح عيالي بالمعروف وحلة لاشياء وحلة
للصيف وراحلة عمر لالحج والعرة ودانة لحوائجه وحجاده

وروي الطبري ان هذا العطاء الذي رصيه عمر لنفسه وفرصه له المسامون
لم يكفه واستدت به الحاجة فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلي وطلحة
والزبير وتشاوروا في زيادة يريدونها العمر في دررته من بيت المال وانما قلته
بذلك فاتوا بنته حفصة وأمروها بتحريمه ما خبر وتري رأيه فيه ولا تدكر له

أسماءهم فلما أخبرته بذلك عرفت الغضب في وجهه وقال لها من هؤلاء : قالت
 لاسبيل الى علمهم حتى أعلم رأيك فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم أنت
 بيبي وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما أقتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك
 من الملس (وكانت زوجته) قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد ويخطب
 فيهما لاجمع قال فأتي الطمام ناله عندك ارفع قالت حين ناخزة شمير فصبتنا عليها
 وهي حارة أسفل عكة^(١) حملهاها هشة^(٢) دسمة فأكل منها وتطعم استطابة
 لها . قال فأتي مدسط كان يبسطه عندك كان أوطأ^(٣) قالت كساء لما يحين
 كتنا نرتعه في الصيف فنجمله تحتها فاذا كان الشتاء بسطنا نصمه وتدرنا نصفه
 قال يا حصة فألبسهم عى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روض الفصول
 مواضعها وتلغ بالرحية واني قد رت فوالله لأضعن الفصول مواضعها
 ولا تبلس بالرحية^(٤) واما ملى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا
 فوصى الاول وقد ترود را دأ بعلع ثم أسمه الآخر فسلط طريقه فأوصى اليه ثم اتبعه
 الثالث فان لم طريقهما ووصى برادهما الحس هما وكان معهما وان سلك غير
 طريقهما لم يحامهما

هكذا كان شأن عمر رضى الله عنه في العمة والصناعة والرعى بالكفاف
 مما يسد الجوع ويستريح العرى وروى في المناقب عن الحسن قال حطب عمر الناس
 وهو حليقة وعليه ارار فيه اثنتا عشرة رقعة . وفي المناقب أنصاع أبي عثمان
 الهدي قال رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه ارارمه اثنتا عشرة رقعة
 احدها بن نادم (حلد) أحمر وفيها عن قتادة أن عمر بن الخطاب أنطأ على

(١) قرنه اسم الصعيرة (٢) صرية (٣) ألبس (٤) قال في الفاموس تلغ بكدا

أكرى به وأرجح ولرء معنى واحد وهو صدأ أس

الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر اليهم في احتباسه وقال انما حبسني غسل ثوبي هذا ولم يكن لي ثوب غيره

وفيها عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال . قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك هذا وأكلت طعاما هو الين وأطيت من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير . فقال اني سأحاصمك الى نفسك أمتد كرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من العيش فما زال يد كرها حتى أنكأها

ومن هذا وغيره من أخبار عمرالكثيرة في الرهد بعلم انه (رض) انما سلك هذا الطريق من الرهد اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر الصديق ولم يكن يرصى لعامة المسلمين مثل هذا الرهد والتقص وانما هو كان يحملهم على الطريق الوسط كي لا ينعمسوا في النعيم ويسترسوا في الشهوات فتفسد أخلاقهم وتقرهمهم ولا يقطعوا عن العمل ويعرضوا بتأان عن نعيم الحياة فتحمل ملكاتهم وتعطل أمور معاشهم ومن يرى كتابه لدى كتبه الى أبي عبيدة ابن الجراح (وستأتي صورته في باب كتبه) يلومه فيه على شدته في منع المسلمين عن التمتع يتصح له مذهبه في حمل المسلمين على طريق الوسط وعدم حملهم على الرهد وانما هو كان يشدد على المال فقط في النهي عن التمتع ويحملهم على طريقته في الرهد كي لا يتبسطوا في نعيم الحصار ويتوسموا في اسباب الرفاه فيحملهم ذلك على السرف الذي يحتاج الى كثرة المال وروما حملت احدثهم حاجة السرف الى تناول المال من غير طرفة المشروعة فتأذى بهم لرعية ونصرب طام العدل لدي لم يكن شي في الدسا احب اليه منه

﴿كلمة في بيت المال﴾

علمت مما سر في القفصل السابق أن عمر رضي الله عنه انما سلك في زهده وتعففه طريق النبوة ولم يأخذ من بيت المال الا مقدار الحاجة للمعيشة الساذجة التي تليق بزهده كما ان المسلمين انما راعوا في فرصهم المطاء له حالة معيشته ولما اشتدت به الحاجة رأوا لزوم الريادة في عطائه ليعادل نفقته فأني عليهم هذه الريادة ورعا وزهداً وعمل الصحابة هذا يدل على جوار تناول الامير من بيت المال ما فيه الكفاية له في معيشته بنسبة حاله فيما لو ترقى أم ول معيشته اذ ليس في طاعة كل خليفة ان يسلك مسلك عمر وأني بكرى النقشف والرهدي وتأدب مثلهما آداب البوّة وليس ذاك بواجب على كل خليفة بل الواجب هو القصد في المعيشة والامساك عن البذل الى حد السرف والتعفف عن فضول أموال الأئمة ووضع أي مواضعها المشروعة كما كان ذلك من الخليفة عثمان رضي الله عنه فانه لما لم يستطع المسير على قدم من سبقه حار له ان يتوسع في المعيشة ويتناول من بيت المال ما يكفيه من غير سرف ولا تقير

وقد رأيت ان الصحابة رصوا ان الله عليهم لما تشاوروا في أمر الريادة في عطاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) انما راعوا حاجته الضرورية التي كانت تاسب معيشته وتقصى تلك الريادة ولم يراعوا نفس المنصب أو يريدوا الدوسعة عليه لقبول الاموال كما انه هو لم رص تلك الريادة حشية ان يكون فيها شيء من السرف في الاموال وجبدا لو نظر الخلفاء بعد هذا البطر وراعوا في بيت المال أو أمر الشريعة وسنة السلف من الصحابة فان فيها كل الحكمة وايسر في دأمر، مما دعا لهم عن تناول مقدار الحاجة مهما بلغ وانما هي تمنع من ساول الموصول والتوسع في البذل والسرف في المعيشة الى حد الاستمرار

بأنه وال بيت المال وتسيدها في سبيل الشهوات ووضعها في غير مواضعها
المشروعة التي لها قوام الأمة كلها بالاخلية وحده ولقد بلغ تجاوز هذه الحدود
المعقولة في دول الاسلام مبلغا يدهش عقول الباحثين وما نطى الآن أكثر البلاء
الذي حل هذه الأمة والضعف الذي انتابها في العصور القديمة والحديثة ناشئ
عن اسراف امرائها وسلاطينها وتبديدهم للاموال في طرق الشهوات وليست
هذه الآفة خاصة بدول الاسلام وامماهي عامة في كل دول الارض وامماهي
تفاوتت تفاوت الامم معرفة حقوق الرؤساء وحقوقها وتساين ببيان صمة
الحكومة في كل قوم

وأشقى الامم من هذا القليل الأمم التي لاحد لسلطة رؤسائها يعرف ولا عاية
لسلطانهم توصف وامماهم أرباب اليد المطلقة في أموال الرعية يأخذون منها
ما شاءوا ويمنعون من شاءوا ويفقون الاموال فيما شاءوا وليس عليهم من الامة
رقب عتيد ولا من الوجدان راحر عييد وقلما ميت مملكة بهذا النوع من الحكم
وبهذا البلاء من التسلط الآفي رادها وساء معادها والشاهد على هذا من دول
الاسلام سيأتي في هذا الكتاب وامما من دول أوروبا فيكون فيه ان يقال ان
الامبراطور شارل كان الذي قام في أوربا في أوائل القرن السادس عشر بعد
المسيح وملاك معظم الديار الاوربية وتسلط على سائر الشعوب والدوال للمسلم
يكن لسلطته حد في بيوت الاموال جعل يهق مهابا في سبيل سيادته على الملوك
في عصره ما لا يدخل تحت حساب حتى اد أحسن باله عز عن سياسة ديات
الملوك العرص اعقر سوت أموالها وانها كه قوى رعيتته تروى في دير من
الاديرة ولم يلبث ان مات فيه واسكشف تمويه عن سماء الملك لارو-تمص
الاسيايول وانك أساس ما سماه شارل كان لمدسه من الملك الكبير

حتى كأنه ما كان . لهذا لما تنهبت الشعوب الاوربية من سنة الفيلة ووضعوا احداً
 لسلطة الرؤساء والامبراطرة أخذوا على أيديهم فيما أخذوا التسلط على بيوت
 الاموال ومرضوا لكل منهم كفايته منه بنسبة حاله في المعيشة وحال بلاده من
 الثروة كما كان ذلك على عهد الخلفاء في صدر الاسلام فكان من ذلك ان عم اليسر
 خزائن الدول الاوربية وتوفرت على القيام بشؤون الرعية الحرية والعلمية
 واعتزت بفضول المال بأسباب المنة والحاء والقوة فبسطت جناح السلطان
 على معظم ممالك الارض وهذا شأن الحياة في الامم اذا دب ديبها في حسنها
 وبهت دورة الدم في عروقها والعكس بالعكس

ومن عجيب الامور ان يدالحا كم متى أطلقت في بيت المال يتقش الخليل
 في سائر فروع الحكومة تقشياً ويلا بحيث لو اراد الحاكم نفسه ان يتلافى ذلك
 الخلل لتعذر عليه ذلك بأى سبب من الاسباب ولو مهما كان قادراً أو مملكته غنية
 وأقرب شاهد يذكره للشرقي هنا ما كان في عهد المرحوم اسماعيل باشا الحديوي
 الاسبق في مصر من الخلل العظيم في سائر فروع الحكومة المصرية بسبب تسلطه
 على أموال الحكومة وسرفه فيها وتنديده لها في الوجوه التي لا تستلزمها حياة
 الامة ولا الملك حتى كان من ذلك ان مات العامل في الحكومة والجدي في الشكة
 لا يتناولان مرتتهما الا كل بصعة شهور مرة مع عى البلاد وثروتها ومع ما حملها
 من الديون التي تزيد عن مائة مليون من الليرات (الجنيات)

ولذا أحسن بالخطر الذي أشرفت عليه السلاد والصيق الذي استحوذ على
 مالية الحكومة وهب لتلافى ذلك الخطر وأخذ في تطعيم شؤون البلاد تمذر
 عليه ذلك مع طول بانه في السياسة وحسكته في الامور ووجود حال يساعده
 على ذلك القصد ثم فشل فشله المعروف في التاريخ وانتهى الامر به عن اماره

مصر باتفاق كل الدول صاحبات الديون في مصر مع الدولة المليسة صاحبة الشأن فيها ولما ولي الإمارة ابنه المرحوم توفيق باشا وأقبل منها على أمر جليل لا يقوم به الا العفيف الحازم الرأي وأراد أن ينقذ البلاد من ورطة الموز والحكومة من خلل النظام فأول ما بدأ به أن كفى يده عن بيوت الاموال وأمر بتنظيم شؤون الجباية وقيد نفسه بقانون مخصوص من جهة ما يتأوله وأباء عشيرته من الامراء من مال الحكومة وكان ذلك بشارة بمض مندوبى الدول صاحبات الشأن فى المالية وهو لحسن قصده لم يقاوم رأيهم أو أبى قبول اشارتهم ومن ثم تطهرت فى الحكومة علامات الاصلاح وبدأت فى الحال ثمره تنظيم الشؤون المالية حتى حدث ما حدث فى مصر من أسباب الثورة الدراية واحتلال الدولة الانكليزية فى البلاد ثم مضى الامر لهذا العهد على وجهه واستمر نظام المالية فى نمو وحماية البلاد فى ازدياد حتى بلغت الى هذا العهد عشرة ملايين ونصفاً من الجنهات وانتظمت سائر فروع الحكومة انتظاماً يحسد لها عليه كثير من الشعوب الشرقيين وحكوماتهم وكل ذلك نتيجة كفايد الحاكم عن بيوت الاموال وصسط أصول الجباية وحسابات الحكومة والله يوفق من شاء الى ما شاء

هذا وأما واضع بيت المال فى الاسلام فانه أبو بكر (رض) كما سرى سيرته وانما كان سادحاً تحشر اليه الاموال من القى والصدقة ثم تورع فى اماكها المشروعة وعلى لوحه الى أمر بها الله فى الكتاب الكريم الذى وضع للمسلمين أصول التوريع (المعروفة الآن بميزانية الحكومة المالية) وقد مرد كذا ذلك الا انه لم يكن منه صابط ولا قيد فى ديوان وقد رأيت فيما مضى من سيرة عمر رضى الله عنه كيف بهض لوصح الديوان ما كره القى والخرج وارتدت حبة صبطاً لا ورتت المال وتفسداً للعقبات وانما كان ديوانات المال هو المدفتر اذ

يُضبط فيه الحساب ثم ما زال يترقى الحال حتى تفرع عن بيت المال عدة دواوين على عهد الخلفاء من بني أمية وبني العباس كإدارة ديوان العطاء وحده وكذلك ديوان الخراج وديوان الاقطاع وسنستقصيها عند الكلام على رجال هذه الدول ان شاء الله وكل هذه الدواوين كانت تابعة لبيت المال وقد توسع الأئمة والفقهاء بمُدْفَى وضع الضوابط والقوانين الى تتعلق ببيت المال وكلها كانت استنباطاً من أصول الشريعة وعمل الصحابة مثل كتاب الخراج لابي يوسف وما يشبهه من الكتب الواردة في مؤلفات الفقه الاسلامي الا ان أمر بيوت الاموال تقلب بعد ذلك بتقلب الدول الاسلامية وتغير تغير الرماح وحرحت صوابه عن طوق الفقهاء واستأثر بها الامراء قلباً وإيداً لا ومحوا وإنباتاً على مقنصى الظروف والاحوال الى الآن

﴿حسبته﴾

أصل الحسبة هي مشاركة السوق والنظري. وإريسه ومكاييله ومنع الغش والتدليس فيما يباع ونشري فيه من المأكول والمصنوع وغيره وتسمير السوق ورفع الضرر عن الطريق ودفع الحرج عن السائله وتنظيف الارقة وبالجملة هي كل الوظائف المتعلقة بما يعرف الآن بالمجالس البلدية ولها في الاسلام ولاية خاصة تسمى ولاية الحسبة وأول من وضعها على ما يظهر هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء في كبر المال في حديث أخرجه ابن سعد عن الزهري ان عمر بن الخطاب استعمل عبد الله بن عتبة على السوق وقال العلماء هذا اصل ولاية الحسبة عليه السلام ومن ثم ترقى الحسبة في الاسلام ترقى باحتمال من اهم الشؤون التي عني بها الخلفاء والائمةاء وقد توسع لمص العلماء توسع الحاجة في وطيفة والي الحسبة جعلوها تشمل كل أمر معروف وهبي عن مسكروم هو لاء شيخ الاسلام ابن

تيمية فقد اُجاز التوسع في ولاية الحسبة حتى في اقامة الصلوات الخمس في مواقيتها
وتماهد الائمة والمؤذنين والزامهم باداء وظائفهم على مقتضى الشرع وحجته
في حوازل توسع بهذه الوظيفة ما قاله عن الولايات في كتاب الحسبة في الاسلام
المطبوع حديثاً في مصر ونصه

عموم الولايات وخصوصها وما يستعیده المتولى بالولاية يتلى من الالفاظ
والاحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع فقد يدخل في ولاية القضاء في
بعض الامكنة والارمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر
وبالعكس وكذلك الحسبة وولاية المال اه

ومن هذا ترى مبلغ عناية القوم بهذه الوظيفة السامية وتوسعهم فيها
وإتقانهم لهم حتى انارأياس من بعض آثار الحسبة على عهد الصاطميين قطعاً
مستديرة من الرراح ومزيجاً آخر معه على وزن الديار والدرهم مكنوناً عليها
وزن واف او ما هو بمنها ومثلها للاوران الحميفة وكلها كانت تصدر من والي
الحسبة او المحتسب على تعبير المؤرخين لاحل ان يصيبت بها الناس عيار الدراهم
والدناير والاوزان على ما يظن منعا للتلاعب والعش الا اسالم تقف على التاريخ
الذي المي فيه اسم المحتسب وامله منذ انشئت المجالس البلدية في المداينة العثمانية
وستتكم عليها في مكان آخر او توسع من هذا ان شاء الله

اما حسبة عمر رضى الله عنه فقد قدمنا ما استعمل له اعد الله بن عتمة ومع
ذلك فقد كان يقوم بنفسه بوظائف المحتسب ويشارف السوق ويراقب المكاييل
والموازين ويأمر بامانة الادى عن الطريق

أخرج الامام ابن الجوزي عن النسيب بن درم قال ريت عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يصرب حملاً لا يقوى حملت حملاً لا يصيق

وفي كنز العمال عن زيد بن فياض عن رجل من أهل المدينة قال دخل عمر بن الخطاب السوق وهو راكب فرأى دكاناً قد أحدث في السوق فكسره
وفيه عن عبد الله بن ساعدة الهذلي قال رأيت عمر بن الخطاب يضرب
التجار بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سكاك أسلم ويقول
لا تقطعوا علينا سابلتنا

وفيه عن علي أنه كان يأمر بالمشاءب^(١) والكنف تقطع عن طريق المسلمين
وفيه عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب ربح خطاط لسوق المصلى وبين
يديه غرارتان فيهما ريب فسأله عن سعرهما فسعره مدين بكل درهم فقال له عمر :
حدثت لمير مقبلة من الطائف تحمل زبياً وهم يعترون بسعرك فاما أن ترفع في
السعر واما أن تدخل ريبك البيت فتبيعه كيف شئت فلما رجع عمر حاسب نفسه
ثم أتى حاطباً داره فقال ان الذي قلت ليس بعمرمة ولا قضاء وانما هو شيء
أردت به الخير لاهل البيت حيث شئت فبيع وكيف شئت فبيع (أخرجه
الشافعي في السنن)

وله اخبار غير هذه في الحسبة وقد اكتبنا عنها ما تقدم دلالة على الباقي

﴿ قضاؤه ﴾

كتبت في سيرة أني اكره صلا عن القضاء في الاسلام وكيف كان يقصى
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا نرى حاجة للمريد هما الا لمض أخبار عمر في
القضاء فاما أنا في هذا إماماً للهائدة

كان عمر رضي الله عنه يتولى القضاء بنفسه ويدين عنه غيره لما هو معروف
من أن اللهاء في الاسلام وطيمة من وطائف الامام محور له أن يتولاها بنفسه

وأن يذنب بها عند الحاجة غيره وكان تحريره للعبد التي في انتخاب القضاة كتحريره في
انتخاب الولاية لا يراعي في كليهما إلا الاهلية والاستعداد والتقوى والمدل ويعلم
أن أئم الظالم إذا ظلم على موليه فقصد أخرج ابن الحوزي في المناقب عن عبد الملك
ابن عمير قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من استعمل رجلاً لمودة
أو لقرباً لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين
وأخرج عن عمران بن سليم عن عمر قال من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه
فاجر فهو مثله

وكما كان يتحرى في انتقاء المال والقضاة التقوى والمدل يتحرى العلم
والمعرفة والدعاء وينفض خرق العامل وجهه

أخرج ابن الحوزي عن محارب بن دثار عن عمر بن الخطاب أنه قال لرجل
قاض من أنت قال فاضى دمشق قال كيف تقضى قال أقضى بكتاب الله . قال فإذا
جاءك ما ليس في كتاب الله قال أقضى بسنة رسول الله . قال فإذا جاءك ما ليس في
سنة رسول الله قال احتسب رأيي وأوامر (أي أشاور) جلسائي قال أحسنت
وقال فإذا جلست فقل اللهم اني أسئلك أن أفتي بلم وإن أقضى بحكم . وأسئلك العدل
في العصب والرصى . قال فسار الرجل ماشاء الله أن يسره ثم رجع إلى عمر
فقال ما رجوعتك قال رأيت الناس والقمر يقنلان مع كل واحد منهما ما هو
من الكواكب فهما مع أيهما كنت قال مع القمر . قال يقول لله عز وجل
(وحملنا الليل والهارآيتين فحونا الآية الليل وحملنا آية النهار مصرة) لا لي في عملا
وانما عمر له لعله وأعمده عن العمل اسحابة قوله وهكذا كان شأنه مع
عماله رضى الله عنه

وكان لا يحب تمجيل الفصل في الخصومة رجاء أن يصلح الخصمان وتمحي

آثار الضغائن من النفوس فقد جاء في كنز العمال عنه رضى الله عنه انه قال ردوا
الخصوم حتى يصطالحوا فان فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس. وأما كلامه
في القضاء ووصاياه للقضاة فظهر من الكتابين السابقين

﴿ كتابه في القضاء الى شريح القاضى ﴾

أما بعد اذا جاءك شئ في كتاب الله فاقض به ولا يلفسك عنه الرجال فان
جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها فان
جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه
الناس فخذ به . فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم
يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت . ان شئت ان تجتهد رأيك وتقدم
فتقدم . وان شئت ان تأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك اهـ (من كنز العمال)
وأما أقصيته فكثيرة لا يسعها هذا الكتاب فليرجع اليها من أحب في كتب
الحديث وقد حالف في بعض أحكامه ما قصت به السنة مراعاة للحال والمصلحة
ولم يؤاخذ على ذلك لحسن قصده منها حكمه بتحريم المنعة وقد أحلت في ظروف
مخصوصة ومها حكمه بوقوع الطلاق الثلاث اذا صدر عن شخص مرة واحدة
مع ان السنة قضت بوقوع طلاق واحدة وأراد هذا قهر الهوس على تجنب
الطلاق لما يحصل عند المطلق من الدامة اذا أحسن أتم الحكم بوقوع الطلاق
الثلاث وغير ذلك من الأحكام النافعة الى أحد بهاء بعد كثير من أئمة المسلمين
اقتداء بحسن رأيه وحميل قصده فليرجع اليها في مطايعها من كتب الأئمة
والحديث من شاء

بسم كتابه في القضاء الى أنى موسى الأشعري ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فان القضاء ورخصة محكمة وسنة متبعة فافهم

إذا أدلى اليك^(١) فإنه لا يمنع تكلم بحق لا نفاذه آس^(٢) بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حينك^(٣) ولا يخاف ضعيف من جورك والبيئة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائر بين المسلمين الا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً. ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل. الفهم اللههم عندما يتلجج^(٤) في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم. اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى أحبا الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حملاً عابثاً أوينة أمداً يتهي اليه (أي وقتاً محدوداً) فان أحصر ينشأ أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنى للشك وأحلى للعمى وألغى في العذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محلوداً في حد أو مجر بأعليه شهادة رور أو طيباً^(٥) في ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودراكم بالشبهات. ثم اياك القلق والصحر والتأدي بالناس والذكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأحر ويحسن بها الدخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن ترين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأدى فعله والسلام (من البيان والتبيين)

وهذا الكتاب على إيجازه هو الذي تدور عليه أحكام القضاء الى هذا العهد

(١) رفع لك الامر وحى به الملك (٢) اعتدل وسو (٣) الخيف الحور والصد

كفى القاموس (٤) اتاحلج الردد في الكلام كما في تهوون (٥) هو آية

قرايه أو ولاته

﴿ فراسته و ذكاؤه ﴾

كان رضى الله عنه حديد الدكاء شديد الفراسة يكاد بفراسته يستطلع خبايا القلوب ويستخرج ما تكنه النفوس وقد ساعده تفرسه في الناس على وضع الشدة في مواضعها واللين في مواضعه حتى أخذ بنواصى الناس واستكانت له النفوس رعية ورهبة وكان أشد الناس حذراً منه قریش كما كان هو أشد الناس حذراً منهم واستكنوا أوال كنه ضمائرهم ليحسن إلى محسنهم ويأخذ على يدي مسيئهم لهذا دبت في قلوبهم هيبته وفعلت في نفوسهم فراسته

لما جاء عمرو بن العاص من جيفر وأخبر المسلمين بكثرة من تجمع لهم من حيوش الردة في خلافة أبي بكر تفرق المسلمون وتحلة واحلقاً وأقبل عمر للتسليم على عمرو وفر على حلقة فيها نفر من المهاجرين وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد فلما دنا عمر منهم سكنوا فقال فيم أتم فلم يجيبوه فاستطلع طلع واطنهم وأدرك بفراسته ما هو دأبهم من الكلام فقال لهم انكم تقولون ما أخوفنا على قریش من العرب قالوا صدقت قال فلا تخافوهم يا والله منكم على العرب اخوف من العرب عليكم والله لو تدخلون معاشر قریش حجر ألد حلقه العرب في آثاركم فاتقوا الله فيهم ومضى

ولاحي ما في هذا الكلام من المعاصر خلافاً فيه من الاستحسان بقوة العرب وإنما أدرك ما حاصر هو سبهم من أحوار الردة فأراد أن يستعز منهم صدق العريضة لمصافرة أنى تكر ومكافته على استحسان العرب وبين لهم أنهم قدوة العرب وأئمة الناس خيما يحبوا المحبة معهم الناس طوعاً أو كرهاً وهذا هو الحق الذي شهد له الخوادم العظمى التي حذب بعد خلافة أبي بكر وعمر وسبق بها العرب إلى مأساة و الله ودخلوا مع قرس لي حيب دخلوا كما هو معروف في

التاريخ وسنشير اليه في محله ان شاء الله

وحسب عمر من سعة المدارك وبعد النظر والدكاء قيامه ببيعة أبي بكر ومبادرته الى ذلك قل اخوانه من المهاجرين مع تحققة ان أمر البيعة موط بالشورى متوقف على اتفاق المهاجرين وغيرهم من أهل الحل والعقد لهذا اعتداه بعد ذلك فلتة وفي الله المسلمين شرها كما ستري في احدى خطبه التي تحي في باب الخطب وانما عجل ببيعة أبي بكر لما كان يهرسه في وجوه القوم ويتوقعه من المهاجرين من الاختلاف كما كان ذلك من الانصار ويابح الأمة لو حدث من الخلاف بين المهاجرين في ذلك العهد ما حدث في خلافة عثمان وما بعده اذ كان الاسلام عصاً طرأوا الناس لوفاء النبي صلى الله عليه وسلم في اضطراب والعرب على قدم القيام على المسلمين وإيماناً في هذا الخطر وحال دون ذلك الخلاف عمر رضي الله عنه بمبايعته لأبي بكر لعلمه به أقدم المهاجرين اسلاماً وأكرم سنناً وأضعفهم عصية فاداً تعجل بمبايعته قطع آمال المتطلمين الى الخلافة من أولي العصيات الكثرة فكانوا ناههم عصية لاني كريدودون عن حوضه ويعون نحو طاعته لا سماوان ايس لاحد منهم عانه بعد تقرير أمر الخلافة الانصره الدين والقيام على الحق شأنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى حياته وانما هم تراجموا على الخلافة بعدد لا عزاز كل فرد منهم بعصيته وساقته في الاسلام وكونه يرى نفسه أولى بخدمة المسلمين وأحق بامرة المؤمنين لانهم كما قدمه في غير هذا المحل كانوا كالحلقة المفرعة لا يدري أين طرفاها . أي كلها أهل للخلافة وحدير بخدمة ذلك المصطفى عمر ببيعة أبي بكر قطع حبه . قول كل حطيب وحابهم كاهم راصين بها العلمهم بساقته وقصه وعمره ولا صفتان صمير كل فرد من المتطلمين اليه انصره . أعني لا حرو هذا الذي دعا لارتياحهم

جميعاً لخلافة أبي بكر وإنما كان القائم بها العارف بلزومها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم أجمعين

ومن عجيب فراسته التي كان كأنه ينظر منها لعين الغيب ماذا كره ابن عبدربه في العقد قال قال أبو بكر بن أبي شيبة كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب وكان يقدمه على الأكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط فقال له يوماً كدت أستعملك ولكن أخشى أن تستحل النبي على التأويل فلما صار الأمر إلى علي استعمله على النصرة فاستحل النبي على تأويل قول الله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقرر فيه ذلك عمر من قبل

هكذا كان مبلغ فراسة عمر رضي الله عنه خصوصاً في هاشم وقد كان يتقرس فهم القيام يوماً لطلب الخلافة وإثارة عار الفتى والاستحواذ على ذلك المنصب الذي كانوا يرون أنفسهم أحق الناس به على خلاف ما كان يراه حلة المهاجرين الذين يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم من أن يعملوا له عملاً كي لا يحدتوا أنفسهم بشيء من الإمارة لأنها غير الشؤفة ومن ذلك ما ذكره في العقدان العباس عم أبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ولايته فقال له (يا عم نفس تحمها خير من ولاية لا تحمصها)

وكان عمر لقرسه فيهم التطلع إلى الإمارة لا يستعمل أحداً منهم كالم يستعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاطه هذا فيهم وقد حاهر به لعبد الله بن عباس مراراً ومه ما تقدم ذكره في باب سياسته اذ قال له يا ابن عباس اني حسيت أن يأتي عليّ لذي هوأت وأنت في عمالك فقول لهم الينا ولا لهم اليكم دون غيركم

ولقد تحققت فراسته في بني هاشم بعد اذ قضوا عصوراً طويلة في مكافئة
الملوك ومزاحمة الخلفاء على الخلافة وأسسوا عدة دول أضخمها العباسية في
بغداد والفاطمية في أفريقيا وأهرقوا سيولا من دماء أشياعهم وأشياع غيرهم في
سبيل نيل هذه البغية. وتأتى عن هذه المزاحمة من التشويش في أمور الدول
الاسلامية والاضطراب في المسلمين ما الله به عليم. على اهم لو اتعطا بعمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ صرف أسلافهم عن الامارة وصر فها عنهم لما أقدموا على
شي من ذلك بل لكانوا اذا استمر في نفوسهم شيء من التطلع الى الخلافة سلكوا
اليها سبيلا غير ذلك السبيل وحملوا الأمة أجمعها طاحمة الانظار اليهم ساعية
نفسها لاسناد مصب الخلافة لاهل الجدارة منهم وحسبهم موعظة وذكرى
ان علي بن أبي طالب رضى الله عنه على صلاحه وتقواه وسابقته في الاسلام
وقرأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهرته بالعدل والورع والرهدة (ومن
كملي بعده) لم يتوقف عن جمع كلمة الأمة على الرضى بحلافته لاقصوريه مما د الله
واما هو لما وقر في هوس الامة يومئذ من ان الهاشميين بسبب قرأتهم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يسكون عن الادلال على الناس وحب الاستعلاء على
الكافة والذاس يومئذ في ان شاة الاسلام وعمر الحرية وخطيرة المساواة والاحاء
التي حصرهم اليها الاسلام بقوله تعالى (اما المؤمنون اخوه) او يقول النبي صلى الله
عليه وسلم (لا فصل امرنى على عجمي الا بالقوى) فوهم ان يسلمهم سوهاشم
شيئا من هذه المعة بالاستعلاء عليهم كانوا غير ميااين لاسيخلاف أحد منهم بذلك
على صدى هذا القول ما ذكره في المقصد عند الله من عباس قال ماشيت عمر
ابن الخطاب يوم ما فقال لي بالن عباس ما يجمع قومكم منكم وأسماء أهل البيت خاصة
قلت لا أدري قال لكى أدري اكم فصلموهم بالبوقة فقالوا ان وصلوا باحلافه

مع النبوة لم يبقوا لاشيئا وان افضل النصيبين بأيديكم بل ما احاطها الا مجتمعة لكم
وان نزلت على رعم أنف قریش (يريد الخلافة)
﴿ نبد من فنون اقواله واخباره ﴾

من اخباره في الشفقة ورقة القلب ما اخرج به في المناقب عن الاحنف بن
قيس قال وفدنا على عمر رضي الله عنه بفتح عظيم فقال أين برتم . فقلت في مكان كذا
فقام معنا حتى اتهمنا الى مناخروا حلما فعمل يتحلم ابصره ويقول ألا تقيم الله
في ركاكم هذه أما علمتم ان لها عليكم حقا لا حليتكم عنها فاكلت من ننت الارض
فقلنا يا امير المؤمنين ان اقدم ما بفتح عظيم فاحببنا للتسرع الى امير المؤمنين بما يسره
عن نافع قال دخل شاب قوي المسجد وفي يده مشاقص ^(١) وهو يقول من
يعبى في سبيل الله فدعا به عمر فأتى به فقال من يستأجر مني هذا يعمل في أرضه
وقال رحل من الانصار انابا امير المؤمنين قال لكم تأجروه قال كل شهر بكدا
وكذا قال حذوه فانطلق به فعمل في ارض الرجل اشبرا ثم قال عمر للرجل ما
فعل أحبرنا قال صالح يا امير المؤمنين قال اتنى به وعا احتمع له من الاحر
فخاء به ونصرة من دراهم فقال (عمر للرجل) حذوه فان شئت فالآن اعر
وان شئت فاحلس

وشفقته على هذا الرجل هي من حمة ابراهيم ويا واهلا للعمل فاعطاه مل
يستأجره كي لا يكون عالة على الناس

ومن جميل احبارة في تأديب الناس على ستر العورات وكتبات ما عيس
لشرف الصيانة ما جاء في المناقب عن الشعبي قال اتى عمر من الخطاب رحل فقال ان

(١) قال في الاموس المشتص كم مر حل عمر بص اوسهم و به ذلك والمصل الطويل او
سهم فيه ذلك رمى به الوحش

ابنتي كنت وأدتها^(١) في الجاهلية فاستخر حياها قبل أن تموت فأدركت معنا الاسلام فاسلمت ثم أصابها حد من حدود الله فاحذت الشعرة لتذبح نفسها وأدركتناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برأت ثم اقبلت بعد توبة حسنة وهي تخطب الى قوم افأخبرهم بالذي كان . فقال عمر (رضى) اتعمد الى ماستره الله فتبديه والله أئن اخبرت بشأها احداً من الناس لاجعلك بكالا لاهل الامصار نكحها نكاح العفيفة المسلمة

ومن أحماره في رفع القصاص عن القاتل دفاعاً عن الشرف والعرض ما أخرجه في المواقف عن الليث عن عبد الله بن صالح قال أتني عمر بن الخطاب فبقي أمر دوحد قتيلا ملقى على وجهه في الطريق فسأل عمر عن أمره واحتهد فلم يقف له على حبر ولم يعرف له قاتل فشق ذلك على عمر وقال اللهم اظهر لي بقاتله حتى اذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك وجد صبي مولود ملقى موضع القتيل فأتني به عمر فقال طهرت بدم القتيل ان شاء الله فدفع الصبي الى امرأة وقال لها قومي بشأه وحدي ما نفقته وانطري من يأخذه منك فاداوحدت امرأة تقمله واتضه الى صدرها فاعلمني بكائها فلما شب الصبي جاءت حارية فقالت للمرأة ان سيدتي نمثني اليك تبعني الصبي ليراه وترده اليك . قالت نعم اذهبي به اليها وانامك فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما رأتها أحده فقبلته وصمته اليها فاداهي بنت شريح من الانصار من أصحاب رسول الله فاحبرت عمر حبر المرأة فاشتمل عمر على سيده ثم أقبل الى مرلها وحدثها ما تكلمت على باب داره فقال يا أبا فلان ما فعلت ابنيك ولانة قال يا مير المؤمنين حراها لله خير آهي من عرف

(١) الزود هو دفن السابو هو أخيه . كاتمه . ودعه . امر به حيايه وماح

الناس بحق الله تعالى وحق أبيهما مع حسن صلاتها وصيائها والقيام بدينها فقال عمر
 قد أحبيت أن أدخل اليها ما يزيد هارغبة في الخير وأحسها على ذلك فقال جزاك الله
 خيراً يا أمير المؤمنين أمكث مكانك حتى أرجع إليك . فاستأذن لعمر فلما دخل
 عمر أمر كل من كان عنده ما خرج عنها وبقيت هي وعمر في البيت ليس معها أحد
 فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني وكان عمر لا يكذب : فقالت على رسلك
 يا أمير المؤمنين فوالله لأسددن . از عجوراً كانت تدخل علي فأتخذتها أمماً
 وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فامضيت بذلك
 حينئذ ثم إنها قالت لي يا بديعة انه قد عرض لي سفر ولى بنت أتخوف عليها منه ارتضاع
 وقد أحبيت أن اضمها إليك حتى أرجع من سوري . فعمدت الى ابن لها شاب
 امرد فمياأته كهيئة الجارية وأتت به لأشك انه جارية وكان يرى منى ما ترى الجارية
 من الجارية حتى اغتعلني يوماً وأنا نائمة فاشمرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي
 الى شعرة كانت الى حنجر قلته ثم امرت به فالتني حيث رأيت فاشتملت به على
 هذا الصبي فلما وصعته القيته في موضع أبيه فهدا والله خبرهما على ما أعلمتك فقال
 عمر صدقت بارك الله فيك ثم أوصاهما ووعظهما ودعاهما وخرج وقال لا يهاب بارك
 الله في ابنتك فمع الانسة أبالك وقد وعظتها وأمرتها فقال الشيخ وصلك الله
 يا أمير المؤمنين وحرالك خبر أعرض عيتك

منهم من شئ من أحماره

عن الحسن قال عاب عيبة عمان فقال له كان عمر خيراً لك منك أعطانا
 فاعساناً وأحساناً فاعماناً

تظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى انه صر به وتعدى عليه فقال اللهم اني
 لأحل لهم اعتسارهم ولا أنسارهم (أمواهم وأجسامهم) كل من ظلمه أمير فلا

أمير عليه دوني ثم أقاده منه (أي أخذله القود)

وقال المغيرة بن شعبه وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه أن يتخضع وعقل يمنعه أن يتخضع

في كز المال عن طاوس أن عمر قال أرايتم أن استعملت عليكم خيبر من أعلم ثم أمرته بالعدل أفضيت ما علي قالوا نعم قال لا حي أنظري عمله أعمل بما أمرته أم لا وفيه عن عمر قال الرعية مؤدية إلى الامام ما أدّى الامام إلى الله فاذا رفع الامام رفعوا (أخرجه ابن سعد)

وفيه عنه أنه قال لا ينبغي أن يلى هذا الامر إلا رجل فيه أربع حلال الثلثين في غير ضعف والشدّة في غير عف والامساك في غير بخل والسماحة في غير سرف فان سقطت واحدة منهن فسدت الثلاث

وما طعن ان حليفة اتصف بهذه الصفات من غير تصنع ولا تكلف كعمر رضي الله عنه

وفيه عن قطن بن وهب عن عمه انه كان مع عمر من الخطاب في سفر فلما كان قرية آمن الروحاء سمع صوت راعي في جبل فعدل اليه فلما دام معه صاح ياراعي الغنم فاجابه الراعي فقال له انى مررت بمكان هوأ حصب من مكانك فان كل راعي مسؤول عن رعيه ثم عدل صدور الركاب (أخرجه الامام مالك وابن سعد)

وتالله ان هذا الاهتمام بشؤون الناس حتى في ارشاد لرعاة الى اماكن الحصص لجدير بأن يقوم به كل حليفة من حلفاء المسلمين اقتداء بسلفهم الصالحين وهيأه هيئات فان السهوات علافة ومحمة لدات حلالة وليس كل المموس حيرة كنفس عمر

وفيه عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال في ولايته من ولى هذا

الأمير يمدني فليدلي السير بدمعة الدم والقرب وأمر الله ما كنت إلا قاتل
الناس عن نفسي جلالاً

وأخرج ابن الجوزي في السائب عن يحيى بن جندب قال : قال عمر لو لا أبي
أسير في سبيل الله أو أضع جنيته في الزراب أو أجالس قوماً يلقطون طيب
القول كما يلقط طيب التمر لا حببت أن أكون قد لحقت بالله

وفيه عن ابن سعد قال : قال عمر والله ما أدري أجلي أنا أم ملك فإن كنت
ملكاً فهذا أمر عظيم : فقال قائل يا أمير المؤمنين إن فيها فرقا قال ما هو : قال
الخلية لا يأخذ الآحق ولا يضعه إلا في حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف
الناس فيأخذ من هداويه طي هذا فسكت عمر

وفيه عن الرهري قال كان جلساء عمر أهل القرآن كهولاً كانوا أو شباناً
وفيه عن الأوراعي قال لفتني إن عمر (رض) سمع صوت بكاء في بيت ومعه
غيره فقال عليهم ضر نأحتي لعل النائحة فصر بها حتى سقط حماره أو قال أصرب فأسها
بأنحة لا حرمه لها أنها لا تسكي لشجوكم أنما تهريق دموعها على أخذ دراهمكم أنها
تؤدي أموالكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم . إنها تهوى عن الصبر الذي أمر الله
به وتأمر بالجرع الذي نهى الله عنه

وفيه عن عبد الله بن بريدة قال ربما أخذ عمر من الخطاب يد الصبي فيجيء
به ويقول ادع لي فإنك لم تدب له دُ وفيه عن محمد قال كان عمر يشاور حتى المرأة
وفيه عن أنى إمامة من سهل قال كتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما
علموا علماكم العوم ومقاتلتكم الرمي

ولا يحى أنه أراد بهذا التعليم التمرن على فنون الحرب من حال الصغر
وانما كان تعلم الرمي من أهم لوازم الحد بالنسبة لذلك العصر

وأما في هذا المصنف فلزام الحرب كثيرة ومنها العلم بقول الكسبية لأجل
عمل المواد اللازمة التي يحتاج اليها المحارب وتعلم الهندسة واليكافيات أي علم
صناعة الآلات لأجل عمل المدافع والبنادق والقلاع والتارس ونحوها من
لزام القوة والدفاع وفي الجغرافيا لأجل معرفة أطوال البلاد وعرضها وسهولها
ونجودها وظرفها وجبالها وأخلاق أهلها وقوسهم وزيوتهم وغير ذلك مما يمين
على معرفة البلاد وأهلها معرفة تامة قبلي مهاجمها وإعلان الحرب على
أهلها (ومن الترييب) أن يقوم مهندستين بعض علماء المسلمين في مصر معلنين
على ملا الناس أن ادخال أهون هذه العلوم في أصول التعليم في الأزهر وهو فن
تقويم البلدان غير جائز ولا مفيد وهم يقرؤون كل يوم مئات من مثل هذه الآثار
والاخبار تدعو الى الخس على العناية بفنون الحرب وصرف الهمم الى مباراة
الاعمى مضمار الحياة والقوة وكأهم لا يقرؤون من ذلك شيئاً ولا يملكون فائلاً
وأنا اليه راجعون

وأخرج الطبري عن زيد بن أسلم قال قال عمر كماً زهد المقرض بخيلاً
وأما هي المواساة

ومن ما نورد كلامه قوله من كتم سره كان الخيار في يده - أشقى الولاة من
شقيت به رعيته - أعقل الناس أعذرهم للناس ما لجرصر فانا ذهب لعقول
الرحال من الطمع لا يكن حبك كلفاً ولا نمصك تلفاً - مؤذون القرانات ان
يتراوروا ولا يتجاوروا قلماً أدبر شئ فأقبل أشكو الى الله صعب الامين
وخيانة القوي من لا يعرف الشركان أحذر أن يقع فيه (عن رهر الآداب
ونهر الالباب)

ودخل عدي بن حاتم على عمر وسلم وعمره شعول فقال يا أمير المؤمنين انا

عدي بن حاتم فقال : ما أعرفني بك آمنت اذ كفر واووفيت اذ غدر واوعرفت اذ أنكر واأقبلت اذ أدبر وا (عنه أيضا)

ومن جميل قوله اياكم والمعاذير فان كثيرا منها كذب وقوله تعلموا المهنة فانه يوشك أحدكم ان يحتاج الى مهنته (المناقب)

عن قبيصة بن جابر قال . قال لي عمر بن الخطاب انك رجل حدث السن فصيح اللسان فسيح الصدر وانه يكون في الرجل عشرة أخلاق تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيغلب الخلق السيئ التسعة الاخلاق الحسنة فأتق عثرات الاشياء

وفي المناقب عن عبيد أمّ كلاب انه سمع عمر يقول لا يعجبنيكم من الرجل طنطنته^(١) ولكن من أدّى الامانة وكف عن اعراض الناس فهو الرجل وفيه عن اسماعيل بن أمية قال قال عمر الراحة في ترك خطاء السوء وما أعظمها من حكمة وأفيدها من موعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعن سروق قال تذاكرنا بعد عمر بن الخطاب الحسب فقال حسب المرء دينه وأصله عقله ومروءته خلقه

ومن قوله في بيان وصيلة الكسب ما ذكره في المناقب عن عطاء قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أمت ببيت شعبي رَحَل (هو قُبْلُ الحِمْل) أَسْمَى في الارض أَسْتَمِي من فصل الله كهف وجهي أحبُّ اليّ من أن أموت عارياً (كلمة احمالية في أخلاقه)

هذا ما أحسنا ايراده من مناصب عمر (رص) وأخلاقه وسيرته ومنه تعلم كيف كان ذلك الرجل العظيم فيتأمل لك فيه صورة من الدور وجسم من المفضيلة

والكمال وعلم من أعلام الرجال الذين تفتخر بحياتهم الأئمة ويقتدي بسيرتهم
أرباب المهمة فالجد والصبر والثبات والجلد والقوة والعدل والتقوى والتواضع
والرفق والحلم والبصيرة والرأى كلها أخلاق فلان تجتمع في عدد عديد من
الرجال وقد اجتمعت في عمر بن الخطاب كما رأيت فيما أوردناه من سيرته وكل
أخلاقه هذه تكاد تكون فطرية لا يظهر عليها شيء من التصنع أو التكلف ولو
أردنا استقصاء كل أخباره وآثاره لا نعجز بهذا الأمر كما أعجز كثير غيرنا من
الفضلاء الذين حاولوا جمع أخباره وتبع آثاره فلم يدركوا عايتها ولم يأتوا بمعشارها
ومن أحسن وصف موجز وصف به عمر ما روى أن معاوية بن أبي سفيان قال
لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال

كان عالماً برعيته عادلاً في قصيته عارياً من الكبر قولاً للمعذر سهل الحجاب
مصون الباب متحريراً للصواب رفيقاً بالصغير غير محابٍ للقريب ولا
حافٍ للغريب

وكان من أحص صفاته الجسد المصحوب بالحزم مع التأني في الأمور
والاستشارة في جليلها وحقيرها لهذا من تتبع سيرته لا يراه فشل في أمر من
الأمور بل كل تلك الأعمال التي عملها في خلافته وذلك الفتح العظيم الذي كان
على عهده توفيق إليه توفيقاً صاحبه من أول عهده بالخلافة إلى حين وفاته وسبب
هذا التوفيق هو الجد والحزم وعدم التردد في الأمر وتمحيص الأشياء شأن كل
رجل عظيم يريد ما يقول ويال ما يريد ولو لم يكن في تاريخ الأمم القديمة والحديثة
لوحداً لكل أمة رجلاً أو رجلاً من رجال السياسة والحرب تفتخر بهم وأتباعي
ذكرهم ولكن ليس من هؤلاء الرجال من اجتمعت فيه كل تلك الخصال السامية
والأخلاق الحميدة التي اجتمعت في عمر بن الخطاب . إذن فاد افتحرت كل أمة

برجالها فمن لا يبلغ اذا طغر لم يلد الرجل العظيم كل الامم وان كان هناك
 مساكنة في القول أو غلو في الوصف ووقف غير آمن من رجال الامم المشهورين
 على من انصف بكل صفات عمر فليسته له وهو المتفضل وأنا أصح له حسني في
 التراب اعتبر ابا الحسن واقرا كيف فضل ذوي الفضل من رجال العالم
 ثم ان من مشهورى الرجال رجالاً آمنسوا ملكاً عمر أيضاً أوسع من ملك
 عمر واقضوا من الملك ما لم يقتضه ونالوا من السيادة على الشعوب الكثير فوق
 ما نال ولكن هل منهم من كان كعمر جبار غير ظالم كزعماء غير مسرف عادلاً
 لا عن ضعف شجاعاً غير مهور قنوعاً غير شره زاهداً غير تصنع حليماً من غير جبن
 تقياً غير متنطمع كلاً ما نظن ان اوصافاً كهذه تجمع في رجل واحد غير فقط لاسيما
 اذا نشأ في بيئة كريمة وبن قوم كقومه حالهم من البداءة معروف والتاريخ حكم
 عدل وما بسطناه من سيرته في هذا الكتاب خير شاهد أمين وأنا والله لآتمنى
 لكثير ممن مصى من خلقنا الذين نشأوا في مهاد الحصار وحنكتهم تجارب
 الزمان وغدتهم لبان السياسة بعضاً من أخلاق عمر يحملون بها الامة على طريق
 الخير والسعادة ويربونها على الجدة ويتكبرون بها طرق المهالك التي ساقها اليها
 يد الظلم والاستبداد والجمل باصول سياسة الرعية والله في خلقه شؤون

﴿ أولياته ﴾

تقدم معنا كلام طويل على آثار عمر في الخلافة وفي تلك الآثار ما هو من
 أولياته ونحن نقل هنا بوجه الاحمال أوليات عمر كما ذكرها السيوطي في تاريخه
 فهو أول من كتب التاريخ من المحبرة وأول من اتخذ بيت المال وأول من سن
 قيام شهر رمضان وأول من عس بالليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من
 صرب في الحرم نماين وأول من حرم المتعة وأول من سعى عن بيع أمهات الاولاد

وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة وأول من فتح القنوج ومسح السواك وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أبله (البحر الأحمر) إلى المدينة وأول من أحسن صدقة^(١) في الإسلام وأول من أعاد القرائن^(٢) وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال أطال الله بقاءك (قاله علي) وأول من قال أبدك الله (وقاله أيضاً) وأول من اتخذ الدرّة وأول من استغضى القضاة في الأمصار وأول من مصر الأمصار وأول من سعى أمير المؤمنين وكان يكتب أولاً من خليفة أبي بكر ومن خليفة خليفة رسول الله حتى كتب مرة إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جدين يسألهم عن العراق وأهله فبعث إليه ليدين ربيعة وعدي بن حاتم فقدموا المدينة ودخلا المسجد فوجداهما عمر بن العاص فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمر اتما والله أصبما اسمه فدخل عليه عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدالك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره وقال أنت الأمير ونحن المؤمنون فخرى الكتاب بذلك من يومئذ

وهو أول من اتخذ دار الدقيق يمين به المقطع وأول من وسع المسجد النبوي وفرشه بالحصاء

هذا ما نقله السيوطي من أوليات عمر عن النووي والعسكري وابن سعد ونزید عليه أنه أول من ضرب النقود في الإسلام وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل وأول من أقام واليا للحسبة وأول من شق الترع وأقام الحسور وأول من وضع المراتطة من الجندي في الثعور وسمى الأحاد وأول من أمر بالعباية بالمطير وأول من عين شخصا محصوا لاقتصاص أحوال العمال وتحقيق

(١) أي وقف وقفا (٢) أعاد من العول المعروف في الفرائض وهي أن ترد المراجعة

في الحساب فتعدل القسمة على وجه معروف عند علماء الفرائض

الشكايات التي تصل الى الخليفة من عماله وهو محمد بن سلمة وربما كان له أوليات أخرى غير هذه وقد تقدم الكلام على كل هذا منفصلاً فيما مر من هذا الكتاب

باب كنبه

كتب الى أنى عبيدة حين ولي الخلافة يوليه على حد الشام
أوصيك بتقوى الله الذي بقى وهى ماسواه الذي هدا من الصلاة وأحرجا
من الطامات الى الدور وقد استعملتك على حد خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي
يحق عليك لا تقدم المسلمين الى هلكة رحاء عبيدة ولا ترلهم مبر لا قل أن تستريده (١)
لهم ولعلم كيف ماته ولا تمت سرية الا في كنف من الناس واياك والقاء المسلمين
في الهلكة وقد أهلك الله في وأبلاي بك فاعصم بصرك عن الدنيا وآله قلك عها
واياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قلك فقد رأيت مصارعهم (هكذا وردت صورة
هذا الكتاب في تاريخ الطبرى ورأيا صورة غيرها في حقائق الاحبار وهى نصها
(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أنى
عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على سبه
محمد صلى الله عليه وسلم وقد ولتكم أمور المؤمنين فلا تستحي فان الله لا يستحي من
الحق واني أوصيك بتقوى الله العظيم الذي لا يهوى وهى سواء الذي استرحرك
من الكفر الى الايمان ومن الصلاة الى الهدى وقد وليك على حد خالد فاقص
الحش منه ولا تمتد المسلمين الى الهلاك رحاء عبيدة ولا تمتد سرية الى جمع كثير
ولا تقل انى أرحو لكم النصر واياكم والتعير والقاء المسلمين الى الهلكة واعصم
عن الدنيا عيك وانه عها قلك واياك أن تهلكك كما أهلك من كان قلك فقد
رأيت مصارعهم واحترب سرائرهم وبيك ومن الآخرة مت كالحمام وقد تقدم
اليه سلمك فنتظر سيراً أو سفيراً طويلاً من دار قد عصت نصارتها ودهت مها
رهاتها وأحرم الناس الجراح الى غيرها واتق الله في شرك ونحوهاك وتفكر في راد
الموى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحطة والشعير التي وحدتموها في دمشق
وكرت مشاخرتكهم عامه وهى لدمسائين وأما الذهب والفضة فهما الحسن والسلام اه

٢

وكتب الى أبي عبيدة يلومه على تركه حصار حاب
(بسم الله الرحمن الرحيم) من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح
سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وبعد فقد ورد كتابك عليّ مع رسلك فسرّني ما سمعت من الفتح وعلمت
من قتل من الشهداء وأما ما ذكرت من انصرافك عن قلعة حلب الى الواحي التي
قرت من انطاكية فهذا منس الرأي أتترك رحلاً ملكك دياره ومدينته ثم ترحل
عنه وتسمع أهل الواحي والبلاد منك ما قدرت عليه فما هذا رأي فيضعف رأيك
ويعلو ذكره عما صنع ويطمع من لم يطمع فترجع اليك الحوش وتكتب ملوكها
فاياك أن ترحل حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فنت الحبل في السهل والسعة واكفها
في المصايق والحال ومن المعدات الى حد الدروب ومن صالحك منهم فاقل صاحبه ومن
سالمك فسأله والله خليقي عليك وعلى جميع المسلمين وقد اهدت اليك كتابي هذا
ومعه أهل مشارف اليمن ومن وهب نفسه لله ولرسوله ورعب في الجهاد في سبيل الله
وهم عرب وموال رحال وفرسان والمدد يأتيك متوالياً ان شاء الله تعالى اه

٣

وكتب أبو عبيدة كتاباً الى عمر يحجّره فيه ما لا يريد الاقامة مانطاكية لطب
هوائها وحوف احلال الجيوش الى الراحة فأحاه بما نصه
(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح
سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم واشكره ملياً (كبيراً) على ما وهب من النصر للمسلمين وحمل العاقبة
للمتقين ولم يرل معيلاً لطيفاً وأما قولك انك لم تقم مانطاكية لطيب هوائها وبه عر
وحل لم يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات فقال تعالى في ذكره حرير
(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) في مما يعملون عام، وكان يجب
عليك أن ربح المسلمين من تهمهم وتدعهم يرددون (١) في مطعمهم ويرحون (٢) من
النصة في قتال من كفر بالله وأما قواك بك حصر أمري لدى أمر - ما - محمد

الدروب حلف العدو هانت الشاهد وأنا العائب والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت محصرة عدوك وعبوك يأتونك بالاحجار فان رأيت الدحول الى الدروب صواباً فابعت اليهم السرايا وادخل معهم بلادهم وصيق عليهم مسالكهم وان طلبوا منك الصلح فصالحهم وأما قولك ان العرب أنصرت بساء الروم فارادوا الترويح فمن أراد ذلك فدعه ان لم يكن له في الحجار أهل ومن أراد أن يشتري الاماء فدعه وذلك أصون لمروحهم والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته (نقله والذي نقله في حقائق الاحبار عن مشائير السلاطين لمريدون بك)



وكتب اليه كتاباً فقرأه على الناس بالحانية ووصيه
من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك أما بعد
فانه لم يقم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة (١) بعيد العرة (٢) لا يطلع الناس
منه على عورة ولا يحق في الحق على حرته (٣) ولا يحاف في الله لومه لائم (كبر العمال)



وكتب الى امه يصححه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه
ومن شكر له زاده ومن قرصه حراه فاحمل التقوى عماد قلبك وحلاء بصرك فانه
لا عمل لمن لانية له ولا آخر لمن لاحسة له ولا حديد لمن لاحلق له (العقد المرشد)



وكتب الى أبي موسى الأشعري بوصيه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان للناس هرة عند سلطانهم فاعود بالله ان تدركني
وانال عبياء محمولة وصعاش محمولة وأهواء متعة وديا مؤثرة فاقم الحدود ولو ساعة
من بهار واداعرص لك أمرا ان أحدها لله والآخرة للديا فآثر بصيكتك من الآخرة
على بصيكتك من الدنيا فان الدنيا تعد والآخرة تبقى وكمن حشيه الله على وحل

(١) قوله حصيف لعنده اي محكما والمعهده بالصيغة الولاية على البلد او هي من عهد الحبل
رطبه وهي كناية عن احكام الامر للمعنى الثاني واحكام الولاية للمعنى الاول (٢) العرة هي العلة
(٣) قال في لسان العرب لا يصلح هذا الامر الا لمن لا يحق على حرته اي لا يبعد على رعيه
وذلك لا يحق على حرته اي لا يحكم سراً

وأخيف المساق واحملهم بدأ بدأ ورحلا رحلا وادا كانت بين القبائل نائرة (١)
وتداعوا نال فلان فاما تلك نحوى الشيطان فاصبرهم بالسيف حتى يهشوا الى امر الله
وتكون دعواهم الى الله والى الامام وقد بلغ أمير المؤمنين أن صنة تدعو يال صبة
واني والله ما اعلم أن صنة ساق الله بها حرا قط ولا منع بها من سوء قط فادا حادك
كتاني هذا فاهلكهم عقوبة حتى يهرقوا (٢) ان لم يعفوها والصق بيلان بن جرسنة
من بينهم وعذ مرصى المسلمين واشهد خناثرهم وافصح نالك وناشر امرهم -مسك
فاما انت امرؤ منهم غير ان الله جعلك اتقاهم جملًا وقد بلغ أمير المؤمنين انه فتاك
ولا هل ينك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين ملها فاياك يا عبد الله
ان تكون بمنزلة الهيمة التي مرت بواد حصص فلم تكن لها همة الا السمن وانما حتمها
في السمن واعلم ان للعامل مردًا الى الله فادا راع العامل راعته وان اشقى
الناس من شقيته راعيته والسلام (مفتاح الافكار)



وكتب الى معاوية وقيل الى ابي عبيدة
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم آلك في كتابي اليك ونسى حيرا ليالك
والاحتجاب وأذن للصعيف وأدبه حتى تأسط لسانه ومحري قلعه ونمهد العرب
فانه اذا طال حسنه وصاق أدبه رك حقه وصعب فله واما رك حقه من حسنه واحرص
على الصلح بين الناس ما لم يثبت لك القضاء وادا حصرك الحصن بالينة العادلة والايان
القاطعة فاهص الحكم (مفتاح الامكار)



(كناه لاهل ابياء . . . القدس . . .)

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ابياء من
الامال أعطاهم أمانا لا يفسدهم وأموالهم ولكنائهم وصلاتهم وسقيهم ورتبها وسائر
ملها انه لا تسكن كنائهم ولا يهدم ولا ينقص منها ولا من حيرها ولا من صليهم
ولا من سى من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن منهم
معهم أحد من اليهود وعلى أهل ابياء ان يعطوا الحرية كما يعطي أهل مدائن

١ قوله ناره أى عداوه ومولوا سثوا شى رجحوا (٢) وقوله حتى يهرقوا أى يحرقوا وشرعوا
وإذا كانت ناسد الرااء فمعاها سرفوا

وعليهم أن يجرحوا منها الروم واللصوت (١) من حرح مهمم فهو آمن على نفسه وماله
حق يلعوا مأمهم ومن كان بها من أهل الارض فل مقتل فلان (٢) من شاء مهمم
قعد وعليه مثل ما على أهل إلباء من الحرية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع
الى أهله فانه لا تؤخذ منهم شئ حتى يُحصَدَ حَصَادُهُمْ وعلى ما في هذا الكتاب
عهد الله ودمه رسوله ودمه الحماة ودمه المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية
شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعد الرحمن بن عوف ومعاوية بن
أبي سفيان وكتب وحصر سنة ١٥ (تاريخ الطبرى)

٩

(كتابه الى أهل لد)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هداما أعطى عد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن
دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أماناً لا ينقضهم وأموالهم ولكنائهم
وصالحهم وسقيمهم وريثهم وسائر ما لهم انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا سقص من
حترها ولا مللها ولا من ضلهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يصار
أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين ان يعطوا الحرية كما
يعطي أهل مدائن الشام وعليهم ان حرحوا مثل ذلك السرط الى آخره (عن الطبرى)

١٠

« كتب الى سعد في اليوم الذي يرسل فيه من شراف »

أما بعد هذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى نزل بمابين عديت
الهامات وعديت القوارس وشرق بالناس وعزب بهم « عن الطبرى »

١١

(وكتب اليه أيضاً حواماً عن كتابه)

أما بعد فعاهد قانت وحدث حدث بالموعظة والنية والحسنة ومن عمل
فأبجدتهما ٣٣ والصبر الصبر فان الموعظة تأتي من الله على قدر النية والآخر على قدر
الحسنة . والحذر الحذر على من أتت عليه وما أتت سديله وأسألوا الله العافية
واكبروا من قول لاحول ولا قوة الا بالله واكتب الى ابن ناعك جمعهم ومن

رأشهم الذي يلي مصادمتكم فانه قد معني من بعض ما أردت الكتابة به اليك قلّة
علمي بما همتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوّكم فصف لنا مسارل المسلمين والبلد
الذي يبيكم وبين المدائن صفة كأنّي أنظر اليها واجلني من أمركم على الحلية وحف
الله وارثه ولا تدل شيئا واعلم ان الله قد وعدكم . وتوكل لهذا الامر بما لا حلف
له فاحذر ان تصرفه عنك ويستدل بكم غيركم

« وكتب الى سعد وهو شراف يريد العراق وحرب الفرس ما نصه »

اما بعد فيسر من شراف نحو فارس عن معك من المسلمين وتوكل على
الله واستعن به على أمرك كله واعلم بما لديك انك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم
فاصلة وأنهم شديد وعلى بلد مبيع وان كان سهلا كؤوده لجوره ويوصه ودأده (١)
الآن توافقوا عيصاً من فيص وادا لقيتم القوم أو واحداً منهم فادؤمهم الشر والصر
واياكم والمناطرة لجموعهم ولا يحدعكم فاهم حدة مكرة أمرهم غير أمركم الا ان تحادوهم
وادا انتهت الى القادسية والقادسية في باب فارس في الحاهلية وهي أجمع تلك الانواب
لمادتهم ولما يريدوه من تلك الاصل وهو مبرل رعيب حصيب رحيب دونه قاطر
وامهار متمعة فتكون مسالحك على أنهارها ويكون الناس بين الحجر والمدرة على حافات
الحجر وحافات المدر والخراج بينهما ثم ألزم مكائك فلا ترحه فاهم اذا أحسوك اعصمهم
رموك محمهم الذي يأتي على حياتهم ورحلهم وحدهم وحدهم فان اصرم لمعدوكم
واحتسبتم لقتاله وتوتم الامانة رحت ان تنصروا عليهم ثم لا يجمع لكم مثاهم ابدأ
الا ان يجمعوا ولا يست معهم قلوبهم وان تكن الاخرى كان الحجر في أذاركة فاصرفتم
من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها احراً وسها أعلم
وكانوا عنها احين وسها احهل حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة عليهم (هـدا
الكتاب وما قبله عن الطري)

١٢

(وكتب الى سعد)

قد جاءني كتابك وفهمته فأقم مكائك حتى سقص منه عدوك واعلم ان هـا

١ « كؤوده اي صعبه وفوضه اي مياهه العائنه ولد تد جمع دثر وهو ماء وسع
ويوافقوا اي لا يوافقوا عيصاً من قتيلا من كبر التبط لطي كوي في حبل وشب وجمع
اهاب ولعل مراده بالاهاب هـا اهاب الماصر لتي على لاه ر وخجر وسركه هـا هـا
والمران او المدن والنساء لان امدرمي لمن والحجر هـا الزمل وموله اعصم اي حركهم

ما بعد ما فان منحت الله الدنيا لم فلا تخرج عنهم حتى يصحح عليهم الملائكة فانه حرامها
 ان يله الله (القاري)

١٣

وكتب اليه أبو عبيدة ومعاذ بن جبل بنصحاء

(بسم الله الرحمن الرحيم) من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر
 ابن الخطاب سلام عليك فإنا نحمدك الله الذي لا اله الا هو (أما بعد) فإنا عهدناك
 وأمر نفسك لك مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحرها وأسودها مجلس
 بين يديك الصديق والعبد والشريف والوصيع ولكل حصة من العدل فانظر كيف
 أنت يا عمر عند ذلك وإنا نجدك يوماً تغزو فيه الوجوه ونحب (١) له القلوب وتسطيع
 فيه الجميع بحجة ملك قهرهم بمجدوته والخلق داحرون (٢) له يرحدون رحمة ويخافون
 عقابه وإنا كنا نحدث ان أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان
 العلوية أعداء السريرة وإنا نعود بالله ان نزل كتابا سوي المنزل الذي نزل من قلوبنا
 فإنا أئما كتبنا اليك نصيحة لك والسلام

(فكتب إليهما)

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح
 ومعاذ بن جبل سلام عليكما فإني أحمد اليكما الله الذي لا اله الا هو (أما بعد) فقد
 ساءني كتابكما ترعمان انه بلكما اني وليت أمر هذه الأمة أحرها وأسودها مجلس
 بين يدي الصديق والعبد والشريف والوصيع وكتبتما ان ابظر كيف أنت يا عمر عند
 ذلك وإنا لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما نحدث اني ما حدثت به الا بم
 قلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار آجال الناس يقرمان كل بعيد ويبدلان كل جديد
 وبأيان نكل موعود حتى يصير الناس إلى منارهم من الحجة والدار ثم توفي كل نفس
 عما كسبت ان الله سريع الحساب كتبتما ترعمان ان أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها
 ان يكون اخوان العلوية أعداء السريرة ولستم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان
 ذلك حين يظهر الرعة والزهد فتكون رعة بعض الناس إلى بعض اصلاح دينهم ورهبة
 بعض الناس اصلاح دسائهم وكتبتما نعود اي بالله ان نزل كتابا سوي المنزل
 الذي نزل في قلوبكما وإنا كتبنا نصيحة لي وقد صدقنا فتعهداني كما مكثت فلا عني

في حكمكم والسلام عليكم (الفتح المكنون)
 وله كتب من هذه الكتب زادها في طبعها أخباراً وكتب أخرى كتبها إلى
 عمر بن العاص وهو في مصر رأساً من كبار القضاة إن رجع إلى كنيها إلى عمر
 عمر بن العاص لأن إرادتها في سرية السب لا تعطل على تبادل الكفاية بين الاثنين
 في شؤون خاصة ينبغي في محالها أن شاء الله
 (كلام على وجوب التناصح في الإسلام)

وأنت ترى من هذين الكتابين كيف كان المسلمون يتأخرون بالمعروف عملاً من
 كتبهم وهم فيهم ولا يسمعون عن أداء النصيحة للإمام لكونه إماماً له عليهم السلطان
 بل يرون أن النصيحة لأخرى وله أولى وإن له عليهم حق الطاعة كما لهم عليه حق النصيحة
 والآن نأخذ إلى مواقع الخطأ والتمهيد بما يقيم الأود ويصلح العمل شأن الأئمة التي تعاون
 رؤسائها على الخير وتعتمد في رفع شأنها على قوة التكافل في الحق والتعاون على شؤون
 الملك وقد انتهت بهم حرية الفكر والأطلاق عن قيود العودية والقيام على حسن
 المناجحة أن لا يعلوا ساعة عن نصيحة الإمام وهو من هو أفد الأمة الإسلامية وتحرر
 الإسلام والمثل المضروب في التقوى والملك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعهم
 أجمعين وقد بلغ بهم الاغراق في حرية الضمائر وعدم الأساك عن الحق إن قال
 أحدهم لمثل ذلك الحليفة العظيم لمأسأله عما إذا رخص ناصر من أمور المسلمين
 (لو فعلت لقومناك قويم القدح) أي تقوم السهم الموعج كما رأيت ذلك فيما سطره في
 باب سياسته فما ارداد ذلك الحليفة العظيم الاسروراً يقول ذلك المسلم وأستشاوراً في
 أن المسلمين قائمون على شؤونهم رجال في أخلاقهم متمسكون بشرع بينهم متنبهون لكل
 خطأ يصدر عن حليقتهم وكان ذلك دأبه مع الناس في استطلاع طلع صائرهم من
 حبه لم يعلم ملع الحياة فيهم ويسترشد إلى عيوبه بحميل بصيحه وصادق قولهم ولم يكن
 يحظر له على نال أو يمر له في حبال ان استرشاده بأراء روى الرأي والصيرة من
 المسلمين واتصاحه بصائحهم فيه حطة في شأنه أو مس لسلطانه لهذا كتب لاني عبيدة
 ومعاد لما نصحاه في آخر كتابه (قد صدقنا فعهداني مكمنا بكتاب فلا عني في
 عكمنا) وقد رأيت فيما مر رخره لم اعترض على قائل قال له ابو الله يامر وقوله
 للمعترض دعه فلا خير فيكم ادم تقولوها ولا خير فيما ادم لم سمعها ادا تقرر هذا علما
 أن التناصح بين المسلمين واجب لا يستثنى منه أمير ولا صغير بل الأمير أولى بان
 يصحح ويستصحح سب ما وسد اليه من أمور الملك التي ليس من طوق الآحاد

القيام بها الا اذا سلكوا سبيل الآثرة وأطاعوا هوى النفوس وكان الأفراد بالسلطان والتسلط على الرعية والطوح بمصالح الملك والدولة في مهاوي الهوى أحب اليهم من الانتصاح بنصيحة الاعوان والأخذ على شكائم النفوس الأمانة بالسوء التي يقودها الهوى الى تصور أن الامارة مرتبة لا يسعى لها أن تكون الا في مضاف الملائكة المقربين أو الانبياء المعصومين وحدها لو تحقق هذا التصور لاسان من أولئك الامراء اذن والله لحكموا الناس بحكم الانبياء وهو هو التناصح الذي يهرون منه والتعاون الذي يترفعون عنه وحسب هذا الترفع آفة انه أودى بدولة بني مروان في انان شاسها كما أودى بكثير من اصراها

المناجحة بالمعروف أس من أسس السعادة القومية في كل قيسل وعصر بل هي مدرسة الامة التي تترن في الاحلاق وتنمو الفصيلة وتطهر الاعراق وتنت روح الألفة والتعاون وليس لمدرسة مثلها أثر في الاحلاق ومؤثر في نفوس الامة قط اد تناول بالتعليم الكبر والصغير عفواً بلا أحر وتسرى روحها بين كل الطبقات محتارة بلا اكراء فيربي الكبير الصغير ويرشد المهتدى الصال ويصح الصغير الامير وكلهم يتبادل العوض مع الآخر بما يبعه في احلاقه ويقوم أوده فيتبع الكل بالكل وتم السعادة والرخاء سائر الناس

أحل هذه هي المدرسة التي رمت مثل معاد وأني عبدة وعمر واصراهم من عامة المساميين وحاصتهم فسادوا بالمناجحة والاحلاص على كل الائم وأدهشت سيرهم اطار الشعوب وامتد ظل ساططهم على نصف الكرة وباهم من السعادة والعر والمجد فوق ما رأيت في هذا الكتاب

وهي هي المدرسة التي علمت الشعوب الاوربية حرية الصبائر والافكار ورفعهم من حضيض الجهالة وسلكتهم هم سبيل المجد وسودتهم لهذا العهد على الائم فملكوا ثلاثة أرباع المعمور وقصوا على استقلال الدول الشرقية فمحوا بعصه محواً وحملوا بعصه صورة في الحيال قد نالت على وسك الروال كما رالت دول الهسد العظيمة وامر قيا الكثرة والحاوي والفرير ومحاري وسمر قد وما لا يمد من الشعوب والدول الاسلامية

اييس لعجيب أن يصير المسامون في أسر الدول المتعللة وتنقلص ظل محدهم عن الارص بعد اذ كان شأنهم في المناجحة والقيام على الحق ماد كرتهم باع ترك المناجحة واحتياط النفوس والاحلاق عرق كبير مهم ان صاروا يعدون الناصح بالمعروف

خارجاً عن دينه خارجاً على سلطانه والدين يقول (يا أيها الدين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) والي صلى الله عليه وسلم يقول (من لم يحمده عدلاً ولا يذم جوراً فعدار الله تعالى بالخجارة) (١) ومن الديني ان مدح العدل ودم الجور انما يكون ان يقول المسلم للعدل المحسن عدلت وأحسن وتلاهت على هسه أو على غيره حرت وأسات فاستقم كما أمرت وهو من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي وردت آياته الساهرة في الكتاب الكريم

ومن الاعراق في الجمالة والتماني في الانحطاط ان يرى السامعون ملاذهم تحرب واستقلالهم سترع وملكهم يرول ودولهم تدول والاوربيون قد علموهم على أمرهم وراحوهم في ملكهم وتحكموا فيهم وفي دولهم وسقوهم في العلم والمعارف والاختراع واحلوا عليهم الخيل والرحل وسدوا دوسهم منافذ الصاعسة والتجارة واداء دعاهم باصح من احواسهم عيور من بي دهم الى الطر في أساب انحطاطهم وارتقاء غيرهم وقهقرهم وتقدم سواهم وأمان لهم طرفاً من تلك الاساب وحكمهم في التفريق بين حطتها والصواب اعرضوا عنه اعراض المريض عن الماء الزلال بل ربما رماه لعصم بانواع الرور وتقرب ثماله واهله ودمه الى ولاء الامور رخاء بيل الخطوة عسدهم والتراف اليهم واكتساب رصاهم وان اعصب الله والمرودة والوحدان وحرر عن الانسانية والدين اد لاوارع من النفس يهاه ولا فضيله تلوى عان شهوته عن صلح ابيه والشواهد على هذا كثيرة في الاشخاص والأعمال سأنى على بيانها في محالها ان شاء الله لتكون عبرة يتعظ بها الآتى والخاصر وصورة في التاريخ رهب فلوب الاشرار وترجع عن مواطىء الرذيلة اقدام الفجار

باب

خطبه

أوردنا بعد ذكره حاله اول حصة خطبها ورأينا في رواه حري رواه من الجوري في المناقب عن جامع من شداد عن ابيه ورواه غيره من محدثين من صرق

أحرى أن أول خطبة خطبها عمر (رض) أن سعد المنبر وحمد الله وأتى عليه وقال
(اللهم اني شديد فليبي واني صعيص فقوي واني بجيل فسحي) وقد رأينا هذه
الخطبة في المقدم المرید بشارة أطول الا أنها لا تخرج عن هذا المعنى

٢

وفي تاريخ الحافظ ابن عساکر عن سعيد بن المسيب قال لما ولي عمر بن الخطاب
خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال
أيها الناس اني قد علمت انكم كنتم تؤسسون بي شدة وعاطة وذلك اني كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عنده وحلواؤه (شرطيه) وكان كما
قال الله تعالى للمؤمنين رؤفاً رحماً وكنت بين يديه كالسيب المسلول الا ان يعمدني
او يهاني عن امر فأكف عنه والا أقدم على الناس لمكان امره فلم ار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عي راص والحمد لله على
ذلك كثيراً وانا به اسعد ثم قلت ذلك المقام مع اني نكر الصديق خليفة رسول الله بعد
رسول الله وكان من قد علمت في رعيه وانيه فكنت حادمه وحلواؤه وكنت كالسيب
المسلول بين يديه على الناس احلظ شدي بليته الا ان يقدم الي فاكف والا اقدمت
فلم ارل حتى توفاه الله فكان عي راصياً والحمد لله على ذلك كثيراً وانا به اسعد ثم
صار امركم اليوم الى وانا اعلم انه يقول قائل كان يشتد عليا والامر الى غيره فكيف به
لما صار الامر اليه فاعلموا انكم لاسألون عي احداً قد عرفتموني وحسنتموني وقد
عرفت محمد الله من محمد بنكم صلى الله عليه وسلم ما قد عرفتم وما اصحت نادماً على
شيء كتب احب ان اسأله الا وقد سأله واعلموا ان شدي التي كنتم ترونها اردادت
أصعافاً عن الاول على الصالح والمتدي والاحد للمسلمين لصيهم من قوتهم واني
بعد شدي تلك واصع حدى الى الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف ان كان بي
وبين من هو منكم شيء من أحكامكم أن أمشي معه الى من أحبه منكم فيبصر فيما
بي وبينه فبقوا الله عباد الله وأعيوني على نصي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واحصاري النصيحة من ولاي الله من أمركم ١

(١) صرف صرف طه - بعض لا يعرف لوارده هذه الخطبة لان السامع الذي نسخ لي سفره
سفر من تاريخ - سكر من مكه دمشق - يمكن من ضبط الالفاظ المشوشة والمساواة
سعد خط اسرح

٣

وفي تاريخ الحافظ ابن عساكر أيضاً عن الشعبي قال : لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال

ما كان الله لي رائي أن أرى ههنا أهلاً للجلس أي مكر فربل مرقاة محمد الله وأتى عليه ثم قال اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وربوا أنفسكم قبل أن تورثوا وترثوا للعوص الأكر يوم تعرضون على الله لا تحيى منكم حافية . انه لم يلع حق دي حق أن يطاع في معصية الله ^(١) ألا وأتى أرسلت ههنا من مال الله بمرة ولي اليتيم ان استعيت عفت وان افقرت أكلت للمعروف

٤

وفي الحراج لأبي يوسف حطة هذا المعنى الا انها أطول وأجمع رواها عن طاحه بن معدان قال

حطبا عمر بن الخطاب خطبة حمد الله وأتى عليه ثم صلى على أبي صلى الله عليه وسلم وذكر أن مكر فاستعمر له ثم قال أنها الأساس انه لم يلع دو حق في حقه أن يطاع في معصية الله واني لا أحد هذا المال يصاحبه إلا حلال ثلاث أن يؤخذ بالحق ويعطى في الحق ونم من الناطل وانما أنا وما لكم كولي اليتيم ان استعيت استعفت وان افقرت أكلت للمعروف ولست أدع أحداً يطلم أحداً ولا يعتدي عليه حتى أصع حده على الارض وأصع قامي على الحد الآخر حتى يدعس للحق ولكم علي أيها الناس حصال أذكرها لكم مخدوني بها لكم علي أن لا أحبي شيئاً من حراكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ولكم علي اذا وقع في يدي أن لا يخرج مني إلا في حقه ولكم علي أن لا أريد أعطيائكم وأررافكم ان شاء الله وأسدتعوركم ولكم علي أن لا ألقمكم في المهالك ولا أحرکم (أحسنكم) في نعوركم . وقد اقترت منكم زمان قليل الاماء كثير المراء قایل الفقهاء كثير الامل يعمل فيه أقواله للآخرة يطلمون به دينا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ألا من أد. ك ذلك

١ . عني بدى الحق ههنا وهو الحق والسلطة الذي لا سعي مدثر الله من بعدى و تأمر به النفس وتطله السادة وهو من قبل قول أي كمر (دعس) في إحدى خطبه اصمعي ما أطع الله فيكم فرضي الله عن لك النوس السامة ما كان اعربهم بحق واعبد و"رمة لمرسة الانصاف مع الرعية

منكم فليتيق الله ربه وليبصر . يا أيها الناس ان الله عظم حقه فوق حق خلقه فقال فيما عظم من حقه « ولا يأمركم أن تتحدوا الملائكة والبيين أرباباً يأمركم بالكفر بعد اذا أنتم مسلمون » ألا واني لم أعتكم أمراء ولا حارين ولكن بعثكم أئمة الهدى يهتدى بكم فأدروا على المسلمين حقوقهم ولا تصر بوجه قتلوهم ولا تحمدوهم فنصوهم ولا تعلقوا الانواب دونهم فيأكل قوتهم ضيعهم ولا تستأثروا عليهم وقاتلوا هم الكفار طاقهم فادا رأيتمهم كلاله فكفوا عن ذلك فان ذلك أبلغ في جهاد عدوكم أيها الناس اني أشهدكم على أمراء الامصار اني لم أعتهم الا ليقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيأمرهم ويحكموا بينهم فان أشكل عليهم شيء رفعوه اليّ اهـ

هذه الحطة من أجمع خطيه لأنها تمثل عدله وسياسته وعقيدته وتحدد وظيفته وتبين مقاصده وتنبئ عن احلاصه في خدمة المسلمين وشدة على الظالمين ورأفته بالمظلومين الى غير ذلك مما يدركه القارئ من معاني هذه الحطة الغراء فرصي الله عه



﴿ وخطب خطبة فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه ﴾

يا أيها الناس اني قد وُليتُ عليكم ولولا رضاء أن أكون حيركم لكم وأموالكم عليكم وأشدكم استصلاًعاً بما يسوب من مهم أموركم ما توليت ذلك مسكم وأكفى عمر مهمّاً محرماً موافقة الحساب بأحد حقوقكم كيف آخذها ووصعها أن أصعها وبالسير فيكم كيف أسير فربي المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزّ وحلّ رحمته وعونه وتأنيده (تاريخ الطبري)



﴿ وخطب فقال ﴾

ان الله عزّ وحلّ قد ولاّني أمركم وقد عامت أفع ما يحصر بكم لكم واعي أسئل الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عده كما حرسني عده غيره وأن يلهمني العدل في قسكم كالذي أمر به ولن يعتر لدي وليت من خلاؤكم من خلقي شيئاً ان شاء الله لما العصمة لله عزّ وحلّ والناس لاعباد منها شيء فلا يقول أحد منكم أن عمر بعير . سدوني عقيل لحق من هني وأهدم وأبين لكم أمري فأبما

رحل كانت له حاجة أو طيلم مظلمة أو عتب عليا في خلق فليؤذني «١» فإنا أنا
رحل مسكم فعليكم تقوى الله في سرركم وعلايتكم وخزائنتكم واعصواكم واعطوا
الحق من أهلكم ولا يحمل نصيبكم نصيباً على أن نحاكموا الي فاه ليس بي وببين أحد
من الناس هوادة «٢» وأنا حبيب الي صلاحكم عزيز علي عتنتكم وأنتم أناس
عانتكم حصرت في بلاد الله وأهل المدينة لا رزع فيه ولا صرع إلا ما جاء الله به اليه وان
الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسؤول عن أمتي وما أنا فيه ومطيع على
ما يحصرني نفسي ان شاء الله لا أكله الى أحد ولا أستطيع ما تقدمه إلا بالاماء
وأهل الصبح مسكم للعامة ولست أحمل أمتي الى أحد سواهم ان شاء الله (تاريخ الطبري)

وخطب أيضاً

فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان
نص الطمع فقر وان نص اليأس عني وادكم تحمسون ما لا تأكلون وتأملون ما لا
تذكرون وأنتم مؤخلون في دار عرور كنتم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تؤحدون بالوحي من أسر شيئاً أحد سريرته ومن أعلن شيئاً أحد لعلايته فأظهروا
لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فاه من أظهر لنا شيئاً ورعهم أن سريرته حسنة
لم يصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة طسنا به حسناً واعلموا ان نص الشح شنة
من الضاق (فأصقوا حيزاً لأنفسكم ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)
أيها الناس أطعوا أمركم وأصاحبوا أموركم واقفوا الله ربكم ولا تناسوا ساءكم القناطي
فاه ان لم يشف فاه يصف «٣» أيها الناس اني لوددت أن أنحو كفافاً لى ولا علي
واني لأرحو ان عثرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل الحق فيكم ان شاء الله وأن
لا يبقى أحد من المساميين وان كان في يته إلا أنا حقّه ونصيه من مال الله ولا نعمل
اليه نصه ولم نص «٤» اليه يوماً وأصاحبوا أموالكم التي رزقكم الله ولقائى في
رفق حير من كثير في عفف والقتل حتم من أخوف يصيب البر والمأخر والشريد

«١» أي فليعلمني وهي من آية بالمرثي أعني ٢٥٤ هوادة الفصح صالح ١ لاحتصاص
الميل ٣ الضابط أبواب مشهورة وشق رق شكي ما يحبه ويصف به من وصف أو من
الواصف وهو أن يصعوا الشيء نصه نص ٤ ولا من له منه شيء لا يحبه عساه
أي أنه لا طلب ولم يسب أي لم يسب

من احسن نفسه وادار ان احكم عمرا فليست الى الطويل العظيم قد صر في انصافه
 فان وجدته حبيب المزمع فليست به (تاريخ الطبري)

هو وخطب ايضا

فقال ان الله سبحانه ومحمد قد استوجب عليكم الشكر والحمد عليكم الخلق فها
 اناكم من كرامة الآخرة والديار غير مسئلة منكم له ولا رعية حكم به اليه مخلقتكم
 بناولك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا ان يجعلكم لاهون خلقه
 عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره وسحر لكم تما في السموات
 وما في الارض واتسع (١) عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم في البر
 والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا ومن
 نعم الله عليكم نعم عمها بنى آدم ومها بم احتضنها اهل دياركم ثم صارت تلك العم
 حواصنها وعوامها في دولكم ورمادكم وطقتكم وليس من تلك العم نعمة وصلت
 الى امرئ خاصة الا لو قسم ما وصل اليه منها بين الناس كلهم اتهم شكرها وودحهم (٢)
 حقها الامور الله مع الايمان بالله ورسوله فانهم مستحقون في الارض قاهرون لاهلها
 قد نصر الله دسكم فلم تصح امة مخالفة لديكم الا امان امة مستعدة للاسلام واهله
 يحجرون لكم يستصون معائنهم وكذا نفعهم وشرح حاههم (٣) عليهم المؤونة ولكم
 المنفعة وامة تطروقات الله وسطواته في كل يوم ولية قد ملا الله قلوبهم رعا فلس
 لهم معقل (٤) يلحشون اليه ولا مهر يبقون به قد دهمتهم حود الله صر وجل
 ورت لساختم مع رفاة العيش (٥) واستفاضة المال وتنازع الدعوت وسدد الثعور
 نادن الله مع العافية الحليلة العامة التي لم تكن هذه الامة على أحسن منها مدكان
 الاسلام والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد فاعسى ان يلع مع هذا سكر
 الشاكرين وذكر الداكرين واحتداد المجتهدين مع هذه العم التي لا يحصى عددها
 ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها الامور الله ورحمته واطمه فسأل الله الذي
 لا اله الا هو الذي ألاما هذا ان يرفنا العمل بطاعته والمسايرة الى مرضاه وادكروا

(١) أفاص (٢) اهلهم «٣» قوله محجرون أي يعطون الحرية وكذا نفعهم أي سبهم أو مكاسهم
 ورشح الحاء عرما (٤) حصن وملا (٥) رفاة العيش سعة وحصه

عباد الله لا اله الا الله وحده لا شريك له فاعلموا ان الله على كل شيء قدير
 عز وجل قال موسى (اخرجك من هذه الدار وذرتك والكلاب الى الطين فانهم لا يسمعون له)
 وقال محمد صلى الله عليه وآله (والد كروا اذا ستم فليل مستصرون في الارض) فلو كنتم ان
 كنتم مستصرون محرومين من الدنيا على شعبة من الحق يؤمنون بها وتستر بحون لها
 مع العزقة بالله ودينه ورجون بها الخير فما بعد الموت كان ذلك ولكنكم كنتم تشد
 الناس معيشة والله جباله فلو كان هذا الذي استشركم (١) لم يكن منه حظ في
 دنياكم غير ان الله لكم في آخرتكم التي اليها المقاد والمطالب وانتم من جهد المعيشة على
 ما كنتم عليه احرى ان تنحوا على نصيبكم منه وان تطهروه على غير امانه قد جمع
 لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء ان يجمع له ذلك مسكم فاذكركم الله الخاطل
 بين قلوبكم الاما عرفتم حق الله فعمائم له وقسرتكم انفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور
 بالعم خوقا لها ولا تنقلها ووحلامها ومن يحولها فانه لاشي اسلب للنعمة من كرامتها
 وان الشكر امن للغير وبماء للنعمة واستجاب للريادة هدا الله علي من امركم ونهيكم
 واحد (تاريخ الطبري)

٩

✽ وخطب لما شيع حيش سعد بن أبي وقاص ✽

ان الله تعالى ضرب لكم الامثال وصرف لكم القول ليحيي به القلوب فان
 القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله . من علم شيئا فليمتنع به . وان للعدل امارات
 وتاثير فاما الاما ات فالحياء والسجاء والهيئ واللين وأما التاثير فالرحمة وقد جعل
 الله لكل امر نائبا ويسر لكل باب مفتاحا قات العدل الاعتبار ومفتاحه الرهد .
 والاعتبار ذكر الموت تذكر الاموات والاستعداد له بتقديم الاعمال . والرهد أحد
 الحق من كل أحد قلبه حق (أي عده) وتأدية الحق الى كل أحد له حق . ولا تصانع
 في ذلك أحداً واكتف بما يكفيه من الكفاف فان من لم يكفه الكفاف لم يمه
 شيء . اني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد وان الله قد أرمي رفع الدعاء عنه فأهوا
 شكاتكم اليها فمن لم يستطع فالي من ساعاها بأحد له الحق غير متمتع (٢) (تاريخ الطبري)

(١) استنلاه دعاه ليحيي من صيق أو هلاك (٢) في العاموس نعمة أي سله وحركة نصف
 أو أكرهه في الامر

١٠

وسمع مرة ان نهر يقولون لو مات عمر لما بنا فلاناً اعتماداً منهم على ان بيعة أي بكر
مت بمائة نهر من المهاجرين والابصار فأراد عمر رضي الله عنه أن يبين لهم ان بيعة
أي بكر كانت فلتة وأن أهليته واستعداده وحرص الموقف الذي وقف به المسلمون يومئذ
سوء تلك البيعة فخطب فيهم هذه الحطة التي رواها الشيخان فقال .

قد بلغني ان فلاناً منكم يقول لو مات عمر يا بيت فلاناً فلا يعتز امرؤ ان يقول ان بيعة
اني بكر كانت فلتة الا واما كاذب كذلك الا ان الله وقي شرها وليس فيكم اليوم
من تقطع اليه الاعناق مثل أي بكر وانه كان من حيراجين توفي رسول الله صلى
عليه وسلم وأن علياً والزبير ومن معهما تحلقوا في بيت فاطمة وتحملت الابصار عا
نأحمها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى اني بكر فقات ياأنا بكر اطلق
ما الى احواسنا من الابصار فاطلقنا نؤمهم حتى لقينا رحلان صالحان فدكر لنا
الذي صنع القوم فعلا ان يريدون يامعشر المهاجرين قلت يريد احواسنا من الابصار
فعلا عابكم ان لا تقربوهم واتصوا امركم يامعشر المهاجرين فقلت والله لئن بهم .
فاطلقنا حتى حشاهم في سقيفة بني ساعدة فاداهم مجتمعون وادايين طهراهم رحل
مرمل فعلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا وحج فلما جلسنا قام
خطيبهم فأنشأ على الله عما هو اهلوه وقال (اما بعد) فحس ابصار الله وكتيبة الاسلام
واسم يامعشر المهاجرين رهط ما وقد دوت دافة (١) منكم يريدون ان تحربوا
من اصلنا ونحصبوا من الامر فلما سكنت أردت أن أتكلم وقد كنت روت
مقالة أعجنتي أردت ان اقولها من يدي أي بكر وقد كنت اداري منه بعض الحد
وهو كان احلم بي وأوفر فقال ابو بكر على رسلك فكرهت أن أعصه وكان أعلم
مني والله ما ترك من كلمة أعجنتني في تزوري الاقلها في بدايته وافصل حتى
سكت فقال

اما بعد فادكرتم من حير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي
من قريش هم اوسط العرب ساء وداراً وقد رصيت لكم احد هذين الرحلين ايها
شتم . فأحد يدي ويدي أي عبيد الحراج فلم أكره مما قال غيرها وكان والله ان
أقدم فصرف عني لا يقرى ذلك من ثم احب الى من أن أتأمر على قوم فيهم ابو بكر

(١) الدافة الحليس يمدون نحو العدو والاحتزال الاقتطاع ونحصبوا تكبوا

فقال قائل من الاصار انا جذياها المحكك وعذيقها المرجب ما امير ومنكم امير
يا معشر قريش وكثر اللعط وارتفعت الاصوات حتى خشيت الاختلاف فقامت اسط
يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الاصار اماً والله ما وجدنا
فيما حضرا امراً هو اوفق من مبايعه ابي بكر . خشينا ان فارقا القوم ولم تكن
بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان سايعهم على ما لارصى واما ان يخالفهم فيكون
فيه فساد

١١

﴿ وخطب فقال ﴾

ايها الناس ما الحرج مما لاند . وما الطمع فيما لا يرحى وما الحيلة فيما سيرول واما
الشيء من اصله وقد صحت قلنا اصول ونحن فروعها فما نقاء الفرع بعد اصله اما
الناس في هذه الدنيا اعراض تتصل (١) المايا فهم وهم نصب المصائب مع كل حرعة
شرق وفي كل اكلة عصص لا يبالون بعة الا عراق اخرى ولا يستقبل معمر من
عمره شيئاً الا هدم آخر من احله وائم اعوان الختوف على اهسكم فأن المهرب مما
هو كائن واما يقلب المارب في قدرة الطاب فما اصغر المصيبة اليوم مع عظم الفائدة
عداً واكثر حمة الحاب حملنا الله واياكم من المتقين (مفتاح الافكار)

١٢

﴿ وخطب فقال ﴾

ايها الناس انه اتى على حين وانا احسب ان من قرأ القرآن انه اما يريد به الله
وما عده الا وقد حيل الى ان افواماً يقرؤ القرآن يريدون به ما عده الناس الا
فأريدوا الله قراءكم وأريدوه باعمالكم فانما كنا نعرفكم اذ الوحي يزل واد الى
صلى الله عليه وسلم بين اطهرها فقد رفع الوحي وذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
فانما نعرفكم بما أقول لكم الا من أطهر لنا حبراً طسا به حبراً وانديا به عليه ومن
اطهر لنا شراً طسا به شراً وأبعصاه عليه اقدعوا (٢) هذه القموس عن شهواتها
فانما طلعة فانكم الا تقدعوها تنزعكم الى شر عاية ان هذا الحق يقل مري وان

« ١ » في أساس اللاعة وحرخوا ان الصال وهم بالاصل والاصلون وبعصاه تراءون
وسارون « ٢ » قوله أمدعوا أى كمعوا وقوله ناس طلعة كثر لطلعة الى ' حتى '

الباطل الخفيف وفيه وترك الحليمة خير من معالحة التوبة ورب نظرة ررعت شهوة
وشهوة ساعة اورثت حرما طويلا (مفتاح الافكار)

١٣

﴿ وخطب فقال ﴾

اما الدنيا أمل محترم (١) وأحل مستقص وملاع الى دار غيرها وسير الى الموت
ليس فيه تعريج ورحم الله امرأة فكر في أمره ونصح لنفسه وراقبه واستقال
دبه نثر الحار العي يأحدك بما لا يعطيك من نفسه فان أيت لم يعدرك اياكم والبطنة
فاتها مكسلة عن الصلاة ومسدة للحسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم
فهو أبعد من السرف وأصح للسدد وأقوى على العادة وان السد لن يهلك حتى
يؤثر شهوته على ديه (مفتاح الافكار)

١٤

﴿ خطبته بالجالية عند أوبته من الشام الى المدينة ﴾

قال بعد ان حمد الله وأثنى عليه ألا اني قد أوليتُ عليكم وقصيتُ الذي علي في الذي
ولأني الله من أمركم ان شاء الله مسطحا بكم فيكم ومباركم ومعاركم وأملنا
ماليكم محمدا لكم الحدود وهيئنا لكم المروح وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيكم
وما قاتناكم عليه من شائكم وسببنا لكم أطماعكم وأمرناكم ما عطيتكم وأرراقكم
ومعنا بكم من علم علم نبي يسمى العمل به فلما عمل به ان شاء الله ولا قوة الا
بالله (تاريخ الطبري)

— باب —

﴿ مقتل عمر ﴾

ذكر أرباب السير والمحدثون عن مقتل عمر ان أبا لؤاؤة غلام المعيرة
ان شعبه شكاه اليه ارتفاع الحراح الذي ضره عليه مولاه المعيرة وطلب اليه

تخفيفه فمن قائل انه وعده خيراً أو عزيم أن يلقى المغيرة في تخفيف الخراج عنه ومن قائل انه سأله كم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وايش صناعتك قال نحاس نقاش حداد قال فما رأى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال فتوعده الغلام وانصرف فقال عمر توعدني العبد

قالوا ولما انصرف عمر الى منزله جاءه من الغد كعب الاحبار فقال يا أمير المؤمنين اعهذ فانك ميت في ثلاثة أيام : قال وما يدريك قال أجده في كتاب الله عز وجل التوراة قال عمر الله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكي أجده صمك وحليتك وابه قد في أحلك قال وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً لما كان من المدجاء كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان وهكذا مازال يحثه كل يوم الى مساء اليوم الذي قتل في صبيحته . ومن روى هذا الخبر وذكر فيه قول كعب هذا ابن جرير الطبري في تاريخه رواه عن المسور بن مخرمة وروى في أسد الغابة عن أنى رافع أن أنالوثة لما طلب الى عمر ما طلب قال له عمر اتق الله وأحسن الى . ولاك ومن نية عمر ان يلقى المغيرة فيكاه ان يخفف عنه فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري فأصر على قتله فاصطنع له حنجراً له رأسان وشجذه وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا قال انك لا تصرب به أحداً لا قتلته قال فتحين أبو أووثة عمر حياءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر اذا أقيمت الصلاة يقول أقيموا صومكم فقال كما كان يقول فلما كبر وحاءه (طعنه) أبو أووثة في كتفه وحاءه في حاصرته وقيل ضرب به ست ضربات فسقط عمر وطعن أبو أووثة بمحجره ثلاثة عشر رجلاً (ممن حاولوا القبض عليه)

ولمك منهم سبعة

وفي رواية ان أحد المسلمين أتى على أنى أووثة برنسا ليمكن من القبض

عليه السلام الحسن بن علي بن محمد بن عوف في رواية الطبري وعمر بن الخطاب
قال في الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم هو ذا قال منهم فصل بالناس فصل
عبد الرحمن بن الناس صلا في حقه وعمر طرح ثم اجعل فادخل داره فدخل على
وعثمان والزيبر وسعدوا أمرهم أن يشاوروا في أمر الخلافة وقال لهم استظروا إلحاحكم
طلحة ثلاثا فان جاء ولا فاقضوا أحدكم وليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من
الأمر شيء فوموا فقتلوا ورؤوا ليصل بالناس مهيب ثم قال لا في طلحة لا نصاري
يا أبا طلحة إن الله أعز بكم للإسلام فاختار خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع
هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذ اوضعته فوني
في حفرتي اجمع هؤلاء الرهط وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأي واحد وأبى
واحد فأشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة ورضوا وأبى الاثنان فاضرب
رأسهما فان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا حكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا
بعبد الله وكونوا مع الدين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما
اجتمع عليه الناس

وفي المناقب عن ابن ميمون قال لما طعن عمر دخل عليه كعب فقال (الحق
من ربك فلا تكن من الممترين) قدأبأ بك لك شهيد فقلت من أين لي الشهادة
وأنا في جزيرة العرب وفي تاريخ الطبري ان المهاجرين والانصار جعلوا يدخلون
على عمر لما طعن فيسجدون عليه ويقولون لهم أعن. إلا. منكم كان هذا فيقولون معاذ
الله ودخل في الناس كعب فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

فأوعدي كعب ثلاثا أعدھا ولا شك ان القول ما قال لي كعب
ومابي حذار الموت اني لميت ولكن حذار الدنب يتبعه الدنب
وفي رواية أني جمع الطبري ان عبيد الله بن عمر قتل بأبيه ابنة أبي لؤلؤة

وقتل حصية جلائصر أبا من أهل الحيرة إلى بسمة بن أبي وقاص لمعلم الناس
الكتابة وقتل الهرمزان وإن سب قتله لأبي الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي
ذكر قال غداة قتل عمر رأيت عشة أمسي الهرمزان وأبناؤه وحبيته يوم
يساجون فلما ألقوا نزلوا وسط منهم خبيرة رأسان نصابة في وسطه وهو
الحبيرة الذي ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله وقال والله لأقتل رجلا من شرك في
هم أي يمرض بالمهاجرين والأبصار فبلغ ذلك صهييا فبث إليه عمرو بن العاص فإ
زال به حتى أخدمته السيف ثم نادره سمع بن أبي وقاص وأخذوه وحبسوه في داره
هذه الروايات التي جاءت في قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أمعن
فيها النظر وراجع ما كتبه عن الهرمزان ونسبته عهد المسلمين قبل أسره المرة
بعد المرة وكيف احتال للحلاص من القتل ثم إذا ضاف إلى هذا ما ذكرناه في أخبار
نهاره وندم أن أناء أو فوارسي الأصل من مهاوند وقد كان أسره الروم ثم أسره منهم
المسلمون ولما قدم سي نهاره إلى المدينة حمل أبو أوأوة لياقي منهم صغيرا إلا
مسح رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبدي وإن جسية نصراني وإن كعب الإخبار
يهودي حديث عهد بالسلام وإن مراجل الحقد على عمرو وتدويحه لبلادهم وقهره
لهم ولما لو كهم كانت تمل في صدور هؤلاء الدخلاء في الدين اتضح لديه أن قتل عمر
لم يكن إلا عن امرأة بين أولئك الدخلاء كما شهد بذلك عبد الرحمن بن أبي بكر
وإن السبب الطاهر الذي اختلقه أبو أوأوة تحتها أسباب أهم وأعظم وهي الغيظ
والحقد على المسلمين وإن أهاجرة كان واقفا على أمر هذه المرأة فأنذر عمر
بالقتل قبل ثلاثة أيام من قتله والافقوله لعمر أنه رأى حرقته في التوراة كلام غير
معقول يرفسه العقل بتأويل ليس عليه دليل كما أنه ليس لأبي هريرة أن يعلم العيب
وإنما علمه عبيد الله ومن المحتمل أن لا يكون لأبي هريرة يد في هذه المرأة إلا

انه علمها واراد ان يمرض بذكرها لعمر رضى الله عنه بالكناية تحذير آله ولم يشأ ان يصرح له بذلك لامر لانعلمه الا ان عمر رضى الله عنه لم يعبا لسلامة صدره بقوله ولم يشأد عليه في السؤال وربما لم يحظر له ذلك الامر بال لما يعلمه من نفسه من القيام على الحق والعدل وانصاف الناس مسلمهم وغير مسلمهم وعربهم وعجمهم ومن كان هذا شأنه يكون بالطبع آمنا عائلة الناس وغدر النادرين وخصوصا عمر بن الخطاب الذي يحكى انه جاء مرة رسول من قبل ملك الروم فوجده قائما على الارض متوسدا الخصاص فقال لله انت عدت فأمنت فمنت . ولكن قُدر على المسلمين ان يفعلوا عن مضره وجود امثال اولئك الدحلاء في المدينة في مثل عصر عمر الذي كانت فيه جيوشه تضرب في انحاء الارض وتثل عروش الملوك وترعنزع اركان الممالك وتشيد بديان الاسلام وهذا كله مما يحفظ قلوب الاعداء ويطوى جوانحهم على دغل ويستدعى الانتباه لمثل ابى لؤلؤة والهزمزان وجفينة وامثالهم من الدحلاء ولا ينبغي ان يحسن بهم الطل الاعم الاحتياط والتحذر ربما يتناسون ثأرهم وتضمف في نفوسهم اسباب الصعن ويسكنون الى سلطان المسلمين . يألون حكم الاسلام ويؤن باخلاصهم في الطاعة واماانة الجوار هذا مع ان عمر رضى الله عنه كان يكره وجود الا عاجم في المدينة فلا ندري لهذا السبب ام لغيره فقد اخرج في المواقب عن ابن عمر قال كان عمر يكتب لامراء الحيوش لا تحلبوا اعلينا من العلوح احد أجرت عليه المواسى فلما طهه اعلام المغيرة قال الم اقل لكم لا تحلبوا اعلينا من العلوح احد أفعلتموني فرما كان على علم وبينة مما يظنون الا انه لم يطن اهم يحراون عليه مادام قائما بهم وفي كل الرعية بالقسط هذا ولما طمن عمر قال لابن عباس الطرم قتلنى خال ساعة ثم جاء فقال علام المعرة بن شعبة قال الصبيح قال نعم قال فانه الله لعدا امرت به معروفا

فالحمد لله الذي لم يحمل منيتي بيد رجل يدعى الاسلام ولما حمل الى بيته جزع الناس عليه جزعاً شديداً وكأنه لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ وأما هو رضى الله تعالى عنه فقد أظهر من الثبات والجلد ما هو معروف به في حال الشدة والرخاء وكان أول همه النظر في أمر الخلافة وقريرها على وجه يمنع من حصول الفتنة بعد هارأى ورايه الحق أن يتركها شورى بين النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قعقل وبلغ به الحرص على دفع الفتنة وتعجيل نصب الخليفة بعده أن أمر المقداد بما أمر كي لا يكون بينهم فتنة وإن كانت فان تقمع بالسيف

وفي المناقب عن ابن عمر أن عمر دعا لطيب ينظر في جرحه فحماه لطيب من الانصار من بني معاوية فسقاه لبناً فخرج من الطعنة أبيض فقال له الطيب يا أمير المؤمنين اعهد فقال عمر صدقتي أحوبني معاوية ولو قلت غير ذلك لكذبك فبكى عليه القوم حين سمعوا فقال لا تسكوا علينا من كان با كيأ فليخرج ألم تسامعوا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدب الميت سكاه أهله عليه

وفيه عن حمير بن محمد قال لما طعن عمر اجتمع اليه البديون المهاجرون والانصار فقال لابن عباس اخرج اليهم فسلمهم عن ملاء منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني قال فخرج ابن عباس فسلمهم فقال القوم لا والله ولودذنا أن راد الله في عمرك من أعمارنا

وفي العقد عن ابن عباس قال دخلت على عمر بن الخطاب في أيام طعته وهو مصطحع على وسادة من آدم وعنده جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رحل ليس عليك بأس قال ان لم يكن علي اليوم ليكون بعد اليوم وإن للحياة لمسيماً من القلب وإن للموت الكربة وقد كنت أحب أن أحيى عسى ونحو منكم وما كنت من أمركم لا كما يريدون يرى حياءه ويرجوها ويخشى ديموب دوسها

فهو يركض بيديه ورجليه، وأشد من الغريق الذي يرى الجثة والنار وهو مشغول
ولقد تركت زهرتك كما هي ما لبستها فأخلقها، وثمرتك يانعة في أكمامها ما أكلتها
وما جنيت ما جنيت إلا لكم وما تركت ورائي درهما معدا ثلاثين أو أربعين درهما :
ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت يا أمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وإن المسلمين
راضون عنك قال (أي عمر) المفروروا والله من غررتموه أما والله لو أن لي ما بين
المشرق والمغرب لا فتديت به من هول المطلق

وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما طعن عمر بن الخطاب قيل له
يا أمير المؤمنين لو استخلفت : قال إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني وإن
استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً
لا استخلفته فإن - ألتى رنى قلت سمعت نبيك يقول انه أمين هذه الائمة ولو كان
سالم . ولى حذيفة حياً لا استخلفته فان سألنى رنى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما
ليحب الله حباً لو لم يحفه ما عصاه قيل له فلو أنك عهدت الى عبد الله فانه له أهل في
دينه وفصله وقديم اسلامه قال بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد
عن أمة محمد ولو ددت انى نحوت من هذا الامر كما قال لى ولا على ثم راحوا
فقالوا يا امير المؤمنين لو عهدت فقال قد كنت أجمعت لعدم مقالى لكم ان أولى
رحلاً أمركم ارجو ان يحكم على الحق وأشار الى علي بن ابى طالب ثم رأيت ان
لا اتحملها حياً ولا ميتاً فليحكم هؤلاء الرهط الذين قال فيهم الذي صلى الله عليه وسلم
انهم من اهل الجنة وذكر السبعة واستثنى من الشورى سعيد بن زيد وقال عن
السنة وليختاروا منهم رجلاً فاذا ولوكم واليا فأحسوا وازرتة (اى معاونته) فى
حديث طويل سيأتى معاً ما هو بمعناه فى قصة الشورى ان شاء الله

ومن هذا تعلم مقدار حرج الموقف في منصب الخلافة الرفيع حتى ان عمر لم يقبل ان يتحمل مسؤوليته بعد الموت كما تحملها في الحياة وانما يعرف هذه المسؤولية من كان له دين يردعه كعمر بن الخطاب رضي الله عنه واخوانه من الخلفاء الراشدين اخرج في أسد الغابة عن عمرو بن معدى كاهل في حديث طويل ان عمر قال لابنه يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً قال ان وفي له مال آل عمر فأدوه من أموالهم والآسفل في بني عدي فان لم تنف أموالهم فسل في قریش ولا تمدهم الى غيرهم فأد عي هذا المال وانطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل لها يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم (أي عبد الله) واستأذن ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه وقالت كست أريده لنفسى ولا تؤثرت به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء : قال عمر ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال مالد بك قال الذي تحب قد أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي فأدخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين

روي انه لما نقل عمر قال لانه عبد الله ضع خدي على الارض فوضعه على الارض فحمل يقول ويلى ويلى أى ان لم يهرلى رنى ثم مات ولما توفي صلى عليه في المسجد وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله انه عبد الرحمن وصلى عليه صهيب وكان تقدم قبل ذلك على عثمان للصلاة عليه فقل عبد الرحمن لا اله الا الله ما أحرصكم على الامرة أما علمنا ان أمير المؤمنين قال ليصل

بالباس صهيب

قال في أسد الغابة روى أبو بكر بن اسحاق بن محمد بن سفيان قال طاب
 عمر يوم الاربعاء لاربع ليلتين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة
 الائمة لال الحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشرين وخمسة أشهر
 واحد وعشرين يوماً قال وقال عثمان بن محمد الاحمسي هذا يوم توفي عمر لاربع
 ليلتين من ذي الحجة ويوم عثمان يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة
 وتوفي عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل اقل والا اول اصح الاقوال في
 عمره

(وصيته لمن يخلفه)

أخرج ابن الجوزي وغيره من الحفاظ والحديث عن ابن عمر انه قال دفع
 الي عمر كتاباً فقال اذا اجتمع الناس على رجل فادفع اليه هذا الكتاب واقرأه مني
 السلام فاذا فيه

أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين الاولين الذين
 أخرجوا من ديارهم واموالهم ينتنون فضلاً من الله ورضواناً ويصرون الله
 ورسوله ان يعرف حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيراً (الذين
 توالوا والاداروا الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
 حاجة مما أوتوا) الى قوله تعالى : المفلحون . ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن
 مسيئتهم وأن يشركوا في الامر . وأوصيه بدمه ^(١) الله وذمة محمد صلى الله
 عليه وسلم ان يوفي ندمهم ولا يكلموا فوق طاقتهم وان يقابل من ورائهم
 (اي يحميهم) اه

١٠ وهم أهل الدمة من غير المسلمين ويدخل فيها الفرس والكتايون وكل من رضى
 بدفع الحرية للمسلمين فصار دمة له ما لهم وعليه ما عليهم

هكذا مضت حياته هذا الرجل العظيم قية طاهر فبعد أن مضى هذا
 ووقع منظر الاسلام وسط سباط العدل وبث روح الحق والتسامح في العرب
 وأسس لهم ذلك الملك العريض وقل بهم جيوش فارس والروم ورباهم على التقاف
 وكف بدالظلم وأحرام اليهود والوفاء بالذمة كما أمر به الاسلام وقرنه شريعة
 محمد عليه الصلاة والسلام فسمدت بحياته الرعية من سائر الملل ودخل الامم في
 طور جديد من الحرية والعدل والأمن والراحة لم يكونوا يعمدون له ولم يكن
 لأسلافهم أن يروه وبلغ نه الحرخ على ذلك البذار الطيب الذي بذره في المسلمين
 أن أوصى عند آخر نسمة من حياته بتلك الوصية الغراء التي تدل على الهمة العالية
 والشيم الطاهرة والاخلاق البارة التي اكتسبها عمر من نبيه عليه الصلاة والسلام
 فكان خير قدوة للمسلمين وذكري الفخر الخالد لهم بين الناس أجمعين

لما توفي عمراً كثر الشعراء من مرأيه فرائه حسان بن ثابت وعاتكة بنت
 زيد بن عمرو بن نفيل وكانت زوجه وعيرها

(صفته)

قال في أسد الغابة كان عمر أعسر يسر أي عمل بكليتي يديه وكان أصلع طويلاً
 قد فرع^(١) اللاس كأنه على دابة وقال الواقدي كان عمر أبيض أمهق^(٢) تعلوه
 حمرة يصفر لحيته وانما تغير لونه عام الرمادة لأنه أكثر من أكل الزيت وحرم
 على نفسه السمن واللبن حتى يحصب اللاس . وقال بعضهم أنه كان أسمر شديد
 السمرة وهو الاكثر عند أهل العلم

(١) علام (٢) الأبيض لاحمرة فيه

باب

(ولده وعماله)

(ولده)

قال ابن قتيبة ولد عمر بن الخطاب هم عبدالله وحفصة أمهما زينب بنت مضمون وعبيدالله (وهو الذي قتل الهرمزان وجعينة) وأمه مليكة بنت جرجول الخزاعية وعاصم وأمه جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الدير وفاطمة وزيد وأمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ومجير واسمه عبد الرحمن . وأبوشحمة (وهو الذي حده أبوه في الحرفات) واسمه أيضاً عبد الرحمن وبنات آخر وأما الدين أعقبوا من أولاد عمر فهم عبدالله وعبيدالله وعاصم ومجير وعقب مجير هذا بآبادوا ولم يبق منهم أحد

(عماله)

كان عماله على الامصار سنة ٢٣ أى السنة التي توفي بها على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي . وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى الكوفة المغيرة ابن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الاشعري . وعلى مصر عمرو بن العاص . وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان . وعلى حمص عُمَيْرُ بن سعد وعلى البحرين وماحولها عثمان بن أبي العاص الثقفي وعماله في الحرب من علمنا من القواد الذين مر ذكرهم قبل وكاتبه يزيد بن ثابت وكتب له مَعْيَقِيبُ أيضاً وعلى بيت ماله عبدالله بن أرقم وحاجبه يرفاً مولاه

باب

(الحالة الاجتماعية على عهده)

كانت الحالة الاجتماعية على عهد عمر غير هال على عهد أبي بكر رضي الله عنهما إذ

توطد على عهد الثاني للمسلمين الملك وشيدت دعائم الدولة وصارت تلك الأمة العربية المشهورة بالانقسام والتفرق والجهل بأمور الدولة والانفماس في الجهالة وسذاجة الفطرة سائسة ملك وربة سطوة ومجد ومقننة قانون وصاحبة دين جعلها أمة تذكر في التاريخ بأنها أعظم الأمم وكانت تلك الحياة العربية والجامعة المليمة مع انها بادية الظهور تنمو بسرعة وتؤذن بانقلاب عظيم يحدث في أنحاء العالم وتهتزله أركان الدول المعطى يومئذ حيث ادفعت هذه الأمة بقوة الجامعة الاسلامية والاتحاد القومي على أطراف الممالك المحاورة لها وهي فارس والروم فانتزعت من الأولى سلطانها وتعلقت بجيوشها في أحشاء بلادها وقلبت سرير ملكها وأرجعت قادتها ورؤساءها وأجئات للانكماش الى أطراف البلاد الشرقية والتخلي عن الملك أسيرة الاكاسرة من ملوكها وأقصت من الثانية أطرافها وقلصت عن سورية والحزيرة ومصر طلبها وهي تتقدم في داخل بلادها وتهدد بالهجوم عاصمة الامبراطور

تأصلت في تلك الممالك حزور الاستعباد وتناسى الروم معنى الحرية الى كان يقاتل دونها أسلافهم الرومان ويدافعون عنها يد الامبراطرة والملوك وحنع الارس للاكاسرة واستعبدوا لاشراف البلاد فألف الفريقان حكم العبودية وفقدوا مبدأ الاعتماد على النفس والاستقلال الذاتي في الحياة فجاءهم العرب وقد امترح في دمائهم حب الحرية حتى ما يطيقون علو أمير المؤمنين عليهم واستثثاره بشي من أمورهم دونهم كما رأيت فيما مر فمشتوا في روعهم روحاً جديدة من حب الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية فهبوا كمن نشط من عقال فوصعوا أيديهم في أيدي العالمين علامة الشكر والوفاء وشعروا حينئذ بأنهم بشر لا يحطون في الحقوق العامة عن مرتبة الامراء وبلغهم ذاك ان لما أهين رجل مصري من

ابن أمير مصر عمرو بن العاص شخص الى مقر الخلافة يشكوه ويطلب انتصافه منه ولم يعد الا بعد ان استنزل أباه عن منصة إمارته فقدم هو وابنه الى المدينة وأقادا ذلك الفرد من الرعية بحضور الخليفة كما سبق ايراده في غير هذا المحل وما نعلم ان قوما تلفت بهم الحرية الشخصية يوماً مبلغها في ذلك العصر وتمتعوا بادل مثل ذلك العدل وهو حال ما أهناه لتلك الأمم يومئذ من حال رفعهم من جضيض النذل والعبودية الى ذرى العز والحرية وبشرهم بمصر جديد وسعادة ما عليها مزيد

حائط العرب هذه الامم ودال اليهم ذلك الملك العريض ورأوا أبهة الحضارة واستشعروا لزوم الحياة المدنية للامم العالبة وليس لديهم من ذلك الا الاستعداد العطري لقبول الخير والشر والشرع الالهي الذي دعاهم الى الخروح من ظلمات البداوة فأخذوا بحكم الضرورة يقلدون مجاورهم في العادات وبدأوا ياربونهم في مضمار الحياة وكان مطعم لطرهم وأول عملهم بالطبع تقليد مجاورهم في الامور الحرية واستعمال آلات القتال الفارسية والرومية ليقابلوا القوة بمثلها ويعدوا لهذه الفتوح عدتها ثم تطرقوا من ذلك الى الامور السياسية ولادارية فوضع الخليفة عمر رضي الله عنه التاريخ ودون الدواوين على نحو ما هو موجود في الدولتين الرومية والفارسية ثم أقبل على ترتيب الولايات وتقسيم الاعمال واتقاء المال ثم فرض الاعطيات وقرر مصرف التي في عير سرف ولا تقتير ونشر جراح الأمن وأقام ميزان العدل وقرر اصول الحباية للاحاف في حقوق الرعية ولا غبن للدولة فعم الرحاء وبدأت مظاهر العمران تتحلى في أنحاء المملكة وانهال العبي والثررة على الفاتحين وخطوا حطى حبيصة الى ميدان الراحة والمعيم مع الاحذ على الشكائم والتحوش في الماء كل والملبس والتوسط في العيش والقصد في الاهاق والامساك عن البذل خوف الاحذ على أيديهم من عمر بن

الخطاب رضي الله عنه كما أخذ على يد خالد بن الوليد اذ وصل بعشرة آلاف من الدراهم شريفاً من أشرف العرب كما رأيت في باب سياسته مع العمال هذا من وجه ومن وجه آخر فان عمر رضي الله عنه لم يدع للعرب بعد اذ دفع بهم في غمار الحضارة وقذف بهم الى ميدان الحروب وقتاً للاخلاق الى الراحة والايواء الى ظل التنم والسكون تحت كف الامصار بل شغلهم عن ذلك بالفتح وألهاهم بادحار المغنم عن التمتع بهار يثما يهل من غرب الدول المجاورة ويأمن عائلة الامم المملوبة وكان له بهذا ما رب أخرى أيضاً وهي اشغال العرب في الحرب ورجهم في مضمار المنح لئلا نسوا بأصول الاجتماع والحضارة وتبدل أخلاقهم الجافية وتزول من نفوسهم أسباب التنافر والالتواء الى المصيبة الداعية الى الشقاق والفرقة يدلك على هذا ما كتبه لابي موسى الاشعري في الكتاب عدد ٦٦ الذي جاء في باب كتبه وأمره فيه بأن يصرب من ينادي بالمصيبة بالسيف

استفاد العرب في حالتهم الاجتماعية من هذه السياسة العميقة لكن اندفاعهم عنهم للفتح وتفرقهم في انحاء الممالك وتعجلهم في ذلك الطهور قل تأصل الدين في عامتهم بشأعه ومد تشويش في الدين والملك منه عدم الممكن من محو آثار الوثنية من البلاد المفتوحة مع دخول أهلها في الاسلام وانما اختفت هذه الآثار حياً ثم بدأت تطهر ثانية بمصبغة نصبة أخرى دعت لسرعة تفرق أهواء المسلمين وطهور البدع والمبتدعين خصوصاً بين الاعاحم من المسلمين مما لا محل لتمداده وذكره في هذا المقام . ومنه سرعة تقهقر الأمة العربية بمقدار سرعة تقدمها في الحضارة والمدنية الى غير ذلك من الامور التي ربما يمر معاد كرها في هذا الكتاب ومع هذا فاد اطرنا من جهة أخرى الى سياسة عمر في تعجل الفتح يرى لها فوائد كبيرة في حينها وذلك لان دفعه للقوم الى الفتح في بن الظهور وحين التحمس

مهد لهم السبيل لقهر الأمم وتدويح الممالك لآسيا وانه كان من ورثهم جزاء الله عنا وغنم خير الجزاء يؤدبهم بأدبه ويحملهم على القناعة والقصد ويحبب فيهم الأمم ويقل أيديهم عن التناول الى حقوق الغير ويأمرهم بمحاسبة الناس وحماية أهل الدمة حتى كان من ذلك ان ارتاح لحكمهم الشعوب وسهل عليهم استخضاع الاقوام وبث دعوة الاسلام فلم يخرج على سلطانهم حارح إباء لحكمهم أو تظلماً من سياستهم مع حداثة عهدهم في الفتح وقلة الحماية، منهم بين طهراني الشعوب الحاضرين لسلطانهم الآمنين في أوطانهم

بسط المسلمون على عهده يد السلطة على الشعوب واستمتعوا أعلاق الكنوز وملكو اأما ملكو من البلاد ومع هذا فلم تأخذهم الدنيا بزخارفها ولم يُقرهم النقي والسلطان بالنعيم ولم يبترهم المال ولم تخطبهم الحصار الا خطياً قليلة الى الامام فكاوا ووسطا في المعيشة في كل الامور ذلك لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يريد على البطء في السير في طريق الترقى ويحملهم على التوسط في العيش فلا يمنهم منعاً ولا يدفعهم دفعاً اللهم الا الامراء والعمال فانه كان يحملهم على طريقته في التقشف وشظف العيش لحكمة ذكرناها فيما سبق من هذا الكتاب يدل على هذا كتابه الى أبي موسى الاشعري الذي يقول له فيه بلعي انه فشت لك ولا هلاك هيثة في المطم والملبس وينصحه بالترام القصد وتأنيبه لسعد بن أبي وقاص على أن سمى داره في الصرة قصر سعد وغير هذا من أخباره الكثيرة مع العمال ومنها شرطه عليهم ان لا يأكلوا تقياً ولا يركبوا رذونا الخ ما جاء في باب سياسته مع العمال وأما عامة المسلمين فكان لا يريد لهم على هذا الحال ولا يمنهم عن التمتع بما أحل الله لهم من الطيبات بل يربح حملهم على طريق الوسط وحسبك دليلاً على هذا كتابه الى أبي عبيدة بن الجراح الذي يلومه فيه

على رحيله من انطاكية لطيب هوائها وتنم المسلمين فيها
وأما انه كان يريد هم على البطء في السير في طريق الترقى فذلك عليه مارواه
عامة أهل السير أن الاحنف بن قيس وفد عليه مرة وتكلم عن أهل البصرة
بكلام دل على سعة عقله فاحتبس عنده حولا وأشهر أثم سرحه وكذلك فعل
مع زياد بن أبيه لما وفد عليه من العراق ورأى فيه قوة العارضة والعطية وزلاقة
اللسان احتبس عنده ولما سأله زياد عن السبب قال كرهت أن أحمل الناس على
فضل عقلك . وإنما كان يريد للعرب بهذه السياسة الترقى التدريجي حتى في
المدارك على أن مخالطتهم الامم وسكى الامصار غير ولا شك من أخلاقهم وأن
من طباعهم وزاد في معارفهم ولا يعقل أن قوما كانوا يظنون الكافور ملحا أيام فتح
المدائن تصير اليهم كنوز الارض بعد ذلك ويسوسون الامم الا باستعداد عظيم في
قوى المدارك كمن في نفوسهم وأطهره الاحتكاك بتلك الامم على وجه خال
بالطبع عن كل شائبة من شوائب التصنع والختل المشهور بهما أهل الامصار في ذلك
العصر وفي كل عصر فهم اذن كانوا احسن أخلاقا وأسد عملا على سداجة فطرتهم
وجدة اسلامهم من حاربوهم من الامم وهذا شأن لا يسكر على مثل عصر عمر
رضي الله عنه الذي دأب فيه هذا الخليفة العظيم على تدريب هذه الأمة على أصول
السياسة وتهذيبها على وفق ما جاء به القرآن من آيات الحث والترعيب
في أسباب الطهور على الاثم بذلك على هذا مارواه الطبري في أحبار القادسية ان
رستم رعيم الفرس وقائدهم قال يومئذ أكل عمر كدي أحرق الله كبده علم
هو لا حتى علموا وفيه دليل على ان العرب لم يكونوا قبل الاسلام في بطر الفرس
شيئا منذ كورأب بعدهم عن أسباب الحصار واعراقهم في الجهالة ولما اجتمعوا
على كلمة الاسلام واسكما وأعلى مملكتي فارس وروم وظهروا بحسن قيادة عمر

رضي الله عنه بدولتي القرس والروم عرف رستم وأشباهه من زعماء الدولة الفارسية عظم قدر عمر بن الخطاب وبمدنظره في السياسة وحسن قيامه على تربية المسلمين وتعليمهم كيف تكون حياة الأمم ولهذا قال رستم ما قال ولا جرم فلا خلاص الراعي لله وجهه لرعيته وحسن قيامه على مصالح الأمة دخل عظيم في تسودهم على الأمم وتمزجهم بالعلم والقوة والعكس بالعكس

وبالحالة الاجتماعية على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حداثة عهد أهلها في تسنم ذرى الارتقاء تمثلها لك سيرة هذا الخليفة الحليل في قالب الجدة والاستقامة والمزينة وتظهرها لديك في مظهر النهوض الى ارتقاء قم المجد التي انتهى اليها المسلمون فيما لم يسيرهم سير آحين أمددة تزيد عن جيلين وقوا لمدنها وقعة المستريح من وعشاء سمر شاق المتلذذ مخني ثمرات الحد والنشاط والعمل وهكذا حتى تغير الحال وانقلب الحد والنشاط الى فتور واهمال وكان بمد ذلك ما كان من هبوط مستمر بلغ بنا الآن ان فقدنا كل حول وقوة الامن السفساف والاهام وكل اشتغال الا بالاطيل وكل سمي الا وراء الرتب والالاقاب التي أضحكت علينا الأمم وأسعرت ببقية الاخلاق الفاصلة فينا الى هوة المدم والفريون يشعون الينا كل يوم بنذير من الرهوت والقوة وواعط من العلم والاعتبار ومبه من التسلط على الممالك الاسلامية والديار الشرقية ومرشد الى كيف تكون حياة الأمم وسيادة الشعوب ونحن سكوت لا يسمعون لنا ركزاً الا في تهاوت ولا يحسون مساحركة الا الى تدابر قد امترح الاستعباد في نفوسنا حتى ما يطيق الحرية ولا نرضى العلم ولا نقبل التذرع الى السيادة والسمي الى المجد وهي حالة يا الله تمرق عشاء القلوب وتنذر نشق الحبوب بواعوثاه وواعمره

﴿ اعتذار ﴾

هذا جهد ما استطعته في استقصاء أخبار رجل الأئمة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واني لأرحو بما بذلته من الجهد وما عانيت من التعب ولعب الفكر في تطبيق الحوادث وجمع الاشباه والبطائر وضرب الامثال وتحقيق الاخبار واستنتاج النتائج واداء المصيحة أن يقابل قومي خدمتي هذه بالقبول ويحملوا كل ما خطه قلبي على محمل الاخلاص في خدمة الملة والحق والله يشهد اني لا عرض لي أرمى اليه سواء ولا أرب في هذه الحياة الا فيه فان أصبت فيما كتبت فذاك مأثمنا والا فالانسان محل الخطأ وصاحب الفضل من ردائي خطأي ونهني الى غلطي لا صلحه في الجراء الذي يلي هذا الجزء وحسي ما رأيت من قومي في جميع الاقطار الاسلامية من الاقبال على الجزء الاول من هذا الكتاب تنشيطا لي ودافعا لي الى المضي في عملي والمثارة على اتمام هذا الكتاب على أسلوه الجديد مهما عانيت من المشاق ولا قيت من التعب اذ كل شيء سهل بعد رضى قومي عن كتابي هذا . وقد نعت رصاؤهم في نصي رحاء عظيماتي تحقيق أميتي التي قصارها تنبيه العقول الراقدة لا الفاقدة الى سير أسلافهم الكرام ورجال الاسلام العظام الذين يمثلون صورة الحياة المالية في أحلى مظاهر الجود والقوة والنشاط في قومهم احيال في النفوس الخاملة يزعجها عن مواطن الجمول والرديلة ويهصها الى تناول المحد من قته الشاحمة نوسائل الحد لا نوسائل السافلة والله ما هم الصواب

هذا وقد كنت وعدت قراء الجزء الاول بأن أصدر هذا الجزء مشتملاً

على سيرة عمر بن الخطاب ومن اشتهر في دولته وهذا اعنوت هذا الجزء الا اني لما انتهيت من سيرة عمر رضي الله عنه حدثت ان الجزء قد رد عن الحجم الذي قدرناه له ولو اضيفت اليه سيره رجال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسعنا الوفاء

بشرط بيع الاجزاء بثمن هين ولخالف ذلك رغبتى في تعميم الكتاب لاسيما وان كثيراً من قراء الجزء الاول سألوني سرعة انجاز سيرة رجل الاسلام عمر بن الخطاب لهذا رأيت ان أصدر هذا الجزء حلواً من سيرة مشهوري الرجال في خلافة عمر رضى الله عنه وان أرجئها الى الجزء الذي يليه فاسأل القراء المذرة كما أسأل الله التوفيق انه أكرم مسؤول

﴿ كلمة للجراند ﴾

(وشكر للمتقدين)

التست في الجزء الماصى من أهل الفصل وأرباب الحرائد الانتقاد على ما في ذلك الجزء من خطأ بما بدر به القلم لاصححه في هذا الجزء فسبق هذا التفضل من المحلات العلمية كل من مجلة المقتطف والهلال الشهيرتين اللتين خصتنا بخدمة المعارف والعلم منذ أنشئتنا الى هذا العهد فطلبت الى الأولى ان أوسع النظر في تواريخ الفريبيين واستقصى منها حالة دولة الروم على عهد الفتح الاسلامى لا توسع في بيان العلل والاسباب الى أوجبت قهر تلك الدولة بواسطة الجيوش العربية وفي الحقيقة فان هذا الامر من الامور الحديرة بتدقيق المؤرخين الحليقة بالطر والتأمل لهذا راجعت أشهر التواريخ الافرنجية التي كتبت عن العرب والروم في ذلك العهد كتاريخ الامبراطورية الشرقية لادورد جبون الانكليزي وتاريخ العرب للمؤرخ الفرنسي دي فرجي والذي رأيته فيها وفي غيرهما من التواريخ مالا تحلوه كل دولة في مبادئ ضعهما من المعاسد الاجتماعية والسياسية كالظلم وحب الشهوات وسد القانون وتحداب اطراف الرئاسة وغير ذلك وراد عليه في الدولة النزلية تقاوم خطب المحادلات الديدية التي أودت بحياة القوم السياسية الا أن الامراطور هرقل كان والحق يقال عصداً عظيماً لهذه الدولة في حال

ضعفها ذلك لانه من أعظم الملوك البزنطيين وأشد هم حرصاً على حياة الدولة كما نرى ذلك من وقائمه الشهيرة مع المسلمين ومكافئته لهم بمحوش الروم مكافئة أهل العزيمة والحزم ومهاجمة لهم الكثرة بعد الكثرة لكن لم يغب عنه ذلك الكفاح شيئاً في جانب قوة المسلمين وكفاءة قوادهم العظام على أن الاطلاع على تاريخ الروم وأخبار دولة الخلفاء الراشدين في عهد الفتح ولو مجردة عن التعليقات السياسية والقياسية يكفي المؤرخ أن يستخرج الملل والأسباب من توالي السطور ومتفرقات الاخبار وقد بدلت في هذا الجزء جهد المستطاع في تتبع العلل السياسية والاجتماعية التي دعت لسرعة طفر المسلمين بدولتي الفرس والروم يومئذ ولم أَدع خبراً من الاخبار إلا أردفته بما حظرت من الخواطر الفلسفية أو وقفت عليه من الحقائق التاريخية لأمثل ذلك العصر في صورة يراها القارئ كأنما هو فيه خصوصاً فيما يتعلق بدولة الخلفاء الراشدين وسياسة المسلمين فان أصبت فيما قلت ويبت ثمة فذلك هو المطلوب والا ففوق كل ذي علم عليم وللمعتطف في تنبيهي الى ذلك فضل أشكره عليه من صميم المؤاد

انتقد المقتطف الآخر كلاماً آخر من كتابي وسألي بيانياً عن هو المسؤول عن بعض الحوادث التاريخية التي جرت في بعض أنحاء القطر السوري في منتصف القرن الماضي والحواب عن هذا الاغلاقة لهذا الجزء وأما هو من خصائص الاحزاء الاحيرة من هذا الكتاب وسياقي في محله ان شاء الله وأما مجلة الهلال الغراء فقد انتقدت عليّ قولي في الجزء الماضي أن دمشق كانت على عهد الفتح الاسلامي حاصرة ببي عسان وقد أوردت لاجواب عن هذا الانتقاد فصلاً مخصوصاً في هذا الجزء فيه البيان الكافي ولا حاجة هنا لمير اسدائها شكرى ومشاركتها في أجرى لانها كانت السبب في استقصائي للدلة

التاريخية التي اذا لم تقدر في بابها اليقين فانها تكون عوناً للباحثين
 وحيداً لو حذت حذو هاتين المجلتين كل المجالات العربية في انتقاد الكتاب
 وتبني ما فيه من الخطأ أذن والله ارادني انبعاث التحقيق الاخبار وبسط الافكار
 ونهتني الى ما ربما لم يحط لي من الحوادث التاريخية في بال اذ العلم اجزاء لا يتناولها
 عقل المرء والامة حسم لا يحرك عضومنه الا بالاستعانة باخيه فما بال مجلاتنا
 التي هي عون المعارف وسد الباحثين ومنار المسترشدين لا يفيض من كوزها
 على المؤلفين الا قول أحسن وأجاد العلم تجهل ان مدرسة الامة العامة هي الكتب
 والمؤلفات وان الجراند هي المسيطرة على هذه المدرسة المكلمة بتهداها بالظن
 والبحث فيما يفسد اخلاق الناس او يصلحها من خير او شر وحق او باطل
 اولعلمها تجهل ان معظم البلاء الذي حل بالشرقيين عامة والمسلمين خاصة انما
 كان منشأه الكتب التي شجعت بالباطل واترعت من النفوس ملكات العلم
 الصحيح فأفسدت الاخلاق وأصعقت العقول وحملت الحق والباطل في نظر
 اكثر الناس سواء بل جعلت الحق عند فريق كبير تالفاً لالهواء ان شاءت جعلته
 باطلاً وضررت به وحوه العلماء

ان جراند الشرق ولا نكر ان للحق مصابة بنفس مصاب الامة لم تستثن
 من ذلك البلاء لاسيما لا تحفظ على صفحاتها للمؤلفين غير المدح والاطراء ولا تنبه
 المؤلفين الى حقيقة ولا تمنعهم من سر باطل

هذا وما حلا المجالات فقد انتقد علي بعض الادباء اعماله تفسير الالفاظ
 اللغوية التي وردت في كلام القوم في الجزء الماضي على اني لم أعملها الا اقتصاداً
 للوقت كما بهت على ذلك ثمة ومع هذا فقد استدركت هذا الخطأ في هذا الجزء
 ففسرت الالفاظ اللغوية الا ما كان منها كثير التداول مبهوماً بقريته المجاورة

فاني لم أفسره اعتماداً على ذكاء القارئ

وقد نبهني بعضهم أيضاً على غلطات مطبعية غير ما صححته في آخر ذلك الجزء
فهمت ان أضيفها الى فهرس الخطأ والصواب الذي يلحق بهذا الجزء

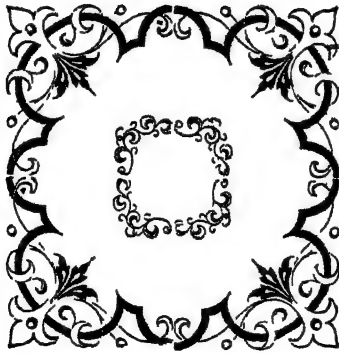
وانتقد على بعضهم كثرة استعمال الالفاظ الدينية كالدعاء بالصلاة والترضي
بحجة ان التاريخ ينبغي ان يكون خلوأمن ذلك الحشو اذ يقرأه المسلم وغير المسلم
ومن يرى لروم الدعاء ومن لا يراه

ونحن مع علمنا بأن هذا شيء لم يرد عن لسان الصحابة والتابعين بل اصطلاح
عليه بعض المحدثين بقصد تعظيم الصحابة وان لم يؤولوا من الفضيلة الداتية ما ينسبهم
عن مثل هذا التعظيم وان أكبر المحدثين والمؤرخين كابن جرير الطبري لم
يستعمل الدعاء في تاريخه الا للكبار الصحابة واستعمله بالترحم لا بالترضى وفيه
دليل على أن وحب التعظيم انما هو في القلب لا في اللسان والمؤرخ في الخيار
باستعمال أية صيغة من صيغ التعظيم اللطيفة أو عدمه

مع هذا كله فاني لم أراأسأمن ايراد ذلك الدعاء اقتداءً بالائمة المحدثين الا اني
رمرت اليه بحري (رص) على اصطلاح بعض المتأخرين ليتلوه من شاء ومن
شاء ولا يلحى على فطنة المشتقد ان ذلك المصر عصر ديني أكثر مما هو
سياسي والصحابة هم الرحال الدين قام بهم الاسلام وصمير كل انسان يستشعر
بشيء من وحب التعظيم ان لم يكن باللسان في القلب عدد ككل رحل عظيم من
أي قمل أو ملة كان وكيف بالمسلم عدد كرجال أمته العظام وأئمنه الكرام
الدين رفعوا منار الاسلام وأسسوا ذلك الملك العريض وأعلوا شأن المسلمين

﴿ تنبيه ﴾

نقلت عن منتخب كنز المال كثير آمن الأحاديث في هذا الكتاب ولم
أذكر أسماء المخرجين اكتفاء بالعزوالى كنز المال ليراجعهم من أحب معرفة
المخرج الذى ذكر فى الكنز فيرجع الى كتابه عند قصد معرفة السند وكذلك نقلت
عن السيرة العمريّة لابن الحوزي التي جردها من السند أسامة بن مرشد واكتفى
باسم الصحابي فقط كثير آمن الأحاديث المتعلقة بسيرة عمر رضى الله عنه وعزوتها
الى السيرة ومن أحب معرفة سلسلة سند كل حديث فليرجع الى الاصل ويوجد
منه نسخة خطية في المكتبة الحديوية بمصر



فهرست

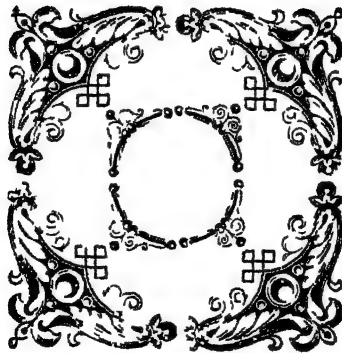
الجزء الثاني من اشهر مشاهير الاسلام

صفحة	صفحة
واختلاف المؤرخين مهما	عمر بن الخطاب
٢٤٥ فاسطين واحادن	١٥٨ (باب) حاله في الجاهلية
٢٤٩ فتح بيت المقدس	نسبه وأصله وشرفه وصعته
٢٥٣ لاونية في الاسلام	١٨٦ مكاته عند قومه وسيرته فيهم
٢٥٨ فتح حماة واللاذقية وقسرس	١٨٧ (باب) اسلامه وصحته
٢٥٩ دكر سيره رقل الى القسطنطينية	١٩١ صحته
٢٦١ فتح حلب والبلاتية وغيرها	١٩٦ (باب) خلافة
٢٦٣ مهاجرة رقل لسورية بعد استقرار	١٩٩ (باب) أول أعماله في الخلافة
ملك المسلمين	٢٠٠ احلاء أهل بحران
(ماكل حديث تحدث به العامة ويدم) ٢٦٧	٢٠٤ حكم الاسلام في المسيحيين وحكم
(أي عبيدة على قلعه الحديث لعامة الناس)	الأوربيين في المسلمين
٢٧١ القواد الدس حصروا فتوح الشام	٢١٦ (باب) فتوح الشام
٢٧٢ خلاصة حمرافية ونطرة اجماعية	(فتح دمشق)
(باب فتح العراق وفارس) ٢٨٥	(بحث في الردة)
(اسداب أي عبيد ووقعه الحسرو غيرها)	٢٢٦ بطلان حر
٢٨٧ موعظه	٢٢٩ بحث في هل كانت دمشق قاعدة
عود الى حر أي عيد	العسايب
٢٨٨ موعظة أخرى	٢٣٥ وقعة لخل
٢٩٠ عود الى حر أي عيد	٢٣٦ بيسان وطبرية
٢٩٥ شجاعة النساء المسلمات	٢٣٧ مروح الروم
(عود الى حر انتهى) ٢٩٧	٢٣٨ دكر نملك وحصن وسواحل دمشق
كلمة على دولة انمرس قمل السج	٢٣٩ تحقيق حر احادين واليرموك

صفحة	صفحة
٣٦٣ (كتابة التاريخ المحرى)	٢٩٩ استعداد مثنى ومسير سعد بن أبي
٣٧٢ (تدوين الدواوين وفرص العطاء)	وقاص الى العراق
٣٧٤ ترتيب العمال وتقسيم الولايات	٣٠١ الحكم البياني في الاسلام
٣٧٤ صرب القود	٣٠٥ عود الى حر الشورى
٣٧٦ وضع الريد	٣٠٦ وصية عمر لسعد
٣٧٧ (تمصير الصرة والكوفة)	٣٠٧ مسير سعد
٣٧٨ (التوسعة في المسحدين)	٣١٠ كنه في التاريخ الاسلامي ورافة عمر
٣٧٩ (حالة ماثر)	بالمخاريين
٣٨٩ (باب أخلاقه ومواقفه وسياسته وعدله)	٣١٢ حر القادسية وغيرها
٣٨٩ (بطرة في بعض الاحار المتعلقة)	٣١٥ مسح سواد العراق وترتيب الحرية
٣٩٢ (أهله الدمة)	والخراج
٤٠٣ (أحاره مع عماله ووصاياه لهم)	٣١٥ كيف يكون الاستعمار
٤٠٣ (كلمة في الحرية والطاعة أو الحكومة)	٣٢١ (عود الى حر الفتح)
العسكرية والحكومة القابوية	٣٢١ (عروة فارس من التحرير)
٤٠٩ (حصه الناس على الكسب)	٣٢٣ (حر الممران)
٤١١ (مبه عن السطع وتحديد من الاستداع)	٣٢٣ (فتح الاهوار وتستروالسوس وغيرها)
٤١٤ (أدبه وتأديبه)	٣٣١ (حر حدي ساور)
٤١٤ (أدبه مع رسول الله)	٣٣١ (وأمان عند أمصاه جيش المسلمين)
٤١٥ (أدبه مع نفسه)	٣٣٢ (الاسباح في بلاد فارس)
٤١٥ (تأديبه لنفسه)	٣٣٤ (حر مهاود)
٤١٧ (تأديبه للمسلمين)	٣٤٤ (باب فتح الحريرة)
٤١٩ (أدبه مع المسلمين وتواضعه لهم)	٣٤٦ (باب فتح مصر ورقة)
٤٢٢ (اهتمامه بأموال الرعية)	٣٤٨ (باب) تعب الحيوش وراعاة القواد
٤٢٢ (وعسسه بالليل)	أوديوار الحيش
٤٢٦ (ورعه ورهده)	٣٥٨ (باب علائق عمر مع الملوك)
٤٢٩ (كلمة في بيت المال)	٣٦٠ (باب أهم الاحداث في عصره)
٤٣٣ (حسابه)	٣٦٣ (باب آماره في الخلافة)

صفحة	صفحة
٤٧١ (ناب) مقتل عمر	٤٣٥ قصاؤه
٤٧٩ وصيته لمن يحلمه	٤٣٧ كتابه الى شرح القاصي وكتاباه في
٤٨٠ صفته	القصاء الى أبي موسى الأشعري
٤٨١ (ناب) ولده وعمله	٤٣٩ فرائسته ودكاؤه
(ناب) الحالة الاجتماعية على عهده	٤٤٣ مد من مود أقواله وأحاراه
٤٨٨ اعتدار	٤٤٥ مود شقي من أحاراه
٤٨٩ كلمة للحرائد وشكر لامتقدين	٤٥١ أولياته
٤٩٣ نبيه	٤٥٣ (ناب) كتبه وفيه ثلاثة عشر كتابا
	٤٦٢ (ناب) خطبه وفيه أربع عشرة خطبة

﴿ تمت القهرست ﴾



﴿ اصلاح النلط الواقع في الجزء الاول والجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	خطاً	صواب
١٨	١٧	وتحملهم على	وتحملهم على
٢٠	٩	واحار	واحار
٢٥	٧	مساج	مساح
٢٨	١٦	عقلا	عقلا
٤٧	١٤	للحقيقة	للحقيقة
٥٦	١٠	العالمين	العالمين
٦١	٤	سظام	سظام
٠٠	١٣	طائفة	طائفة
٧٤	١٠	شعهم اليه	شعهم اليه
٧٦	١	قاتلت مع النبي	قاتلت النبي
٨٣	٦	رأسى	رأس
٠٠	١٦	السالة	المسالة
١٠١	١٣	اشتعلوا	اشتعلوا
١٠٤	عدد الصحيفة ١٤٠		
١٠٤	٤	عصرة	عصره
١٠٥	٧	ليبرء	ليبرأ
١٠٦	٤	طرء على المسلمين ماطرء	طرأ على المسلمين ماطرأ
١٠٧	١٩	للفوصى	الفوصى
١١٢	٨	لااله اب هو	لااله الا هو
١١٩	١٦	مبحركم	مبحركم
١٢٠	٤	وأمن فيما	وأمن الطرفيا
	١٤	الشور	الشورى
١٢٦	٦	ستقوى والاعتصام	ستقوى الله والاعتصام

صواب	حطاً	سطر	صحيفة
شر بعد الحة	شر بعد الحة	٣	١٢٧
واتساع أمره	واتساع أمره	٦	١٣٠
دخلت عليه	دخلت عليه	١١	١٣٢
ولم يش	ولم يش	١٩	٠٠
صدقت	صدقت	٨	١٣٨
مع المسلمين	مع المسلمين	٨	١٤٠
في المدينة	في المدينة	١	١٤٣
وأحاسه	وحلسه	١٨	١٥١
على الناطل	على الناطل	١٥	١٥٣
حاة الحيل	حاة الحيل	٢٠	١٥٤
مناياً	مناياً	١	١٥٥
الى أي نكر	الى أي نكر	١٦	٠٠
في اليرموك	في اليرموك	١٣	١٦٨
الى عرله	لعرله	١٦	١٧١
والمعاهد	المعاهد	١٩	١٧٩
اشتعالها	اشتعالها	١٦	١٨٥
لصحفان	لصحفان	١١	١٦٦
على الحق	على الحق	١٢	١٩٠
المشكاة	المشكات	٧	١٩٤
بياناً	بياناً	٨	٠٠
والحشمية	والحشمية	١٧	٠٠
عن بيعته	عن بيعه	٦	١٩٦
الكفاءة	الكفاءة	١٤	٠
يقعلا في العقول	يقعلا في العقول	١٥	١٩٩
واستطر عاهم	وشرط عاهم	٣	٢٠١
نديسون	نديسون	١١	٠
لحياتهم	لحياتهم	١٦	٢٠٥

صواب	حطاً	سطر	حجيمة
أو أنترعها	أو أنترعها	٢٠	٠٠
غير المسألة	غير المسألة	٥	٢٠٨
أسعر لهما	أسعر لهما	٢٢	٢١٠
قوة العلب	قوة لعلب	١	٢١١
إدن	إدن	٦	٢١٢
الذي يطهر	لدي يطهر	١١	٢١٥
الاسلام	لاسلا	١٣	٠٠
أن ترصى	إن ترصى	١٢	٢١٦
فطمرت الروم	فطمرت الرو	١٥	٢١٨
الحديدية	الحديدية	١٦	٠٠
اروير	ارور	٢١	٠٠
مما لاة	مما لاة	٢	٢٢٤
المملك	المملك	١٠	٢٢٦
وليسواي	وليسوي	٢٠	٢٢٩
ولا يبعد	ولا يبعد	١٢	٢٣١
بالمقسلاط	بالمقسلاط	٧	٢٣٣
المتوفى سة	المتوفى سة	١٣	٢٣٤
درحات المدينة	درحات المدسة	٦	٢٣٥
المسلمين	المسلمين	١٥	٢٣٦
هذا الهدر	هذا الهزر	٤	٢٣٨
وأحو حرام	وأحو حرامي	١٦	٢٤٥
فأمر الفيقار حلاً	فأمر الفيقار حلاً	١٨	٠٠
عمروس العاص	عمروس العاص	٧	٢٤٦
عم تفرح	عم تفرح	١١	٠٠
فارس سارالى حاصر حلف قححص	فارس قححص	٥	٢٥٩
وبلع أنوعيدة	وبلع أنوعيدة	٣	٢٦٣
ولا يرهدوا	ولا يرهدا	١٧	٢٦٦

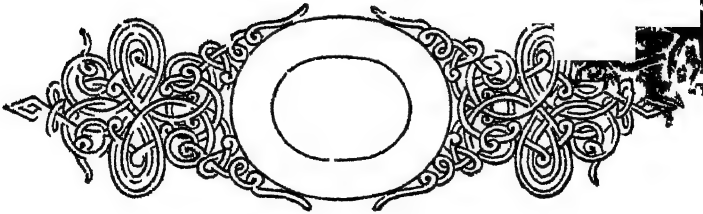
صحيفة	سطر	خطاً	صواب
٢٧٣	١٠	كان عهد الرومانيين	كان على عهد الرومانيين
٢٧٦	٧	وتوانهم	وتوانها
٢٧٧	٧	نداول	ونداول
٢٧٩	٣	تترقى	تترق
٢٨٣	١١	موجود	موجود
٢٨٤	٢	مارأدا	مارأدا
٢٨٨	١١	والدمة عن	والدمة عن
٢٩٠	١٧	خلود لمر ٠٠ تزل بالمرحة	خلود لمر ٠٠ تزل بالمرحة
٢٩٣	١١	المرات لآخر	المرات الآخر
٢٩٥	١١	وحرير	وحريراً
٢٩٥	١٨	نشجاعة لسان	نشجاعة لسانهم
٠٠	٢١	ويصم	ويصم من
٢٩٩	١٢	استعداد منى	استعداد المنى
٣٠٠	١٨	على احادة	على حادة
٠٠٠	٢٠	تصغير الفصا	تصغير الفصا
٣٠٢	١٥	حاجة الرمان	حاجة
٣٠٣	١	تحكم لوسط	تحكم الوسط
٠٠	٦	اهما كهم	اهما كهم
٣٠٥	١٩	الاسد	قالوا الاسد
٣٠٨	٢	وحهم	وحهم
٣١٥	٢٠	منحى عن	منحوع عن
٣١٨	١٨	احجاف	احجاف
٣١٩	٨	حسن ألف شحصاً	حسن ألف شحص
٠٠٠	١٠	أربعة وعشرون	أربعة وعشرون
٠٠٠	١٣	مليوناً درهما	مليون درهم
٣٢٠	١٠	ثروة	ثروة
٠٠٠	١٢	انقائها	انقائها

صواب	خطأ	سطر	حقيقة
للدين	للدين	٢٠	٠٠٠
حاء	حاد	٢١	٠٠
سراقة	سرافة	٨	٣٢١
أن يعفيه	أن يعفيه	٩	٣٢٣
لا يرد عليهم	لا يرد عليهم	١	٣٢٤
لم يبق	لم يبق	١٥	٠٠٠
وانسقت له	وانسقت له	١١	٣٢٥
وهو السراق	وهو السراق	٧	٣٣٨
فأدركه	فأدركه	٩	٣٣٩
فتح الحرية	فتح الحرية	٩	٣٤٤
نعصها	نعصها	٦	٣٤٩
ردء آ	رداء	١٨	٠٠٠
س أني جهل	س جهل	١٠	٣٥٣
آلاف ثلثه	لا فثائه	٦	٣٥٧
أندي العرب	أيادي العرب	٦	٣٥٨
تشرح لك	تشرح لك	٤	٣٦٤
فقراتها ومواساتهم	فقراتها ومواساتهم	٢١	٠٠٠
سعادة الحياة	سعادة الحياة	٢٣	٠٠٠
في الممالك	في الممالك	١	٣٦٥
فقد قطعها	فقد قطعها	٥	٣٦٦
مباراة	مبارات	٢٠	٠٠٠
ومحودك	محودك	٤	٣٦٧
والأمة. مثل	والأمة. مثل	٥	٠٠٠
حر من الحرية	حر من الحرية	١٤	٣٧٢
قلوبهم الاسلام	قلوبهم لاسلام	٨	٣٧٩
لتي رحل	لتي رحلا	٤	٣٨١
اس عساكر	س عساكر	١٤	٠٠

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
أهماتهم	أهماتهم	٣	٣٨٣
حديقة من ليمان	حديقة من ليمان	١٠	٣٨٦
اطراح لأمة	اطراح لأمة	١١	٣٨٩
ولا تخدم من المال	ولا تخدم من المال	١٥	٠٠٠
مارشادهم	مارشادهم	٢	٣٩١
وهو	وهو من	٩	٣٩٢
البعوث .. هابود	البعوث .. هابود	٢	٣٩٣
ابن حرير	ابن حرير	١٧	٠٠
وروى الطبري	وروى الطبري	١٨	٣٩٥
فتصوها	فتصوها	٨	
وأقلوا من الرواية	وأقلوا من الرواية	٩	٣٩٩
ابن الحوري	ابن الحوري	١١	
المتهدم	المتهدم	١٥	
الاشعث	الاشعث	١١	٤٠٠
خفت	خفت	١٥	٤٠١
الآن	الآن	١٥	٤٠٢
فرقا	فرق	١٦	٠٠٠
هاحق	هاحق	١١	٤٠٤
أطبعوا الله	أطبعوا الله	٥	٤٠٥
تستند	تستند	٢١	٠
فاعاد	فاعاده	١٧	٤٦
ابن عم خالد	ابن عم خالد	١٧	٤٧
ابن العم	ابن العم	٢٠	٠٠
لاحكم الا الله	لاحكم الا الله	١٢	٤٨
مرسة	مرتبه	٩	٤٠٩
المساواة	لمساواة	١١	٤١٩
سبى الحليل	يتفنى الحليل	٩	٤٣١

صواب	سغار خطأ	صحيفة
عمر يقول	٩	٤٤٩
ولامس صلهم	٢٣	٤٥٦
هكذا ٤٣	٢٦	٤٥٧
يفض الله	٢٤	٤٥٨
فقد نارر	٣	٤٦٢
احمل	٨	٤٦٦
يتناصلون	٢٥	٤٧٠
نفس طلعة	٢٦	٠٠٠
وعمر ٣٣	٤	٤٧٥
عمر ٣	١٠	٤٧٨
حدور	١٣	٤٨٢
والاحت	٩	٤٩١

وردت امطة الاردن في هذا الكتاب تشديد الراء تارة وتشديد
السين اخرى والصواب تشديد الون فليتنه



قد وقع في هذا الجزء الاغلاط أخرى عسير الاغلاط المدينة في فهرست الخطأ
 والصواب لم اطلع عليها الا بعد تمام طبع الكتاب لاني لم أذهب على طبع قديم كبير منه
 لانحراف ألم تصحفي واصطرتني الى السمر ومنها هاء في صحيفة ٣٥٣ سطر ١٤
 اسم أشيم وصوابه بن أشيم وفي الصحيفة ٣٦٧ سطر ٤ نحو وصوابه ونحو وفي الصحيفة
 نفسها سطر ٥ مثل والصواب لثل وفي الصحيفة ٤٢٩ سطر ١٦ وتقتضي والصواب
 وتقتضي وفي الصحيفة نفسها سطر ١٧ بقول وصوابها حصول وفي الصحيفة ٤٣١ سطر
 ٣ منه والصواب منها وفي الصحيفة ٤٣٦ سطر فقصد والصواب فقد وحاء في الصحيفة
 ٤٣٧ حلة طويلة بعد كتابه الى شرح القاضي أوها وأما أقصيت الح الحلة وليس هذا
 محالها بل هي في ختام هذا الفصل بعد كتاب أبي موسى الاشعري وفي الصحيفة ٤٤٢
 سطر ١٢ حلة لم يتوقف عن جمع كلمة الأمة وصوابها يتوقف لجمع كلمة الأمة وفي
 الصحيفة ٤٤٩ سطر ٩ أم والصواب بن أم في الصحيفة نفسها آخر سطر ١٨ عنوان
 فصل مخصوص لم يحمل وحده بين سطرين وسقط من الفهرس فإتبه اليه وفي صحيفة
 ٤٥٣ سطر ١ سلم والصواب مسامة وفي الصحيفة ٤٥٨ سطر ٢٤ ينص وصححت في
 الفهرس بعض وصوابها ينص بالعين وفي الصحيفة ٤٦٤ سطر ٦ للعوس والصواب
 للعرص وفي الصحيفة نفسها ٢٤ وهو الحق والسلطة وصوابه وهو الحق الذي تبين
 به حد السلطة العليا الح وفي الصحيفة ٤٦٥ سطر ٤ ولا تحمدوهم والصواب ولا
 تحمروهم وفي الصحيفة نفسها سطر ٢٣ لدي والصواب الذي وفي الصحيفة ٤٦٧ سطر
 ١٥ مستعدة والصواب مستعدة وفي الصحيفة ٤٧٠ سطر ٢٥ وحرخوا ان والصواب
 وحرخوا الى وفي الصحيفة ٤٧٢ سطر ٣ رأى والصواب أرى وفي الصحيفة نفسها
 سطر ١٨ وحاء والصواب ووحاء هجرة فوق الالف وفي الصحيفة ٤٧٨ سطر ١٢
 ولأوترت والصواب ولأوترن والصحيفة ٤٨١ سطر ٦ الدير والصواب الدير
 والصحيفة ٤٨٤ في سطر ١٣ لفصهم وهو رائد لا محل له وفي الصحيفة ٤٩١ سطر
 ١٧ سر والصواب سر دواهم عاظ حاء في هذا الجزء في الصحيفة ٤٧٤ سطر ١٨ وما
 بعده وهو اسم ابي هريرة بدل كعب الاحار وهو سهو يدركه القاري مما قلناه واما
 حماي عليه تشتت الحاطر وألم المرص ولم يثبت من وقف على طبع الكتاب له ليصاحبه
 لما ابي لم أعد نظري عايه حال الطبع لتعني حارج القطر فأرحو كل من وقعت بيده
 نسخة من هذا الكتاب ان تصاحبه فقامه بان يصح اسم كعب الاحمار بدل اسم ابي
 هريرة وله الفصل وقد جاء في الفهرست فصل لعنوان بحث في الردة وهو حشومن
 الطاع اد ايس في هذا الجزء فصل هذا العنوان واما هو في الجزء الاول فإتبه اليه
 وبقى هدت نسخ هذين الجزين فسعيد طبعهما أحسن ان شاء الله

﴿ يباع هذا الكتاب في مصر بالمكاتب الآتية ﴾

مكتبة الشعب بشارع محمد علي ومكتبة الهلال بالمجاله والمكتبة الازهرية
الهيئة الجديدة قرب عطفة خط الازهر ومكتبة هندية بالسكة الجديدة
ومكتب جريدة المؤبد بالاسكندرية وثمنه عشرة غروش اميرية ويسقط ربع الثمن
لن يأخذ من مؤلفه في القاهرة زيادة على عشر نسخ



